

(١٥٣٢)

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون

تفاسير ومواعظ

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٦هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون وما** أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين﴾. ثم قال تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

وقال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم." (١)

"٣١٤ – حدثنا أبو بكر، نا منصور بن أبي مزاحم، نا سعيد بن صفوان، عن الفرات، عن ميمون بن مهران، " أن عمر بن عبد العزيز، كتب إليه وهو على خراج الجزيرة: إني أحسبني لما بي ، وقد أحببت أن تحضرني إن كان ذلك لا يبلغ منك مشقة ، فركب إليه ميمون ومعه ابنه ، حتى انتهى إلى بعض السكك من أرض الجزيرة فسمع فرانقا يقول لصاحبه إن كان هذا الشيخ صدق في رؤياه لقد مات أمير المؤمنين قال: فوقع في نفسي ، قلت: من هذا الشيخ ، قال رجل من بني عقيل قال: قلت له: أتدري أين منزله؟ قال: نعم ، قال: فمشيت معه وأمرت ابني أن يفرغ من راحلته إلى أن يصلي الضحى ، فإذا هو قائم في مسجده يصلي فسلمت فأجابتني امرأة وهي عجوز موسومة بالخير ، وقالت: ما حاجتك؟ قلت: حاجتي إلى هذا الكهل الصالح أسأله عن رؤيا ذكرت لي ، فقالت: إن شئت أنبأناك بها ، قال: الساعة الساعة ، فقلت: أجل فذكرت أنه لما صلى الضحى رفع رأسه إلى ظهر مسجده فانتبهت فزعا ، فقال: إني رأيت آنفا ابني فلانا ، وكان استشهد بأرض الروم على أحسن صورة كان يكون عليها ، فقلت: يا بني ألم تكن قد مت قال: استشهدت فأنا مع الأحياء المرزوقين ، قال: قلت:. . . ما –[١٤٣]– جئت؟ قال: توفي عمر الليلة ، فنادى مناد من السماء أن انهض أيها الشيخ ، قال: قد حفظته الرؤيا ، ثم تلا ﴿أفرأيت إن

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٧٤/٢

متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٦] ، ثم قام إلى صلاته ، وما كلمني بكلمة غيرها ، فمضيت فلم أدرك عمر "." (١)

"٢٧١ – حدثني محمد بن العباس، أخبرنا عبيد الله بن عمر، أخبرنا حماد بن زيد، أخبرنا يزيد بن حازم، قال: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة، ويقول في خطبته: -[١٢٥]-

ألا إن أهل الدنيا فيها على وجل، لم تمض بهم نية، ولم تطمئن بهم دار حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وكذلك لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجائفها، يبقى شرار أهلها ثم يقرأ: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين* ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٧] .." (٢)

"٣٩٥ – حدثني محمد بن العباس، قال: ثنا عبيد الله بن عمر، قال: ثنا حماد بن زيد، قال: ثنا يزيد بن حازم، قال: -[١٧٨]- كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة، ويقول في خطبته: " ألا وإن أهل الدنيا فيها على وجل، لم تمض بهم نية، ولم تطمئن بهم دار، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وكذلك لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، يبقى شرار أهلها، ثم قرأ ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٦]." (٣)

"٦١ – حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن موسى قال: سمعت الحسن بن صالح، يقول: " لقد دخل التراب من هذا المصر قوم قطعوا عنهم الدنيا بالصبر على طاعة الله، وبين لهم هذا القرآن غير الدنيا قال: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٦] " ثم بكى حسن، ثم قال: «إذا جاء الموت وسكراته لم يغن عن الفتى ما كان فيه من النعيم واللذة ثم مال مغشيا عليه»." (٤)

"حدثنا محمد بن علي، ثنا محمد بن سعيد، ثنا محمد بن عبدوس الحراني، ثنا يزيد بن قبيس، ثنا علي بن الحسن الحلبي، قال: حدثني عمرو بن ميمون بن مهران، قال: " خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول فلم يستطع الشيخ يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده، ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت إلينا جارية سداسية فقالت: من هذا؟

---

(١) المنامات لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٤٢

(٢) ذم الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٢٤

(٣) الزهد لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٧٧

(٤) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٥١

قلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: يا شقي، ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ، فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا، ثم -[٨٣]- دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد قد آنست من قلبي غلظة فاستلن لي منه. فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٦] قال: فسقط الشيخ، فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلا ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرقوا. فأخذت بيد أبي فخرجت به، ثم قلت: يا أبتاه، هذا الحسن؟ قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا. قال: فوكزني في صدري وكزة ثم قال: يا بني، لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لأبقى لها فيك كلوم "." (١)

"حدثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن يزيد البغدادي، عن سعيد بن يونس العطاردي، ثنا أبو معشر، عن محمد بن قيس قال: "كان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين: [البحر الطويل]

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

وتنصب فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ثم يتلوها بآيتين: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٦]." (٢)

"صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل، فأنى له الانتفاع بالتذكر، أو بالتفكر، أو بالعظة؟ .

[فصل تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء]

فصل

قال: وإنما تجتنى ثمرة الفكرة بثلاثة أشياء: بقصر الأمل، والتأمل في القرآن، وقلة الخلطة والتمني والتعلق بغير الله والشبع والمنام.

يعني: أن في منزل التذكر تجتنى ثمرة الفكرة لأنه أعلى منها، وكل مقام تجتنى ثمرته في الذي هو أعلى منه، ولاسيما على ما قرره في خطبة كتابه أن كل مقام يصحح ما قبله.

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٨٢/٤

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٣١٩/٥

ثم ذكر أن هذه الثمرة تجتنى بثلاثة أشياء، أحدها: قصر الأمل، والثاني: تدبر القرآن، والثالث: تجنب مفسدات القلب الخمسة.

فأما قصر الأمل: فهو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة، وهو من أنفع الأمور للقلب، فإنه يبعثه على معاصفة الأيام، وانتهاز الفرص التي تمر مر السحاب، ومبادرة طي صحائف الأعمال، ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحثه على قضاء جهاز سفره، وتدارك الفارط، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة، فيقوم بقلبه إذا داوم مطالعة قصر الأمل شاهد من شواهد اليقين، يريد فناء الدنيا، وسرعة انقضائها، وقلة ما بقي منها، وأنها قد ترحلت مدبرة، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وإنها لم يبق منها إلا كما بقي من يوم صارت شمسه على رءوس الجبال، ويريه بقاء الآخرة ودوامها، وأنها قد ترحلت مقبلة، وقد جاء أشراطها وعلاماتها، وأنه من لقائها كمسافر خرج صاحبه يتلقاه، فكل منهما يسير إلى الآخر، فيوشك أن يلتقيا سريعا.

ويكفي في قصر الأمل قوله تعالى ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين – ثم جاءهم ما كانوا يوعدون – ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٥ – ٢٠٧] وقوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ [يونس: ٤٥] وقوله تعالى ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات: ٤٦]." (١)

"هذا وإن من أيام اللذات لو صفت للعبد من أول عمره إلى آخره لكانت كسحابة صيف تتقشع عن قليل وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى آذن بالرحيل قال الله تعالى ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ ومن ظفر بمأموله من ثواب الله فكأنه لم يوتر من دهره بما كان يحاذره ويخشاه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت من الشعر

كأنك لم توتر من الدهر مرة ... إذا أنت أدركت الذي أنت طالبه فصل

وهذا ثمرة العقل الذي به عرف الله سبحانه وتعالى وأسماؤه وصفات كماله ونعوت جلاله وبه آمن المؤمنون بكتبه ورسله ولقائه وملائكته وبه عرفت آيات ربوبيته وأدلة وحدانيته ومعجزات رسله وبه امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه وهو الذي تلمح العواقب فراقبها وعمل بمقتضى مصالحها وقاوم الهوى فرد جيشه مفلولا وساعد الصبر حتى ظفر به بعد أن كان بسهامه مقتولا وحث على الفضائل ونهى عن الرذائل وفتق المعاني وأدرك الغوامض وشد أزر العزم فاستوى على سوقه وقوى أزر الحزم حتى حظى من الله بتوفيقه فاستجلب

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ١/٤٤٨

ما يزين ونفى ما يشين فإذا نزل وسلطانه أسر جنود الهوى فحصرها في حبس من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه ونهض بصاحبه إلى منازل الملوك إذا صير الهوى الملك بمنزلة العبد المملوك فهي شجرة." (١)

"الفرس لا ينفلت بالرفع والجزم، لأن معناه إن لم أربطه ينفلت، والرفع بمعنى كيلا ينفلت. وأنشد لبعض بني عقيل:

وحتى رأينا أحسن الفعل بيننا ... مساكنة لا يقرف الشر قارف

بالرفع لما حذف كي. ومن الجزم قول الآخر:

لطالما حلأتماها لا ترد ... فخلياها والسجال تبترد «١»

قال النحاس: وهذا كله في" يؤمنون" خطأ عند البصريين، ولا يجوز الجزم بلا جازم، ولا يكون شي يعمل عملا فإذا حذف عمل عملا أقوى، من عمله وهو موجود، فهذا احتجاج بين (حتى يروا العذاب الأليم. فيأتيهم بغتة) أي العذاب. وقرأ الحسن:" فتأتيهم" بالتاء، والمعنى: فتأتيهم الساعة بغتة فأضمرت لدلالة العذاب الواقع فيها، ولكثرة ما في القرآن من ذكرها. وقال رجل للحسن وقد قرأ:" فتأتيهم": يا أبا سعيد إنما يأتيهم العذاب بغتة. فانتهزه وقال: إنما هي الساعة تأتيهم بغتة أي فجأة. (وهم لا يشعرون) بإتيانها. (فيقولوا هل نحن منظرون) أي مؤخرون وممهلون. يطلبون الرجعة هنالك فلا يجابون إليها. قال القشيري: وقوله:" فيأتيهم" ليس عطفا على قوله:" حتى يروا" بل هو جواب قوله:" لا يؤمنون" فلما كان جوابا للنفي انتصب، وكذلك قوله:" فيقولوا".

[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٩]

أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨)

ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

قوله تعالى: (أفبعذابنا يستعجلون) قال مقاتل: قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد إلى متى تعدنا بالعذاب ولا تأتي به! فنزلت" أفبعذابنا يستعجلون".

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٧

(١). حلاها: منعها من ورود الماء. والسجال:) جمع سجل) وهى الدلو الضخمة المملوءة ماء. وتبترد: تشرب الماء لتبرد به كبدها. والبيت قاله بعض النسوة لبعض لما زرن امرأة قد تزوجت من رجل كان عاشقا لها.." (١)

"(أفرأيت إن متعناهم سنين) يعني في الدنيا والمراد أهل مكة في قول الضحاك وغيره. (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**)." ما" الأولى استفهام معناه التقرير، وهو في موضع نصب ب" أغنى " و" ما" الثانية في موضع رفع، ويجوز أن تكون الثانية نفيا لا موضع لها. وقيل:" ما" الأولى حرف نفي، و" ما" الثانية في موضع رفع ب" أغنى " والهاء العائدة محذوفة. والتقدير: ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه. وعن الزهري: أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ" أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**" ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم

فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت في النوام ناج فسالم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قوله تعالى: (وما أهلكنا من قرية) " من" صلة، المعنى: وما أهلكنا قرية. (إلا لها منذرون) أي رسل. (ذكرى) قال الكسائي:" ذكرى " في موضع نصب على الحال. النحاس: وهذا لا يحصل، والقول فيه قول الفراء وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر، قال الفراء: أي يذكرون ذكرى، وهذا قول صحيح، لأن معنى" إلا لها منذرون" إلا لها مذكرون. و" ذكرى " لا يتبين فيه الإعراب، لأن فيها ألفا مقصورة. ويجوز" ذكرى" بالتنوين، ويجوز أن يكون" ذكرى " في موضع رفع على إضمار مبتدأ. قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى. وقال الفراء: أي ذلك ذكرى، وتلك ذكرى. وقال ابن الأنباري قال بعض المفسرين: ليس في" الشعراء" وقف تام إلا قوله" إلا لها منذرون" وهذا عندنا وقف حسن، ثم يبتدئ" ذكرى" على معنى هي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٤٠

ذكرى أي يذكرهم ذكرى، والوقف على" ذكرى " أجود. (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم:." (١)

"(ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**) أي أي شيء أو أي إغناء أغنى عنهم كونهم ممتعين ذلك التمتع الطويل المديد، والاستفهام للإنكار التقريري و (ما) في (ما كانوا) مصدرية أو موصولة، وقيل (ما) الأولى نافية والثانية مصدرية أي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب، وتخفيفه وقرئ يمتعون من أمتع الله زيدا بكذا.

وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون قد وعظت فأبلغت وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرأها عند جلوسه للحكم.." (٢)

"ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦) وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨)." (٣)

"أما الفاء في قوله ﴿فيقولوا﴾ فهي لإفادة التعقيب في الوجود وهو صادق بأسرع تعذيب فتكون خطرة في نفوسهم قبل أن يهلكوا في الدنيا، أو يقولون ذلك ويرددون يوم القيامة حين يرون العذاب وحين يلقون فيه.

و ﴿هل﴾ مستعملة في استفهام مراد به التمني مجازا، وجيء بعدها بالجملة الاسمية الدالة على الثبات، أي تمنوا إنظارا طويلا يتمكنون فيه من الإيمان والعمل الصالح.

[٢٠٤ - ٢٠٧] ﴿أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾** .

نشأ عنه قوله ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ [الشعراء: ٢٠٢] تقدير جواب عن تكرر سؤالهم: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ [يونس: ٤٨]، حيث جعلوا تأخر حصول العذاب دليلا على انتفاء وقوعه، فأعقب

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤١/١٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢٢/٩

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢٢/٩

ذلك بقوله ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ . فالفاء في قوله ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ تفيد تعقيب الاستفهام عقب تكرر قولهم ﴿متى هذا الوعد﴾ ونحوه. والاستفهام مستعمل في التعجيب من غرورهم. والمعنى: أيستعجلون بعذابنا فما تأخيره إلا تمتيع لهم. وكانوا يستهزئون فيقولون: ﴿متى هذا الوعد﴾ ، ويستعجلون بالعذاب ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ . قال مقاتل: قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد إلى متى تعدنا بالعذاب ولا تأتي به، فنزلت ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ .

وتقديم "بعذابنا" للرعاية على الفاصلة وللاهتمام به في مقام الإنذار، أي ليس شأن مثله أن يستعجل لفظاعته.

ولما كان استعجالهم بالعذاب مقتضيا أنهم في مهلة منه ومتعة بالسلامة وأن ذلك يغرهم بأنهم في منجاة من الوعيد الذي جاءهم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم جابههم بجملة ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ .

والاستفهام في ﴿أفرأيت إن متعناهم﴾ للتقرير. و ﴿ما﴾ في قوله ﴿ما أغنى عنهم﴾ استفهامية وهو استفهام مستعمل في الإنكار، أي لم يغن عنهم شيئا. والرؤية في ﴿أفرأيت﴾ قلبية، أي أفعلمت. والخطاب لغير معين يعم كل مخاطب حتى المجرمين.

وجملة ﴿إن متعناهم سنين﴾ معترضة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما سد مسد." (١)

"مفعولي "رأيت". و ﴿ثم جاءهم﴾ معطوف على جملة الشرط المعترضة، و ﴿ثم﴾ فيه للترتيب والمهلة، أي جاءهم بعد سنين. وفيه رمز إلى أن العذاب جائيهم وحال بهم لا محالة. و ﴿ما كانوا يوعدون﴾ موصول وصلته والعائد محذوف تقديره: يوعدونه.

وجملة ﴿ما أغنى عنهم﴾ سادة مسد مفعولي "رأيت" لأنه معلق عن العمل بسبب الاستفهام بعده. و **﴿ما كانوا يمتعون﴾** موصول وصلته. والعائد محذوف تقديره: يمتعونه.

والمعنى: أعلمت أن تمتيعهم بالسلامة وتأخير العذاب إن فرض امتداده سنين عديدة غير مغن عنهم شيئا ن جاءهم العذاب بعد ذلك. وهذا كقوله تعالى ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ [هود: ٨]، وذلك أن الأمور بالخواتيم. في تفسير القرطبي: روى ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاء هم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾** ثم يبكي ويقول:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩/٢٠٠

نهارك يا مغرور سهو وغفلة

...

وليلك نوم والردى لك لازم

فلا أنت في الإيقاظ يقظان حازم

...

ولا أنت في النوام ناج فسالم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى

...

كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبه

...

كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ولم أقف على صاحب هذه الأبيات قال ابن عطية: ولأبي جعفر المنصور قصة في هذه الآية. ولعل ما روي عن عمر بن عبد العزيز روي مثيله عن المنصور.

[٢٠٨] ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ .

تذكير لقريش بان القرى التي أهلكها الله والتي تقدم ذكرها في هذه السورة قد كان لها رسل ينذرونها عذاب الله ليقيسوا حالتهم على أحوال الأمم التي قبلهم.

وبالاستثناء من أحوال محذوفة. والتقدير: وما أهلكنا من قرية في حال من الأحوال إلا في حال لها منذرون. وعريت جملة الحال عن الواو استغناء عن الواو بحرف الاستثناء ولو ذكرت الواو لجاز كقوله في [سورة الحجر: ٤] ﴿إلا ولها كتاب معلوم﴾ . وعبر عن الرسل بصفة الإنذار لأنه المناسب للتهديد بالإهلاك.

[٢٠٩] ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ .." (١)

"فانشئت لهم سحابة فاتوها فصيح بهم فيها والله أعلم.

- قوله تعالى : وإنه لتنزيلرب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل * ولو أنزلناه على بعض

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠١/١٩

الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** * وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين * وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين.

أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن قتادة ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ قال : هذا القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ قال : جبريل.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ﴿نزل به الروح الأمين﴾ قال : الروح الامين : جبريل.

وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن كعب القرظي قال : الروح الأمين جبريل.

وأخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ : (نزل به) مثقلة ، (الروح الأمين) منصوبتان .." (١)

"وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ قال : الفرس.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن الحسن في قوله ﴿كذلك سلكناه﴾ قال : الشرك جعلناه ﴿في قلوب المجرمين﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال رؤي النبي صلى الله عليه وسلم كانه متحير فسألوه عن ذلك فقال : ولم ، رأيت عدوي يلون أمر أمتي من بعدي ، فنزلت ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ فطابت نفسه.

وأخرج عبد بن حميد عن سليمان بن عبد الملك ، انه كان لايدع ان يقول في خطبته كل جمعة : انما أهل الدنيا فيها على وجل لم تمض لهم نية ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجعاتها ولا يبقى فيها شيء ثم يتلو ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾.

". (٢)

" صفحة رقم ١٨٨

فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٢٩٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٣٠١

ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين

" (قوله تعالى :) كذلك سلكناه (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : كذلك أدخلنا الشرك ، قاله أنس بن مالك .

الثاني : التكذيب ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث : القسوة ، قاله عكرمة . (الشعراء : (٢١٠ - ٢١٢) وما تنزلت به . . . . .

" وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون " (قوله تعالى :) إنهم عن السمع لمعزولون (فيه ثلاثة أوجه

: أحدها : أنهم لمصروفون عن السمع للقرآن .

الثاني : أنهم مصروفون عن فهمه وإن سمعوه .

الثالث : أنهم مصروفون عن العمل به وإن سمعوه وفهموه .

(الشعراء : (٢١٣ - ٢٢٠) فلا تدع مع . . . . .

" فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم " (قوله تعالى :) الذي يراك حين تقوم (فيه أربعة أوجه :

أحدها : حين تقوم في الصلاة ، قاله ابن عباس .

الثاني : حين تقوم من فراشك ومجلسك ، قاله الضحاك .." (١)

"قوله : " أفرأيت " تقدم تحقيقه وقد تنازع " أفرأيت " و جاءهم " في قوله : ﴿ما كانوا يوعدون﴾ فإن أعملت الثاني وهو " جاءهم " رفعت به " ما كانوا " فاعلا به ، ومفعول " أرأيت " الأول ضميره ، ولكنه حذف ، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله : ﴿مآ أغنى عنهم﴾ ، ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول المحذوف ، وهو مقدر تقديره : أفرأيت ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم تمتعهم حين حل ، أي : الموعود به ، ودل على ذلك قوة الكلام.

وإن أعملت الأول نصبت به ﴿ما كانوا يوعدون﴾ وأضمرت في " جاءهم " ضميره فاعلا به ، والجملة الاستفهامية مفعول ثان أيضا ، والعائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله ، والشرط معترض ، وجوابه محذوف ، وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام وإنما ذكرناه هنا لأنه تقدير (عسر يحتاج) إلى تأمل.

---

(١) النكت والعيون ، ٤/١٨٨

وهذا كله إنما يتأتيى على قولنا : " ما " استفهامية ، ولا يضير تفسيرهم لها بالنفي ، فإن الاستفهام قد يرد بمعنى النفي.

وأما إذا جعلتها نافية حرفا ، كما قاله أبو البقاء فلا يتأتي ذلك ، لأن مفعول " أرأيت " الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية كما تقرر.

قوله : ﴿أفرأيت إن

٨٧

متعناهم سنين﴾ كثيرة في الدنيا ، يعني كفار مكة ، ولم نهلكهم ﴿ثم جآءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني : العذاب ﴿مآ أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ في تلك السنين ، أي : إنهم وإن طال تمتعهم بنعم الدنيا ، فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئا ، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

قوله : ﴿مآ أغنى عنهم﴾ يجوز أن تكون " ما " استفهامية في محل نصب مفعولا مقدما ، و " ما كانوا " هو الفاعل ، و " ما " مصدرية بمعنى : أي شيء أغنى عنهم كونهم متمتعين.

وأن تكون نافية ، والمفعول محذوف ، أي : لم يغن عنهم تمتعهم شيئا.

وقرىء " يمتعون " بإسكان الميم وتخفيف التاء من : أمتع الله زيدا بكذا.

قوله : ﴿إلا لها منذرون﴾ يجوز أن تكون الجملة صفة لـ " قرية " وأن تكون حالا منها.

وسوغ ذلك سبق النفي.

وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف عزلت الواو عن الجملة بعد " إلا " ولم تعزل عنها في قوله : ﴿ومآ أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ [الحجر : ٤] ؟ قلت : الأصل عزل الواو ، لأن الجملة صفة لـ " قرية " وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف ، كما في قوله : ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ [الكهف : ٢٢].

قال أبو حيان : ولو قدرنا " لها منذرون " جملة لم يجز أن تجيء صفة بعد (إلا) ، ومذهب الجمهور أنه لا تجيء الصفة بعد " إلا " معتمدة على أداة الاستثناء ، نحو : ما جاءني أحد إلا راكب ، وإذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل ، أي : إلا رجل راكب ، ويدل على صحة هذا المذهب أن العرب تقول : ما مررت بأحد إلا قائما ولا يحفظ عنهم " إلا قائم " يعني : بالجر ، فلو كانت الجملة صفة بعد " إلا " (لسمع الجر) في هذا.

وأيضا فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز أن تقع صفة المعرفة بعد " إلا ".

يعني نحو : ما مررت بزيد إلا العاقل.

٨٨

(١) ".

"" صفحة رقم ٣٤١ "

سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الا ليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جآءهم ما كانوا يوعدون مآ أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (

الشعراء : (١٩٨) ولو نزلناه على . . . . .

الأعجم : الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام . والأعجمي مثله . إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد . وقرأ الحسن : الأعجميين . ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه ، قالوا له : أعجم وأعجمي ، شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين ، وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها : أعجم ، قال حميد : ولا عربيا شاقه أعجما ؛

) سلكناه (أدخلناه ومكناه . والمعنى : إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين ، فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله ، وانضم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم ، وقد تضمنت معانيه وقصصه ، وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا ، فلم يؤمنوا به وجحدوه ، وسموه شعرا تارة ، وسحرا أخرى ، وقالوا : هو من تلفيق محمد وافترائه) ولو نزلناه على بعض (الأعاجم الذي لا يحسن العربية ، فضلا أن يقدر على نظم مثله) فقرأه عليهم (هكذا فصيحا معجزا متحدي به ، لكفروا به كما كفروا ، ولتمحلوا لجحودهم عذرا ، ولسموه سحرا ، ثم قال :) كذلك سلكناه (أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم ، وهكذا مكناه وقررناه فيها ، وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها ، فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم ، فلا سبيل أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره ، كما قال) ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هاذا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٩٤٠

إلا سحر مبين ((الأنعام : ٧) فإن قلت : كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته ؟ قلت : أراد."
(١)
٥٦٨"
يعني بالقرآن فهذا منة من الله تعالى حيث خاطبهم بلغتهم ليفهموه وقال القتبي في قوله " على بعض الأعجمين " يقال رجل أعجمي إذا كان في لسانه عجمة وإن كان من العرب ورجل عجمي بغير ألف إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان

سورة الشعراء ٢٠٠ – ٢٠٧

ثم قال عز وجل "كذلك سلكناه " يعني جعلنا التكذيب بالقرآن " في قلوب المجرمين " يعني المشركين مجازاة لهم أي طبع على قلوبهم وسلك فيها التكذيب ويقال جعل حلاوة الكفر في قلوبهم " لا يؤمنون " يعني بالقرآن ويقال بمحمد صلى الله عليه وسلم " حتى يروا العذاب الأليم " في الدنيا والآخرة " فيأتيهم بغتة " يعني يأتيهم العذاب فجأة " وهم لا يشعرون " به فيتمنون الرجعة والنظرة " فيقولوا هل نحن منظرون " فلما وعدهم العذاب قالوا فأين العذاب تكذيبا به يقول الله تعالى " أفبعذابنا يستعجلون " يعني أبمثل عذابنا يستهزئون ثم قال " أفرأيت إن متعناهم سنين " يعني سنين الدنيا كلها ويقال سنين كثيرة " ثم جاءهم ما كانوا يوعدون " من العذاب

قال عز وجل " ما أغنى عنهم " يعني ما ينفعهم " **ما كانوا يمتعون** " في الدنيا

سورة الشعراء ٢٠٨ – ٢١٣

ثم خوفهم فقال " وما أهلكنا من قرية " يعني من أهل قرية فيما خلا " إلا لها منذرون " يعني رسلا ينذرونهم " ذكرى " يعني العذاب تذكرة وتفكرا قال بعضهم إن " ذكرى " في موضع النصب وقال بعضهم في موضع رفع أما من قال في موضع النصب فيقول لها منذرون يذكرونهم ذكرى يعني يعظونهم عظة ومن قال إنه في موضع رفع فيقول لها منذرون هم ذكرى " وما كنا ظالمين " يعني بإهلاكنا إياهم

ثم قال عز وجل " وما تنزلت به الشياطين " روي عن الحسن أنه قرأ " وما تنزلت به الشياطنون " شبهه بقوله كافرون ومسلمون قال أبو عبيدة وهذا وهم لأن واحدها شيطان والنون فيه أصليه أما مسلمون وكافرون فالنون فيهما زائدة في الجمع لأن واحدهما مسلم وكافر وقال بعضهم هذا غلط على الحسن لأنه كان

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣/٣٤١

فصيحا لا يخفى عليه وإنما الغلط من الراوي ومعنى الآية أن المشركين كانوا يقولون إن الشيطان هو الذي يقرأ عليه قال الله." (١)

"﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل * ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾**

قوله تعالى: " وإنه لتنزيل رب العالمين "

١٦٧٢٤- أخبرنا أبو عبد الله الطهراني، فيما كتب إلي أنبأ عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن قتادة، في قوله: " وإنه لتنزيل رب العالمين " ، قال:"القرآن".

قوله تعالى: " نزل به الروح الأمين "

١٦٧٢٥- حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا حفص المكتب، عن إدريس، عن عطية،" " الروح الأمين " ، قال:"جبريل"، وروي عن محمد بن كعب، وقتادة، والسدي، والضحاك، والزهري مثل ذلك.

١٦٧٢٦- حدثنا علي بن الحسين، ثنا أحمد بن الصباح، ثنا الخفاف يعني عبد الوهاب، عن عمرو بن عبيد، وإسماعيل، عن الحسن:"نزل بثقلها الروح الأمين، يقول: نزل الله جبريل عليه السلام".." (٢)

"١٦٧٥٩- حدثنا الحسن بن عرفة، ثنا عبد الله بن بكير السهمي، ثنا حميد الطويل، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ، فقال:"أكنت تدعوا الله بشيء وتسأله إياه؟، قال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال: سبحان الله، لا تستطيعه أو لا تطيقه، ألا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ثم دعا الله له فشفي".

قوله تعالى: " أفرأيت إن متعناهم سنين "

١٦٧٦٠- حدثنا علي بن الحسين، ثنا علي بن المنذر، ثنا ابن فضيل، عن عمرو بن ثابت، عن أبي جحدب، عن أبي جهضم، قال: أري نبي الله صلى الله عليه وسلم كأنه متحير، فسألوه عن ذلك،

---

(١) بحر العلوم . ، ٢/٥٦٨

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١١/٢٠

فقال:"ولم؟ ورأيت عدوي يلون أمتي بعدي، فنزلت بعد ذلك " أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** " ، فطابت نفسه"..". (١)

"١٦٧٦١- حدثنا أبو زرعة، ثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، قال: سمعت سليمان بن عبد الملك، يخطب كل جمعة، لا يدع أن يقول:"إنما أهل الدنيا فيها على وجل لم يمض بهم نية، ولا تطمئن بهم دار حتى يأتي أمر الله، وهم على ذلك وكذلك لا يبقى نعيمها، ولا تؤمن فجعاتها، ولا يبقى شئ سر أهلها"، ثم يتلو: " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** "

قوله تعالى: " ثم جاءهم ما كانوا يوعدون "

١٦٧٦٢- أخبرنا أبو يزيد القراطيسي، فيما كتب إلي أنبأ أصبغ، قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد، في قول الله: " أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون " ، قال:"هو أهل الكفر".

قوله تعالى: " ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** "

١٦٧٦٣- حدثنا أبي، ثنا عمران بن موسى الطرسوسي، أنبأ أبو زيد، فيض بن إسحاق، قال: سألت الفضيل بن عياض، عن قول الله عز وجل:" " أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** " ، قال:"قراءتها تفسيرها".

قال تعالى:." (٢)

"﴿ ٢٠٤ - ٢٠٧ ﴾ ﴿ أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ أفبعذابنا ﴾ الذي هو العذاب الأليم العظيم، الذي لا يستهان به، ولا يحتقر، ﴿ يستعجلون ﴾ فما الذي غرهم؟ هل فيهم قوة وطاقة، للصبر عليه؟ أم عندهم قوة يقدرون على دفعه أو رفعه إذا نزل؟ أم يعجزوننا، ويظنون أننا لا نقدر على ذلك؟.

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٩/١١

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٣٠/١١

﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ﴾ أي: أفرأيت إذا لم نستعجل عليهم، بإنزال العذاب، وأمهلناهم عدة سنين، يتمتعون في الدنيا ﴿ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ من العذاب.." (١)

"﴿ ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ من اللذات والشهوات، أي: أي شيء يغني عنهم، ويفيدهم، وقد مضت وبطلت واضمحلت، وأعقبت تبعاتها، وضوعف لهم العذاب عند طول المدة. القصد أن الحذر، من وقوع العذاب، واستحقاقهم له. وأما تعجيله وتأخيره، فلا أهمية تحته، ولا جدوى عنده.." (٢)

"﴿ ٨ ﴾ ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ﴾ .

يخبر تعالى عن كرمه بعبده وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بحر أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال إلا الله، فيدعوه متضرعا منيبا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلح في ذلك.

﴿ ثم إذا خوله ﴾ الله ﴿ نعمة منه ﴾ بأن كشف ما به من الضر والكربة، ﴿ نسي ما كان يدعو إليه من قبل ﴾ أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه.

﴿ وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ﴾ أي: ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم.

﴿ قل ﴾ لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: ﴿ تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ﴾ فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار.

﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾." (٣)

" صفحة رقم ٣٩٣

على النسبة إلينا ؛ ثم اتبع ذلك الاسم محلولا إلى أن والفعل لأنه أخص وأعرف وأوضح من ذكر المصدر ، فقال : (أن يعلمه) أي هذا الذي أتى به نبينا من عندنا ؛ وأنث ابن عامر الفعل ورفع) آية (اسما وأخبر عنها بأن والفعل) علماء بني إسرائيل (فيقروا به ولا ينكروه ليؤمنوا به ولا يهجروه ، فإن قريشا كانوا كثيرا ما يرجعون إليهم ويعولون في الأخبار الإلهية عليهم ، فإن كثيرا منهم أسلم وذكر تصديق التوارة والإنجيل

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٩٨

(٢) تفسير السعدي، ص/٥٩٨

(٣) تفسير السعدي، ص/٧٢٠

والزبور وغيرها من أسفار الأنبياء عليهم السلام للقرآن في صفة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفي ذلك ما يؤيد صدقه ، ويحقق أمره ، وقد عربت الكتب المذكورة بعد ذلك ، وأخرج منها علماء الإسلام كثيرا مما أهملوه حجة عليهم ، ولا فرق في ذلك بين من أسلم منهم وبين غيرهم ، فإنها حين نزول القرآن كان التبديل قد وقع فيها بإخبار الله تعالى ، وعن ابن عباس رضي الله عنهم أن أهل مكة بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن محمد (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : هذا زمانه ، وإنا لنجد في التوراة صفته ، فكان ذلك ملزما لهم بإخبار الله تعالى ، وكذلك كل ما استخرج من الكتب يكون حجة على أهلها .

ولما كان التقدير : لم يروا شيئا من ذلك آية ولاآمنوا ، عطف عليه أو على قوله تعالى أول سورة) فقد كذبوا (الآية : (ولو نزلناه) أي على ما هو عليه من الحكمة والإعجاز بما لنا من العظمة) على بعض الأعجمين (الذين لا يعرفون شيئا من لسان العرب من البهائم أو الآدميين ، جمع أعجم ، وهو من لا يفصح وفي لسانه عجمة ، والأعجمي مثله بزيادة تأكيد ياء النسبة) فقرأه عليهم (اي ذلك الذي نزلناه عليه على ما هو عليه من الفصاحة والإعجاز مع علمهم القطعي أنه لا يعرف شيئا من اللسان) ما كانوا به مؤمنين) أي راسخين ولتمحلوا لكفرهم عذرا في تسميته سحرا أو غير ذلك من تعنتهم) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهو مشركون (من فرط عنادهم ، وتهيئهم للشر واستعدادهم له ، بل لا يسمعونه حق السماع ، ولا يعونه حق الوعي ، بل سماعا وفهما على غير وجهه .

الشعراء : (٢٠٠ - ٢١٠) كذلك سلكناه في. .. . .

)كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جآءهم ما كانوا يوعدون مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين (( )

ولما كان ذلك محل عجب ، وكان ربما ظن له أن الأمر على غير حقيقته ، قرر." (١)

"﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ : إن هي المخففة من الثقيلة ، واللام في لمن هي الفارقة ، خلافا للكوفيين ، فإن عندهم نافية واللام بمعنى إلا ، وتقدم الخلاف في نحو ذلك في قوله : ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ في البقرة. ثم طلبوا منه إسقاط كسف ، من السماء عليهم ، وليس له ذلك ، فالمعنى : إن كنت صادقا ، فادفع الذي أرسلك أن يسقط علينا كسفا ، أي قطعة ، أو قطعا على حسب التسكين والتحريك.

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩٣/٥

وقال الزمخشري : وكلاهما جمع كسفة ، نحو : قطع وشذر. وقيل : الكسف والكسفة ، كالريع والريعة ، وهي القطعة وكسفة : قطعة ، والسماء : السحاب أو المظلة. ودل طلبهم ذلك على التصميم على الجحود والتكذيب. ولما طلبوا منه ما طلبوا ، أحال علم ذلك إلى الله تعالى ، وأنه هو العالم بأعمالكم ، وبما تستوجبون عليها من العقاب ، فهو يعاقبكم بما شاء.

﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ ، وهو نحو مما اقترحوا. ولم يذكر الله كيفية عذاب يوم الظلة ، حتى أن ابن عباس قال : من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب ، وذكر في حديثها تطويلات. فروى أنه حبس عنهم الريح سبعا ، فابتلوا بحر عظيم يأخذ بأنفاسهم ، لا ينفعهم ظل ولا ماء ، فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية ، فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما ، فاجتمعوا تحتها ، فأمطرت

٣٨

عليهم نارا فأحرقتهم. وكرر ما كرر في أوائل هذه القصص ، تنبيها على أن طريقة الأنبياء واحدة لا اختلاف فيها ، وهي الدعاء إلى توحيد الله وعبادته ورفض ما سواه ، وأنهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشتركون في ذلك ، وأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو ما جاءت به الرسل قبله ، وتلك عادة الأنبياء.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٨

قال ابن عطية : وجاءت الألفاظ في دعاء كل واحد من هؤلاء الأنبياء واحدة بعينها ، إذ كان الإيمان المدعو إليه معنى واحدا بعينه. وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر ؟ قلت : كل قصة منها كتنزيل برأسه ، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها. فكانت كل واحدة منها تدلى بحق ، إلى أن تفتتح بمثل ما افتتحت به صاحبتها ، وأن تختتم بمثل ذلك مما اختتمت به ، ولأن التكرير تقرير للمعاني في النفوس ، وتثبيت لها في الصدور ، ولأن هذه القصص طرقت بهذا آذان ، وقر عن الأنصات للحق ، وقلوب غلف عن تدبره ، فأوثرت بالوعظ والتذكير ، وروجعت بالترديد والتكرير.

﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين * وإنه لفى زبر الاولين * أو لم يكن لهم ءاية أن يعلمه علما ؤا بنى إسرائيل * ولو نزلناه على بعض الاعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا بها مؤمنين * كذالك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون بها حتى يروا العذاب الاليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرءيت إن متعناهم سنين * ثم جآءهم ما كانوا يوعدون * مآ أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون *** ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين﴾ .

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٨
". (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٦] يقول تعالى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم -[٦٥١]- بآياتنا، وتكذيبهم رسولنا. ﴿ما أغنى عنهم﴾ [الشعراء: ٢٠٧] يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا، وهل نفعهم شيئا، بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجرام ما لو لم يمتعوا لم يكتسبوه.." (٢)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ [الشعراء: ٢٠٥] إلى قوله ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٧] قال: هؤلاء أهل الكفر "." (٣)

"وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء، وكانوا يدخلون الأسراب ليتبردوا فيها فإذا دخلوها وجدوها أشد حرا من الظاهر، فخرجوا هرابا الى البرية فأظلتهم سحابة وهي الظلة، فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أمطرت عليهم نارا فاحترقوا.

قال قتادة: بعث الله سبحانه شعيبا إلى أمتين: أصحاب الأيكة وأهل مدين، فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة وأما أهل مدين فأخذتهم الصيحة، صاح بهم جبرئيل صيحة فهلكوا جميعا.

أخبرني الحسين بن محمد قال: حدثنا موسى بن محمد قال: حدثنا الحسن بن علويه قال:

حدثنا إسماعيل بن عيسى قال: حدثنا المسيب عن برد الجريري قال: سلط الحر عليهم سبعة أيام ولياليهن، ثم رفع لهم جبل من بعيد، فأتاه رجل منهم فإذا تحته أنهار وعيون وماء بارد فتمكن تحته وأخذ ما يكفيه ثم جاء إلى أهل بيته فآذنهم فجاؤوا فأخذوا ما يكفيهم وتمكنوا، ثم آذن بقية الناس فاجتمعوا تحته كلهم فلم يغادر منهم أحدا، فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله سبحانه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٨/٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٥٠/١٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٥١/١٧

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٩٢ الى ٢٢٠]

وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥) وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦)

أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١)

فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦)

ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١)

إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦)

وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم (٢٢٠)

وإنه لتنزيل رب العالمين يعني القرآن نزل به الروح الأمين قرأ الحجازيون وأبو عمر بتخفيف الزاي ورفع الحاء والنون يعنون جبرئيل (عليه السلام) بالقرآن، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وفتح الحاء والنون أي نزل الله جبرئيل (عليه السلام) ، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم لقوله وإنه لتنزيل وهو مصدر نزل، على قلبك يا محمد حتى وعيته.." (١)

"وحتى رأينا أحسن الود بيننا ... مساكنة لا يقرف الشر قارف «١»

ينشد رفعا وجزما، ومن الجزم قول الراجز:

لطال ما حلأتماها لا ترد ... فخلياها والسجال تبترد «٢»

حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم قراءة العامة بالياء يعنون العذاب.

أخبرني ابن فنجويه قال: حدثنا ابن حنش قال: أخبرنا أبو العباس عبد الرحمن بن محمد ابن حماد الطهراني

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٧٩/٧

قال: أخبرنا أبو زكريا يحيى بن الفضل الحرمي قال: حدثنا وهب بن عمرو النمري قال: أخبرنا هارون بن موسى العتكي قال: حدثنا الحسام عن الحسن أنه قرأ فيأتيهم بغتة بالتاء فقال له رجل: يا أبا سعيد إنما يأتيهم العذاب بغتة فانتهره الحسن وقال: إنما هي الساعة.

وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون.

قال مقاتل: فقال المشركون: يا محمد إلى متى توعدنا بالعذاب؟ فأنزل الله عز وجل أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون وما** أهلكنا من قرية إلا لها منذرون رسل ينذرونهم ذكرى أي ينذرونهم تذكرة محلها نصب، وقيل رفع أي تلك ذكرى.

وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

وما تنزلت به الشياطين بل نزل به الروح الأمين، وقراءة العامة الشياطين بالياء في جميع القرآن لأن نونه سنخية وهجاؤه واحد كالدهاقين والبساتين.

وقرأ الحسن البصري ومحمد بن السميدح اليماني: الشياطون بالواو وقال الفراء: غلط الشيخ يعني الحسن فقيل: ذلك النضر بن شميل فقيل: إن جاز أن يحتج يقول العجاج ورؤبة ودونهما فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه؟ مع إنا نعلم أنهما لم يقرءا ذلك إلا وقد سمعا فيه.

وقال المؤرخ: إن كان اشتقاق الشياطين من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه.

وأخبرني عمر بن شبه قال: سمعت أبا عبيد يقول: لم نعب على الحسن في قراءته إلا قوله: وما تنزلت به الشياطون.

وبإسناده عن عمر بن شبه قال: حدثنا أبو حرب البابي من ولد باب قال: جاء أعرابي إلى

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢٣/ ٤٨.

(٢) لسان العرب: ١/ ٥٩.." (١)

"﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾." (٢)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٨١/٧

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٧٩٧

"إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ [الكهف: ٦٣] دخول الفاء في قوله: ﴿فإني﴾ يدل على أنه مستأنف.

٢٠٦ - قوله: ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ أي: من العذاب (١).

٢٠٧ - ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ به في تلك السنين. والمعنى: إنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا (٢) فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم (٣) شيئا ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (٤).

٢٠٨ - قوله: ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ قال مقاتل: (٥) أي: فيما خلا بالعذاب في الدنيا ﴿إلا لها منذرون﴾ يعني: رسلا ينذرونهم بالعذاب أنه نازل بهم (٦).

٢٠٩ - ﴿ذكرى﴾ قال ابن عباس: موعظة مني.

وقال مقاتل: تذكرة (٧).

---

(١) "تنوير المقباس" ٣١٤. و"تفسير مقاتل" ٥٥ أ.

(٢) في نسخة (أ)، (ب): النساء.

(٣) عنهم. في نسخة (ج).

(٤) ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط"، أخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٢، كتاب صفة القيامة، رقم: ٢٨٠٧. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٥، كتاب الزهد، رقم: ٤٣٢١.

(٥) قال مقاتل. في نسخة (أ)، (ب).

(٦) "تفسير مقاتل" ٥٥ أ.

(٧) "تفسير مقاتل" ٥٥ أ، ولفظه: "العذاب يذكر، ويفكر".." [١]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٥/١٧

"بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٩٧] قال الزجاج: أن يعلمه اسم كان وآية خبره، والمعنى: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل، أن محمدا نبي حق، علامة ودلالة على نبوته، لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم.

قال عطية: وكانوا خمسة: عبد الله بن سلام، وابن يامين، وثعلبة، وأسد، وأسيد.

وقرأ ابن عامر تكن بالتاء رفعا، قال الفراء، والزجاج: جعل آية هي الاسم، وأن يعلمه خبر تكن.

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ [الشعراء: ١٩٨] يقول: لو نزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان.

﴿فقرأه عليهم﴾ [الشعراء: ١٩٩] بغير لغة العرب ما آمنوا به، وقالوا: ما نفقة هذا.

فذلك قوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩] .

ثم ذكر سبب تركهم الإيمان، فقال: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ﴿٢٠٠﴾ لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم ﴿٢٠١﴾ فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿٢٠٢﴾ فيقولوا هل نحن منظرون ﴿٢٠٣﴾ أفبعذابنا يستعجلون ﴿٢٠٤﴾ أفرأيت إن متعناهم سنين ﴿٢٠٥﴾ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴿٢٠٦﴾ ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴿٢٠٧﴾ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴿٢٠٨﴾ ذكرى وما كنا ظالمين ﴿٢٠٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠-٢٠٩] ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ [الشعراء: ٢٠٠]

قال ابن عباس، والحسن، وغيرها: سلك الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين.

قال مقاتل: يعني مشركي مكة، أخبر الله أنه أدخل الشرك وجعله في قلوبهم، فلم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب حين لم ينفعهم.

وهو قوله: ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ [الشعراء: ٢٠١] يعني عند الموت.

﴿فيأتيهم﴾ [الشعراء: ٢٠٢] يعني العذاب، ﴿بغتة وهم لا يشعرون﴾ [الشعراء: ٢٠٢] به في الدنيا، فيتمنى الرجعة والنظرة.

وهو قوله: ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ [الشعراء: ٢٠٣] أي: لنؤمن ولنصدق، قال مقاتل: فلما أوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب، قالوا: فمتى العذاب؟ تكذيبا به.

فقال الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون ﴿٢٠٤﴾ أفرأيت﴾ [الشعراء: ٢٠٤-٢٠٥] يا محمد، ﴿إن متعناهم﴾ [الشعراء: ٢٠٥] يعني: كفار مكة ﴿سنين﴾ [الشعراء: ٢٠٥] قال عطاء: يريد منذ أن خلق الله الدنيا إلى أن تنقضي.

وقال الكلبي: يعني مدة أعمارهم.

﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ [الشعراء: ٢٠٦] من العذاب.

﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾** [الشعراء: ٢٠٧] به في تلك السنين، المعنى أنهم، وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب، لم يغن طول التمتع عنهما شيئا، ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

﴿وما أهلكنا من قرية﴾ [الشعراء: ٢٠٨] بالعذاب في الدنيا، ﴿إلا لها منذرون﴾ [الشعراء: ٢٠٨] يعني: ولا ينذرونهم بالعذاب أنه نازل بهم.

﴿ذكرى﴾ [الشعراء: ٢٠٩] موعظة وتذكيرا، ﴿وما كنا ظالمين﴾ [الشعراء: ٢٠٩] فنعذب على غير ذنب، ونعاقب من غير تذكير وإنذار.

﴿وما تنزلت به الشياطين ﴿٢١٠﴾ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴿٢١١﴾ إنهم عن السمع لمعزولون ﴿٢١٢﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢] ﴾." (١)

"﴿ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) ﴾

﴿لا يؤمنون به﴾ أي: بالقرآن، ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعني: عند الموت. ﴿فيأتيهم﴾ يعني: العذاب، ﴿بغتة﴾ فجأة، ﴿وهم لا يشعرون﴾ به في الدنيا. ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ أي: لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب، قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب؟ متى هذا العذاب؟ قال الله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ كثيرة في الدنيا، يعني: كفار مكة، ولم نهلكهم. ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني: بالعذاب. ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾** به في تلك السنين. والمعنى: أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط. ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ رسل ينذرونهم. ﴿ذكرى﴾ محلها نصب، أي: ينذرونهم، تذكرة، وقيل: رفع أي: تلك ذكرى، ﴿وما كنا ظالمين﴾ في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم. ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، فقال جل ذكره: "وما تنزلت به"، أي: بالقرآن، الشياطين. ﴿وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا بالقرآن، ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك. ﴿إنهم عن السمع﴾

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٣٦٣

أي: عن استراق السمع من السماء، ﴿لمعزولون﴾ أي: محجوبون بالشهب مرجومون. ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحذر." [(١)]

"فمضى وقدمها وكانت عادة ... منه إذا هي عردت أقدامها «١»

وقرئ: تعلمه، بالتاء. علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام وغيره. قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. فإن قلت: كيف خط في المصحف «علمؤا» بواو قبل الألف؟ قلت: خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكاة والربوا.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٩٨ الى ٢٠٧]

ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)

الأعجم: الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام. والأعجمى مثله، إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد. وقرأ الحسن: الأعجميين. ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه، قالوا له: أعجم وأعجمى، شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين، وقالوا لكل ذى صوت من البهائم والطيور وغيرها: أعجم، قال حميد:

ولا عربيا شاقه صوت أعجما «٢»

---

(١) . تقدم شرح هذا الشاهد بهذا الجزء صفحة ١٣ فراجعه إن شئت اه مصححه.

(٢) .

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت ساق حر ترحة وتندما

فغنت على غصن عشاء فلم تدع ... لنائحة في نوحها متندما

عجبت لها أنى يكون غناؤها ... فصيحا ولم تغفر بمنطقها فما

ولم أر مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربيا شاقه صوت أعجما

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/١٣٠

لحميد بن ثور، وقد رحلت صاحبته سلمى، يقول: وما حرك هذا الشوق وبعثه فتوقد بقلبي. إلا حمامة دعت ذكرها وساق حر: مركب إضافى: وهو ذكر القمري، أو ذكر الحمام مطلقا. والحر- بالضم-: فرخ الحمامة، والترحة:

الحزن. ضد الفرحة، والتندم: التأسف على ما فات. ويروى «ترنما» وهو تحسين الصوت، وهما نصب على الحالية، أى: حزينة ومتأسفة. أو ذات ترحة وذات تندم. وعشا: نصب على الظرف، فلم تدع: أى تترك لنائحة في غنائها، متندما: أى تندما أو شيئا يتندم به أو فيه. ويجوز أن ضمير نوحها للنائحة، وأنى بمعنى: كيف، أو من أنى. والاستفهام تعجبي. والفصيح: البين الخالي عن اللكنة والتعقيد. وفغر فاه يفغره، من باب نفع:

فتحه، أى: والحال أنها لم تفتح فمها بنطقها، وإنما يخرج صوتها من صدرها. وشاقه: تسبب له في الشوق، والعربي: المفصح. والأعجم: الذي لا يفصح من الحيوان، نقلته العرب لمن لا يفهمون كلامه ولا يفقهون مراده، وربما ألحقوه ياء النسب للمبالغة في شدة العجمة وبينه وبين عربى طباق التضاد.." (١)

"قوله عز وجل:

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٠ الى ٢٠٩]

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤)

أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

الإشارة بذلك إلى ما يتحصل لسامع الآية المتقدمة من الحتم عليهم بأنهم لا يؤمنون وهي قوله تعالى: ولو نزلناه على بعض الأعجمين [الشعراء: ١٩٨] ، وسلكناه معناه أدخلناه، والضمير فيه للكفر الذي يتضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين [الشعراء: ١٩٨] قاله الحسن. قال الرماني لا وجه لهذا لأنه لم يجر ذكره وإنما الضمير للقرآن وإحضاره بالبال، وحكى الزهراوي أن الضمير للتكذيب المفهوم وحكاه الثعلبي، وقرأ ابن مسعود «كذلك جعلناه في قلوب» ، وروي عنه «نجعله» ، و «المجرمون» أراد بهم مجرمي كل أمة، أي إن هذه عادة الله تعالى فيهم، أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب فلا ينفعهم الإيمان بعد تلبس العذاب بهم

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٣٦/٣

وهذا على جهة المثال لقريش أي هؤلاء كذلك، وكشف الغيب ما تضمنته هذه الآية يوم بدر، وقرأ الجمهور «فيأتيهم» بالياء أي العذاب، وقرأ الحسن بن أبي الحسن «فتأتيهم» بالتاء من فوق يعني الساعة، وفي قراءة أبي بن كعب «فيروه بغتة» ومن قول كل أمة معذبة هل نحن منظرون أي مؤخرون، وهذا على جهة التمني منهم والرغبة حيث لا تنفع الرغبة، ثم رجع لفظ الآية إلى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله تعالى في طلبهم سقوط السماء كسفا وغير ذلك وقولهم لمحمد صلى الله عليه وسلم أين ما تعدنا أي إنه لا ينبغي لهم ذلك لأن عذابنا بالمرصاد إذا حان أجله، ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بإقامة الحجة عليهم في أن مدة الإرجاء والإمهال والإملاء لا تغني مع نزول العذاب بعدها ووقوع النقمة، وذلك في قوله تعالى: أفرأيت إن متعناهم الآية، قال عكرمة سنين يريد عمر الدنيا، ولأبي جعفر المنصور، قصة في هذه الآية، ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية من القرى إلا بعد إرسال من ينذرهم عذاب الله عز وجل ذكرى لهم وتبصرة وإقامة حجة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وذكرى عند الكسائي نصب على الحال، ويصح أن يكون في موضع نصب على المصدر، وهو قول الزجاج، ويصح أن يكون في موضع رفع على خبر الابتداء تقديره ذلك ذكرى، ثم نفى عن جهته عز وجل الظلم إذ هو مما لا يليق به.

قوله عز وجل:

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢١٠ الى ٢١٦]

وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢)

فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)

واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦)

لما كان بعض ما قال الكفار إن هذا القرآن كهانة نزلت هذه الآية مكذبة لذلك أي ما تنزلت به." (١)

"قوله تعالى: وإنه يعني القرآن لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم: «نزل به» خفيفا «الروح الأمين» بالرفع. وقرأ أبن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «نزل» مشددة الزاي «الروح الأمين» بالنصب. والمراد بالروح الأمين جبريل، وهو أمين على وحي الله تعالى إلى أنبيائه، على قلبك قال الزجاج: معناه: نزل عليك فوعاه قلبك، فثبت، فلا تنساه أبدا. قوله تعالى: لتكون من المنذرين أي: ممن أنذر بآيات الله المكذبين، بلسان عربي مبين قال ابن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٤٤/٤

عباس: بلسان قريش ليفهموا ما فيه.

قوله تعالى: وإنه لفي زبر الأولين وقرأ الاعمش: «زبر» بتسكين الباء. وفي هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى القرآن والمعنى: وإن ذكر القرآن وخبره، هذا قول الأكثرين. والثاني: أنها تعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله مقاتل. والزبر: الكتب.

قوله تعالى: أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: «أو لم يكن» بالياء «آية» بالنصب. وقرأ ابن عامر، وابن أبي عبلة: «تكن» بالتاء «آية» بالرفع. وقرأ أبو عمران الجوني، وقتادة: «تكن» بالتاء «آية» بالنصب، قال الزجاج: إذا قلت: «يكن» بالياء، فالاختيار نصب «آية» وتكون «أن» اسم كان، وتكون «آية» خبر كان، المعنى: أولم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن النبي صلى الله عليه وسلم حق، وأن نبوته حق؟! «آية» : علامة موضحة، لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل وجدوا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل. ومن قرأ «أولم تكن» بالتاء جعل «آية» هي الاسم، و «أن يعلمه» خبر «تكن» . ويجوز أيضا «أو لم تكن» بالتاء «آية» بالنصب، كقوله تعالى: ثم لم تكن فتنتهم «١» وقرأ الشعبي، والضحاك، وعاصم الجحدري: «أن تعلمه» بالتاء.

(١٦٠١) وقال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا لنجد في التوراة صفته، فكان ذلك آية لهم على صدقه.

قوله تعالى: على بعض الأعجمين قال الزجاج: هو جمع أعجم، والأنثى عجماء، والأعجم: الذي لا يفصح، وكذلك الأعجمي فأما العجمي: فالذي من جنس العجم، أفصح أو لم يفصح. قوله تعالى: ما كانوا به مؤمنين أي: لو قرأه عليهم أعجمي لقالوا: لا نفقه هذا، فلم يؤمنوا.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٠ الى ٢٠٩]

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤)

أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

لا أصل له. ذكره البغوي في «تفسيره» ٣/ ٣٩٨ والقرطبي ١٣/ ١٢٦ كلاهما عن ابن عباس بدون إسناد.

(١) الأنعام: ٢٣.." (١)

"فإن كان الأول فقد دللنا في سورة الأنعام على أن الترجيح لا يتحقق ما لم ينته إلى حد الوجوب وحينئذ يحصل المقصود، فإن لم يفعل فيهم ما يقتضي الترجيح البتة، امتنع قوله: كذلك سلكناه كما أن طيران الطائر لما لم يكن له تعلق بكفرهم، امتنع إسناد الكفر إلى ذلك الطيران.

المسألة الخامسة: قال صاحب «الكشاف» : فإن قلت: ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين؟ قلت موقعه منه موقع الموضح (والمبين) «١» ، لأنه مسوق (لبيانه مؤكد للجحود) «٢» في قلوبهم، فاتبع ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به حتى يعاينوا الوعيد.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٢ الى ٢٠٩]

فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦)

ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

اعلم أنه تعالى لما بين أنهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم، وأنه يأتيهم العذاب بغتة أتبعه بما يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة فقال: فيقولوا هل نحن منظرون كما يستغيث المرء عند تعذر الخلاص، لأنهم يعلمون في الآخرة أن لا ملجأ، لكنهم يذكرون ذلك استرواحا.

فأما قوله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون فالمراد أنه تعالى بين أنهم كانوا في الدنيا يستعجلون العذاب، مع أن حالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ليعرف تفاوت الطريقين فيعتبر به، ثم بين/ تعالى أن استعجال العذاب على وجه التكذيب إنما يقع منهم ليتمتعوا في الدنيا، إلا أن ذلك جهل، وذلك لأن مدة التمتع في الدنيا متناهية قليلة، ومدة العذاب الذي يحصل بعد ذلك غير متناهية، وليس في العقل ترجيح لذات متناهية قليلة على آلام غير متناهية، وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف، فقال له عظني، فلم يزد على تلاوة هذه الآية، فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت، وقرئ يمتعون بالتخفيف، ثم بين أنه لم يهلك قرية إلا وهناك نذير يقيم عليهم الحجة.

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٣٤٨

أما قوله تعالى: ذكرى فقال صاحب «الكشاف» : ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة، إما لأن أنذر وذكر متقاربان، فكأنه قيل مذكرون تذكرة، وإما لأنها حال من الضمير في منذرون، أي ينذرونهم ذوي تذكرة، وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة، أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى، والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى، وجعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة

---

(١) في الكشاف (والملخص) ٣/ ١٢٩ ط. دار الفكر.

(٢) في الكشاف (لثباته مكذبا مجحودا) .." [(١)]

"بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق ب نزل، ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

وإنه لفي زبر الأولين وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٩٧ الى ١٩٩]

أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩)

أولم يكن لهم آية على صحة القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. أن يعلمه علماء بني إسرائيل أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا. وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن يعلمه بدل لهم حال، أو أن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن.

ولو نزلناه على بعض الأعجمين كما هو زي ادة في إعجازه أو بلغة العجم.

فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم، أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم، والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٠ الى ٢٠٣]

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٤/٢٤

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣)

كذلك سلكناه أدخلناه. في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على أنه بخلق الله، وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا.

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان.

فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة. وهم لا يشعرون بإتيانه.

فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٧]

أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)

أفبعذابنا يستعجلون فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء، فأتنا بما تعدنا، وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة.

أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون لم** يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٨ الى ٢٠٩]

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أنذروا أهلها إلزاما للحجة.

ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار، أو الرفع على أنها صفة." (١)

"ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)

﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾** به في تلك السنين والمعنى أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٥٠/٤

أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال الله تعالى أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ثم قال هب أن الأمر كما." (١)

"رأوا العذاب فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال من بني آدم وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم يعني أتتركون العضو المباح من النساء وتميلون إلى أدبار الرجال بل أنتم قوم عادون أي معتدون مجاوزون الحلال إلى الحرام قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين أي من قريتنا قال إني لعملكم من القالين أي من التاركين المبغضين رب نجني وأهلي مما يعملون أي من العمل الخبيث قال الله تعالى فنجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا أي امرأته في الغابرين أي بقيت في المهلكين ثم دمرنا الآخرين أي أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فساء مطر المنذرين إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذب أصحاب الأيكة المرسلين أي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هو اسم البلد إذ قال لهم شعيب لم يقل لهم أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل إليهم ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين إنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء فيما حكي عنهم على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله وطاعته، والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة، أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس أي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين يعني الخليقة والأمم المتقدمة قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا يعني قطعا من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون يعني من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم، وليس العذاب إلي وما علي إلا الدعوة والتبليغ.

[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٨٩ الى ٢١٤]

فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٨٤/٢

مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١) وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣)

على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥) وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨)

فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣)

أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨)

ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣)

وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)

فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب، فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الأعراف وهود فأغنى عن الإعادة هنا والله أعلم بمراده قوله عز وجل وإنه يعني القرآن لتنزيل رب." (١)

"العالمين

يعني أن فيه من أخبار الأمم الماضية ما يدل على أنه من رب العالمين نزل به الروح الأمين يعني جبريل عليه السلام سماه زوجا لأنه خلق من الروح وسماه أمينا، لأنه مؤتمن على وحيه لأنبيائه على قلبك يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وإنما خص القلب لأنه هو المخاطب في الحقيقة، وأنه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الأعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» أخرجاه في الصحيحين. ومن المعقول أن موضع الفرح والسرور، والغم والحزن هو القلب، فإذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء فكأن القلب كالرئيس لها، ومنه أن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فإذا ثبت

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٣١

ذلك كان القلب هو الأمير المطلق، وهو المكلف والتكليف مشروط بالعقل والفهم. قوله تعالى لتكون من المنذرين أي المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وإنه يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر الأولين أي كتب الأولين أولم يكن لهم آية يعني أولم يكن لهؤلاء المتكبرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم أن يعلمه يعني يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم علماء بني إسرائيل.

قال ابن عباس: بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد. قوله تعالى ولو نزلناه يعني القرآن على بعض الأعجمين جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية، وإن كان عربيا في النسب ومعنى الآية، وأنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم يعني القرآن ما كانوا به مؤمنين أي لقالوا لا نفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس: يعني أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به أي القرآن حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم أفبعذابنا يستعجلون قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب، فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم ثم جاءهم ما كانوا يوعدون يعني العذاب ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون أي** في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون أي رسل ينذرونهم ذكرى أي تذكره وما كنا ظالمين أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم وما تنزلت به الشياطين يعني أن المشركين كانوا يقولون: إن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ذلك وما ينبغي لهم أن ينزلوا بالقرآن وما يستطيعون أي ذلك، ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال إنهم عن السمع لمعزولون أي محجوبون بالرمي بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك.

قال ابن عباس: يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق علي، ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك. قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين روى محمد بن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين

فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليها حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد أن لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به، فتناول." (١)

"يقال: هم عدو، أي أعداء. والظاهر أن لو هنا أشربت معنى التمني، وفنكون الجواب، كأنه قيل: يا ليت لنا كرة فنكون. وقيل: هي الخالصة للدلالة لما كان سيقع لوقوع غيره، فيكون قوله: فنكون معطوفا على كرة، أي فكونا من المؤمنين، وجواب لو محذوف، أي لكان لنا شفعاء وأصدقاء، أو لخلصنا من العذاب. والظاهر أن هذه الجمل كلها متعلقة بقول إبراهيم، أخبر بما أعلمه الله من أحوال يوم القيامة، وما يكون فيها من حال قومه.

وقال ابن عطية: وهذه الآيات من قوله: يوم لا ينفع مال ولا بنون هي عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام، وهي أخبار من الله عز وجل، تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزى فيه. انتهى. وكأن ابن عطية قد أعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون، وعلى هذا لا يتأتى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام، وجعل بعضه من كلام إبراهيم، وبعضه من كلام الله، لأن العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الأول، أو الأول. وعلى كلا التقديرين، لا يصح أن يكون من كلام الله، إذ يصير التقدير: ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون. والإشارة بقوله إن في ذلك لآية إلى قصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته لقومه. وما كان أكثرهم:

أي أكثر قوم إبراهيم. بين تعالى أن أكثر قومه لم يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التي استدل بها إبراهيم عليه السلام، وفي ذلك مسلاة للرسول صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه إياه عليه السلام.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٠٥ الى ٢٢٧]

كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (١٠٦) إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩)

فاتقوا الله وأطيعون (١١٠) قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (١١١) قال وما علمي بما كانوا يعملون

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٣٢/٣

(١١٢) إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون (١١٣) وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤)
إن أنا إلا نذير مبين (١١٥) قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (١١٦) قال رب إن قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩)
ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٢١) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢) كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (١٢٤)
إني لكم رسول أمين (١٢٥) فاتقوا الله وأطيعون (١٢٦) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٢٧) أتبنون بكل ريع آية تعبثون (١٢٨) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩)
وإذا بطشتم بطشتم جبارين (١٣٠) فاتقوا الله وأطيعون (١٣١) واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعام وبنين (١٣٣) وجنات وعيون (١٣٤)
إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (١٣٥) قالوا سواء عليٖنا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (١٣٦) إن هذا إلا خلق الأولين (١٣٧) وما نحن بمعذبين (١٣٨) فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٣٩)
وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠) كذبت ثمود المرسلين (١٤١) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون (١٤٢) إني لكم رسول أمين (١٤٣) فاتقوا الله وأطيعون (١٤٤)
وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٤٥) أتتركون في ما هاهنا آمنين (١٤٦) في جنات وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨) وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (١٤٩)
فاتقوا الله وأطيعون (١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون (١٥٢) قالوا إنما أنت من المسحرين (١٥٣) ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين (١٥٤)
قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم (١٥٦) فعقروها فأصبحوا نادمين (١٥٧) فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٥٩)
كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (١٦١) إني لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله وأطيعون (١٦٣) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٦٤)

أتأتون الذكران من العالمين (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦)
قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (١٦٧) قال إني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني
وأهلي مما يعملون (١٦٩)
فنجيناه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزا في الغابرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطرا
فساء مطر المنذرين (١٧٣) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤)
وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٧٥) كذب أصحاب الأيكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم شعيب ألا تتقون
(١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون (١٧٩)
وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٨٠) أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
(١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢) ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (١٨٣)
واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين (١٨٤)
قالوا إنما أنت من المسحرين (١٨٥) وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين (١٨٦) فأسقط
علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين (١٨٧) قال ربي أعلم بما تعملون (١٨٨) فكذبوه فأخذهم
عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩)
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١) وإنه لتنزيل رب
العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤)
بلسان عربي مبين (١٩٥) وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل
(١٩٧) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩)
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم
لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤)
أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون**
(٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)
وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢)
فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦) وتوكل
على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩)

إنه هو السميع العليم (٢٢٠) هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤)
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)." (١)

"توحيد الله وعبادته ورفض ما سواه، وأنهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشتركون في ذلك، وأن ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو ما جاءت به الرسل قبله، وتلك عادة الأنبياء.

قال ابن عطية: وجاءت الألفاظ في دعاء كل واحد من هؤلاء الأنبياء واحدة بعينها، إذ كان الإيمان المدعو إليه معنى واحدا بعينه. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها. فكانت كل واحدة منها تدلي بحق، إلى أن يفتتح بمثل ما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بمثل ذلك مما اختتمت به. ولأن التكرير تقرير للمعاني في النفوس، وتثبيت لها في الصدور، ولأن هذه القصص طرقت بهذا آذان، وقرعن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فأوثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير.

وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك رتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، وإنه لفي زبر الأولين، أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل، ولو نزلناه على بعض الأعجمين، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين، كذلك سلكناه في قلوب المجرمين، لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم، فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون، فيقولوا هل نحن منظرون، أفبعذابنا يستعجلون، أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**، وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون، ذكرى وما كنا ظالمين.

الضمير في: وإنه عائد على القرآن، أي إنه ليس بكهانة ولا سحر، بل هو من عند الله، وكأنه عاد أيضا إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر، ليتناسب المفتتح والمختتم. وقرأ الحرميان، وأبو عمرو، وحفص: نزل مخففا، والروح الأمين: مرفوعان وباقي السبعة: بالتشديد ونصبهما. والروح هنا: جبريل عليه السلام، وقد تقدم في سورة مريم لم أطلق عليه الروح، وبه قال ابن عطية: في موضع الحال كقوله: وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به «١» . انتهى. والظاهر تعلق على قلبك ولتكون بنزل، وخص القلب والمعنى عليك، لأنه محل الوعي والتثبيت، وليعلم أن المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ، لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير، وليكون علة في التنزيل أو النزول اقتصر عليها، لأن ذلك أزجر للسامع، وإن كان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ١٧١/٨

القرآن نزل

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٦١.." [١]

"قوله: ﴿أفرأيت﴾ : قد تقدم تحقيقه. وقد تنازع «أفرأيت» و «جاءهم» في قوله: **«ما كانوا يمتعون»** فإن أعملت الثاني وهو «جاءهم» رفعت به «ما كانوا» فاعلا به، ومفعول «أرأيت» الأول ضميره، ولكنه حذف، والمفعول الثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله: «ما أغنى عنهم» . ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول المحذوف، وهو مقدر، تقديره: أفرأيت ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم تمتعهم، حين حل أي: الموعود به. ودل على ذلك قوة الكلام. وإن أعملت الأول نصبت به «ما كانوا يوعدون» وأضمرت في «جاءهم» ضميره فاعلا به. والجملة الاستفهامية مفعول ثان أيضا. والعائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله، والشرط معترض، وجوابه محذوف. وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام، وإنما ذكرته هنا لأنه تقدير عسر يحتاج إلى تأمل وحسن صناعة، وهذا كله إنما يتأتى على قولنا: إن «ما» استفهامية، ولا يضرنا تفسيرهم له ا بالنفي، فإن الاستفهام قد يرد بمعنى النفي. وأما إذا جعلتها نافية حرفا، كما قال أبو البقاء، فلا يتأتى ذلك؛ لأن مفعول «أرأيت» الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية كما تقرر غير مرة.." [٢]

"كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها، كما قيل في الشعر: إن أعذبه أكذبه، وتجد القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء أو الخيل أو الخمر، أو في مدح شخص معين أو فرس أو ناقة أو حرب أو كائنة أو مخافة أو سبع، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئا إلا قدرة المتكلم المعبر على التعبير على الشيء الخفي أو الدقيق أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيها بيتا أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد وسائرها هذر لا طائل تحته.

وأما القرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلا وإجمالا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا وكلما تكرر حلا وعلا لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والته ديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٨/١٨٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٨/٥٥٨

يفتح القلوب والآذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن، كما قال في الترغيب: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] وقال: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ [الزخرف: ٧١] ، وقال في الترهيب: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ [الإسراء: ٦٨] ، ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك: ١٦، ١٧] وقال في الزجر: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ [العنكبوت: ٤٠] ، وقال في الوعظ: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ [الشعراء: ٢٠٥ -٢٠٧] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة، وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنواهي، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء؛ كما قال ابن مسعود وغيره من السلف: إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأوعها سمعك فإنه خير ما يأمر به أو شر ينهى عنه. ولهذا قال تعالى: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] ، وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشرت به وحذرت وأنذرت؛ ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الأخرى، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم.

ولهذا ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله." (١)

"﴿ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) ﴾ .." (٢)

"يقول تعالى: كذلك سلكنا التكذيب والكفر والجحود والعناد، أي: أدخلناه في قلوب المجرمين. ﴿لا يؤمنون به﴾ أي: بالحق ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ أي: حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١/٢٠٠

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/١٦٣

ولهم سوء الدار.

﴿فيأتيهم بغتة﴾ أي: عذاب الله بغتة، ﴿وهم لا يشعرون. فيقولوا هل نحن منظرون﴾ ؟ أي: يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا [من فزعهم] (١) بطاعة الله، كما قال تعالى: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ [إبراهيم:٤٤] ، فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته، ندم ندما شديدا هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله: ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما [فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون] ﴾ (٢) [يونس:٨٨، ٨٩] ، فأثرت هذه الدعوة في فرعون، فما آمن حتى رأى العذاب الأليم، ﴿حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ [يونس:٩٠، ٩١] ، وقال: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥] الآية.

وقوله تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ : إنكار عليهم، وتهديد لهم؛ فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيبا واستبعادا: ﴿ائتنا بعذاب الله﴾ [العنكبوت: ٢٩] ، كما قال تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ الآية. [العنكبوت: ٥٣] .

ثم قال: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ أي: لو أخرناهم وأنظرناهم، وأملينا لهم برهة من الزمان وحينا من الدهر وإن طال، ثم جاءهم أمر الله، أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعم، ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات:٤٦] ، وقال تعالى: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ [البقرة:٩٦] ، وقال تعالى: ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ [الليل:١١] ؛ ولهذا قال: ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ .

وفي الحديث الصحيح: "يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة (٣) ، ثم يقال له: هل رأيت

---

(١) زيادة من ف، أ.

(٢) زيادة من ف، أ.

(٣) في ف: "فيغمس غمسة في النار".." (١)

"إن متعناهم سنين﴾ كثيرة في الدنيا، يعني كفار مكة، ولم نهلكهم ﴿ثم جآءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني: العذاب ﴿مآ أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**﴾ في تلك السنين، أي: إنهم وإن طال تمتعهم بنعم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن طول التمتع عنهم شيئا، ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط.

قوله: ﴿مآ أغنى عنهم﴾ يجوز أن تكون» ما «استفهامية في محل نصب مفعولا مقدما، و» ما كانوا «هو الفاعل، و» ما «مصدرية بمعنى: أي شيء أغنى عنهم كونهم متمتعين. وأن تكون نافية، والمفعول محذوف، أي: لم يغن عنهم تمتعهم شيئا. وقرىء» يمتعون «بإسكان الميم وتخفيف التاء من: أمتع الله زيدا بكذا.

قوله: ﴿إلا لها منذرون﴾ يجوز أن تكون الجملة صفة ل» قرية «وأن تكون حالا منها. وسوغ ذلك سبق النفي. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد» إلا «ولم تعزل عنها في قوله: ﴿ومآ أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ [الحجر: ٤] ؟ قلت: الأصل عزل الواو، لأن الجملة صفة ل» قرية «وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف، كما في قوله: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾ [الكهف: ٢٢] . قال أبو حيان: ولو قدرنا» لها منذرون «جملة لم يجز أن تجيء صفة بعد (إلا) ، ومذهب الجمهور أنه لا تجيء الصفة بعد» إلا «معتمدة على أداة الاستثناء، نحو: ما جاءني أحد إلا راكب، وإذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل، أي: إلا رجل راكب، ويدل على صحة هذا المذهب أن العرب تقول: ما مررت بأحد إلا قائما ولا يحفظ عنهم» إلا قائم «يعني: بالجر، فلو كانت الجملة صفة بعد» إلا « (لسمع الجر) في هذا.

وأيضا فلو كانت الجملة صفة للنكرة لجاز أن تقع صفة المعرفة بعد «إلا» . يعني نحو: ما مررت بزيد إلا العاقل.." (٢)

"في العجم، وإن كان أفصح الناس، وقرأ الحسن «١» : الأعجميين.

قال أبو حاتم: أراد جمع الأعجمي المنسوب إلى العجم.

وقال الثعلبي: معنى الآية: ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان، فقرأه عليهم بغير لغة العرب- لما آمنوا أنفة من اتباعه، انتهى.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٦٤/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٨/١٥

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٠ الى ٢٠٣]

كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣)

وقوله تعالى: كذلك سلكناه في قلوب المجرمين.

قال ع «٢» : وسلكناه معناه: أدخلناه، والضمير فيه للكفر الذي يتضمنه قوله:

ما كانوا به مؤمنين [الشعراء: ١٩٩] قاله الحسن «٣» ، وقيل الضمير للتكذيب، وقيل للقرآن ورجح بأنه المتبادر إلى الذهن، والمجرمون أراد به مجرمي كل أمة، أي: أن هذه عادة الله فيهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب، فكفار قريش كذلك وهل نحن منظرون أي:

مؤخرون.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٤ الى ٢١١]

أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨)

ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١)

وقوله سبحانه: أفبعذابنا يستعجلون توبيخ لقريش على استعجالهم العذاب، وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: أسقط علينا كسفا من السماء، وقولهم: أين ما تعدنا؟ ثم خاطب سبحانه نبيه- عليه السلام- بقوله:

أفرأيت إن متعناهم سنين.

قال عكرمة: سنين: يريد عمر الدنيا «٤» ، ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية من

---

(١) ينظر: «مختصر الشواذ» ص ١٠٩، و «المحتسب» (٢/ ١٣٢) ، و «الكشاف» (٣/ ٣٣٦) ، و «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٤٣) ، و «البحر المحيط» (٧/ ٤٠) ، وزاد نسبتها إلى ابن مقسم. وهي في «الدر المصون« (٥/ ٢٨٩) .

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٤٤) . [.....]

(٣) أخرجه الطبري (٩/ ٤٧٨) برقم (٢٦٧٨٠) بلفظ «خلقناه» ، وذكره البغوي (٣/ ٣٩٩) ، وابن عطية

(٤/ ٢٤٤) ، والسيوطي (٥/ ١٧٨) ، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن بلفظ «جعلناه» .

(٤) ذكره ابن عطية (٤/ ٣٤٤) .." [١]

"كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦) وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم (٢٢٠) هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)

* * *

(وإنه) القرآن (لتنزيل) منزل (رب العالمين نزل به) الباء للتعدية (الروح الأمين) جبريل (على قلبك) لأنه بلسانك ولغتك، فتفهمه أولا من غير أن تلاحظ الألفاظ كيف جرت، ولو لم يكن بلغتك لكان نازلا على سمعك تسمع الألفاظ، أولا ثم تخرج المعاني منها وإن كنت ماهرا بتلك اللغة أيضا (لتكون من المنذرين) عن كل ما لا يرضى به الله (بلسان عربي مبين) واضح المعنى متعلق." [٢]

"نزول العذاب كما قالوا: " فأتنا بما تعدنا " [الأعراف: ٧٠] نقل أنه لما نزل لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم، قالوا: متى هذا العذاب؟ فنزل " أفبعذابنا يستعجلون "؟! (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أينفعهم تمتعهم في أيام متطاولة، ولم يدفع شيئا من العذاب عنهم (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) رسل ينذرونهم (ذكرى) مصدر لـ منذرون لأن أنذر وذكر متقاربان، أو مفعول له أي: منذرون لأجل الموعظة، أو أهلكناهم بعد إلزام الحجة تذكره وعبرة لغيرهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قبل الإنذار (وما تنزلت به الشياطين) نزل به الروح الأمين لا الشياطين (وما ينبغي لهم) ما يصح للشياطين أن ينزلوا به فإنهم ينزلون للفساد، وما في القرآن إلا الرشاد (وما يستطيعون) إنزاله وإن أرادوا

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٣٧

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/١٩٩

(إنهم عن السمع) عن استراق السمع من السماء بحيث يكون المسموع كلاما مفيدا تاما (لمعزولون) محجوبون كما قالوا: (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) الآية [الجن: ٩] (فلا تدع مع الله إلها." (١)

"﴿ما أغنى عنهم﴾ أي شيء أو أي أعناه أغنى عنهم ﴿**ما كانوا يمتعون**﴾ أي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على أن ما مصدرية **أو ما كانوا يمتعون به** من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأيا ما كان فالاستفهام الإنكار والنفي وقيل ما نافية أي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والأول هو الأولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغ ٢ باء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بأن تمتيعهم ماذا أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يخبر بشيء من ذلك أصلا وقرئ يمتعون من الإمتاع." (٢)

"فإنك متحقق بما كافحناك به، وخاطبناك على مقام لو شاهدك فيه جبريل لاحترق. هـ. على تصحيف في النسخة.

وبالله التوفيق.

ثم هددهم بنزول العذاب، فقال:

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٩]

أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨)

ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

يقول الحق جل جلاله توبيخا لمن اقترح نزول العذاب، كقولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم «١» : أفبعذابنا يستعجلون مع كونهم لا يطيقونه إذا نزل بهم؟ وتقديم الجار للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ هو كون المستعجل به عذابه، مع ما فيه من رعاية الفواصل.

أفرأيت أي: أخبرني. ولما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال «أرأيت» في معنى أخبرني. والخطاب لكل من يسمع، أي: أخبرني أيها السامع: إن متعنا هؤلاء الكفرة سنين متطاولة بطول الأعمار وطيب المعاش، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب، ما أغنى عنهم أي:

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٠١/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٦٦/٦

أى شيء، أو أي إغناء أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون أي**: كونهم متمتعين ذلك التمتع المديد، أي شيء أغنى في دفع العذاب، و (ما) : مصدرية، أو: ما كانوا يتمتعون به من متاع الحياة الدنيا، على أنها موصولة، حذف عائدها، وأيا ما كان فالاستفهام للإنكار والنفي. وقيل: (ما) : نافية، أي: لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب. والأول أرجح.

وما أهلكنا من قرية من القرى المهلكة، إلا لها منذرون قد أنذروا أهلها لتقوم الحجة عليهم، ذكرى أي: تذكرة، وهو مصدر منذرون لأن أنذر وذكر متقاربان، كأنه قيل: لها مذكرون تذكرة. أو مفعول له، أي: ينذرونهم لأجل التذكرة والموعظة، أو خبر، أي: هذه ذكرى، أو يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له، والمعنى: وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلا بعد ما ألزمناهم الحجة، بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم، فلا يعصون مثل عصيانهم، وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين، أو قبل

---

(١) من الآية ٣٢ من سورة الأنفال.." (١)

"وقوله: (قالوا سمعنا وعصينا) [٢ \ ٩٣] ؛ لأن السمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالآذان دون السمع بمعنى الإجابة.

قوله تعالى: (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)

معنى الآية: أن أحد المذكورين يتمنى أن يعيش ألف سنة، وطول عمره لا يزحزحه، أي: لا يبعده عن العذاب، فالمصدر المنسبك من أن وصلتها في قوله: (أن يعمر) فاعل اسم الفاعل الذي هو مزحزحه على أصح الأعاريب، وفي «لو» من قوله: (لو يعمر) ، وجهان: الأول: وهو قول الجمهور أنها حرف مصدري، وهي وصلتها في تأويل مفعول به لـ «يود» والمعنى: (يود أحدهم) أي: يتمنى تعمير ألف سنة، و «لو» : قد تكون حرفا مصدريا لقول قتيلة بنت الحارث:

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

أي: ما كان ضرك منه.

وقال بعض العلماء: إن (لو) هنا هي الشرطية، والجواب محذوف وتقديره: لو يعمر ألف سنة، لكان ذلك أحب شيء إليه، وحذف جواب (لو) مع دلالة المقام عليه واقع في القرآن وفي كلام العرب، فمنه في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/١٦٤

القرآن؛ قوله تعالى: (كلا لو تعلمون علم اليقين) [١٠٢ \ ٥] أي: لو تعلمون علم اليقين لما (ألهاكم التكاثر) [١٠٢ \ ١] ، وقوله: (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) [١٣ \ ٣١] أي: لكان هذا القرآن أو لكفرتم بالرحمن، ومنه في كلام العرب قول الشاعر:

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ... ولكن لم نجد لك مدفعا

أي: لو شيء أتانا رسوله سواك لدفعناه. إذا عرفت معنى الآية فاعلم أن الله قد أوضح هذا المعنى مبينا أن الإنسان لو متع ما متع من السنين، ثم انقضى ذلك المتاع وجاءه العذاب أن ذلك المتاع الفائت لا ينفعه، ولا يغني عنه شيئا بعد انقضائه وحلول العذاب محله. وذلك في قوله: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**) [٢٦ \ ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧] وهذه هي." (١)

"قوله تعالى: فيقولوا هل نحن منظرون.

لفظة: هل هنا يراد بها التمني، والآية تدل على أنهم تمنوا التأخير والإنظار، أي: الإمهال، وقد دلت آيات أخر على طلبهم ذلك صريحا، وأنهم لم يجابوا إلى ما طلبوا ؛ كقوله تعالى: وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال [١٤ \ ٤٤] وأوضح أنهم لا ينظرون في آيات من كتابه ؛ كقوله تعالى: فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون [٢١ \ ٤٠] وقوله تعالى: وما كانوا إذا منظرين [٤٤ \ ٢٩] إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون. قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة «الرعد» ، في الكلام على قوله تعالى: ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الآية [١٣ \ ٦] وذكرنا طرفا منه في سورة «يونس» ، في الكلام على قوله تعالى: قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون [١٠ \ ٥٠ – ٥١] .

قوله تعالى: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**.

قد قدمنا إيضاحه في سورة «البقرة» ، في الكلام على قوله تعالى: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر [٢ \ ٩٦] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤١/١

قوله تعالى: وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون. قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة «بني إسرائيل» ، في الكلام على قوله تعالى: وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [١٧ \ ١٥] .

قوله تعالى: ذكرى وما كنا ظالمين. قد قدمنا الآيات الدالة عليه ؛ كقوله تعالى: إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون [١٠ \ ٤٤] وقوله تعالى: إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما [٤ \ ٤٠]." (١)

"وتكذيب بأنه لا يأتيهم العذاب تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٥٢٥) - .

آثار متعلقة بالآية

(٥٦٥٩٦) - عن أنس بن مالك: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «هل كنت تدعو بشيء، أو تسأله إياه؟» - قال: نعم، كنت أقول: اللهم، ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «سبحان الله! لا تطيقه -أو: لا تستطيعه -، أفلا قلت: اللهم، آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؟!» - قال: فدعا الله له، فشفاه أخرجه مسلم (٤) / (٢٠٦٨) ((٢٦٨٨))، وابن جرير (٣) / (٥٤٥)، وابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٢٢) ((١٥٩٩٦))، والبغوي في تفسيره (١) / (٢٣٣) - وأورده الثعلبي (٢) / (١١٦) - .

(أفرءيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧))

نزول الآيات

(٥٦٥٩٧) - عن أبي جهضم، قال: رئي النبي - صلى الله عليه وسلم - كأنه متحير، فسألوه عن ذلك، فقال: «ولم؟! ورأيت عدوي يلون أمر أمتي من بعدي» - فنزلت: (أفرأيت إن متعناهم سنين ((٢٠٥)) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ((٢٠٦)) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ((٢٠٧))) فطابت نفسه أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٢٣) ((١٥٩٩٧)) مرسلا - .

تفسير الآيات

(٥٦٥٩٨) - عن عكرمة مولى ابن عباس، (أفرأيت إن متعناهم سنين)، قال: مثل عمر الدنيا أخرجه يحيى

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٩٩

بن سلام (٢) / (٥٢٥) - .

(٥٦٥٩٩) - عن أبي زيد فيض بن إسحاق، قال: سألت الفضيل بن عياض عن قول الله: (أفرأيت إن متعناهم سنين ((٢٠٥)) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ((٢٠٦)) ما أغنى

(١) ".

"**عنهم ما كانوا يمتعون** ((٢٠٧)))، قال: قراءتها تفسيرها أخرجه ابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٢٣) -

.

(٥٦٦٠٠) - قال مقاتل بن سليمان: (أفرأيت إن متعناهم سنين) في الدنيا، (ثم جآءهم) بعد ذلك العذاب (ما كانوا يوعدون * مآ أغنى عنهم) من العذاب (**ما كانوا يمتعون**) في الدنيا تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٢٨٠) - .

(٥٦٦٠١) - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم - من طريق ابن وهب - في قوله: (أفرأيت إن متعناهم سنين) إلى قوله: (ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون)**، قال: هؤلاء أهل الكفر أخرجه ابن جرير (١٧) / (٦٥١)، وابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٢٣) مختصرا من طريق أصبغ - .

(٥٦٦٠٢) - قال يحيى بن سلام: قوله : (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) العذاب تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٥٢٥) - .

آثار متعلقة بالآية

(٥٦٦٠٣) - عن سليمان بن عبد الملك - من طريق يزيد بن حازم - أنه كان لا يدع أن يقول في خطبته كل جمعة: إنما أهل الدنيا فيها على وجل، لم تمض بهم نية، ولم تطمئن لهم دار، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجعاتها، ولا يبقى فيها شيء - ثم يتلو: (أفرأيت إن متعناهم سنين ((٢٠٥)) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ((٢٠٦)) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ((٢٠٧))) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا (٥) / (١٣٠) - (١٣١) ((٢٧١)) ، وابن أبي حاتم (٩) / (٢٨٢٢) ((١٥٩٩٦)) - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد - .

(٥٦٦٠٤) - عن عبيد الله بن موسى، قال: سمعت الحسن بن صالح يقول: لقد دخل التراب من هذا المصر قوم قطعوا عنهم الدنيا بالصبر على طاعة الله، وبين لهم هذا القرآن غير غير الدنيا: تغير حالها، وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد - النهاية (غير) - الدنيا، قال: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٦٦/٢٩

كانوا يوعدون ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون**) - ثم بكى حسن، ثم قال: إذا جاء الموت وسكراته لم يغن عن الفتى ما كان فيه من النعيم واللذة - ثم مال مغشيا عليه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا (٤) / (٣٢٣٣) ((٦١)) - .

(وما أهلكنا من قرية)

(٥٦٦٠٥) - ". [1]

"﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ فيقولون: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال: ٣٢] ﴿فاتنا بما تعدنا﴾ [الأعراف: ٧٠]، وحالهم عند حلول (١) العذاب طلب النظرة، فجيء بالهمزة للإنكار، والفاء دلالة (٢) على ترتيبه على السابق، إلا أنها أخرت لأن همزة الاستفهام لها حق الصدارة وإن استعيرت لمعنى آخر.

قال يحيى بن معاذ: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته، والتذ بمراداته (٣)، وسكن إلى مألوفاته، والله يقول: (٢٠٥ - ٢٠٧) - ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾**.

﴿أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ (٤) من العذاب ﴿ما أغنى عنهم **ما كانوا يمتعون﴾** به في تلك السنين في دفع العذاب وتخفيفه.

* * *

(١) في (ك): " نزول ". (٢) في (ف): "دالة". (٣) في (ك): " بمراراته". (٤) انظر: "تفسير السلمي" (٢/ ٨١).

الجزء: ٧ - الصفحة: ٤٢٨

وإنما جيء بفعل الرؤية والاستفهام ليكون في معنى أخبر إفادة لمعنى التعجب والإنكار، وأن من حق هذه

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٦٧/٢٩

القصة أن يخبر بها كل أحد حتى يتعجب (١).

وزيادة (كان) في الموضعين لإفادة الاستمرار.

* * *

(٢٠٨) - ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾.

﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها﴾ لم تدخل الواو على الجملة بعد إلا كما في: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٤)﴾ [الحجر: ٤] لأن الأصل عدم الواو؛ إذ الجملة صفة لـ ﴿قرية﴾، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف.." (١)

"ولدينا مزيد﴾ (١) ولا ينقص ذلك حظهم من لذات أرواحهم؛ فإنه تتوافر لذات قلوبهم، وتتزايد على ما كانت للمؤمنين في الدنيا، مما لا نسبة لما كان في الدنيا إليه.

فإن الخبر في الدنيا يصير هناك عيانا، فأعلى نعيمهم هناك رؤية الله عز وجل ومشاهدته، وقربه ورضاه، ويحصل لهم بذلك نهاية المعرفة به والأنس، وتتزايد هنالك لذة ذكره على ما كانت في الدنيا؛ فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وتصير كلمة التوحيد لهم كالماء البارد لأهل الدنيا. فعلم بهذا أن العيش الطب على الحقيقة لا يحصل في الدنيا، إنما يكون بعد الموت. فإن من يوفر حظه من نعيم روحه وقلبه في الدنيا يتوفر في الآخرة أيضا، ومن توفر حظه من نعيم جسده في دنياه وسر بها نقص في الدنيا ونقص به أيضا حظه من نعيم الآخرة.

ومع هذا فهو نعيم منغص لا يدوم ولا يبقى، وكثيرا ما ينغص بالأمراض والأسقام، وربما انقطع وتبدل صاحبه بالفقر و الذل بعد الغنى والعز. وإن سلم من ذلك كله فإنه ينغصه الموت، فإذا جاء الموت فما كان من تنعم بالدنيا ولذاتها كأنه ما ذاق شيئا من لذاتها، خصوصا إن انتقل بعد الموت إلى عذاب الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾ إلى قوله: ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (٢).

وكان الرشيد قد بنى قصرا، فلما فرغ منه ونجزه وفرشه استدعى فيه بطعام وشراب وملاهي، واستدعى أبا العتاهية، فقال له: صف لي ما نحن فيه من العيش. فأنشأ يقول:

---

(١) تفسير ابن كمال باشا ٤٠٦/٦

عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور

فذا النفوس تقعقعت (٣) ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور

---

(١) ق:٣٥.

(٢) الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧.

(٣) تقعقعت: اضطربت وتحركت. "القاموس المحيط" مادة: (قعقع).." [١]

"نعيم الدنيا قط، كما قال الله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (١).

وقال بعض السلف: إذا جاء الموت لم يغن عن الإنسان ما كان فيه من النعيم واللذة، ثم تلا هذه الآية.

وكان الرشيد قد بنى قصرا فلما فرغ منه نجده وفرشه، واستدعى إليه أنواع الأطعمة والأشربة، وجلس مع ندمائه استدعى إليه أبا العتاهية، فأمره أن يصف ما هم فيه من النعيم والعيش، فقال أبو العتاهية:

عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور

فإذا النفوس (تقعقعت) (٢) ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور

فبكى واشتد بكاؤه، فقال الوزير لأبي العتاهية: دعاك أمير المؤمنين للمسرة فأحزنته! فقال: دعه فإنه رآنا في عمى، فكره أن يزيدنا عمى.

قال مالك بن دينار: رأيت بالبحرين قصرا مشيدا طريا وعلى بابه مكتوب:

طلبت العيش أسعد ناعميه ... وعشت من المعايش في النعيم

فلم ألبث ورب الناس طرا ... سلبت من الأقارب والحميم

فقلت: ما هذا القصر؟ قالوا: هذا أنعم أهل البحرين، مات فأوصى أن يدفن في قصره، وأن يكتب على بابه هذا الكلام.

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ١/ ١٢٠

قال مالك: فعجبت من معرفته، فهلا يستقبل الموت بتوبة، ثم بكى مالك.

إذا غمس أنعم الناس كان في الدنيا في العذاب غمسة. قيل له: هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا يا رب.

---

(١) الشعراء: ٢٠٥.

(٢) تقعقعت: اضطربت. "لسان العرب" (٨/ ٢٨٦).." [1]

"الباب الأول

في ذكر عبادته واجتهاده وتهجده وبكائه وإخفائه لذلك

روى الحافظ أبو نعيم ﴿في﴾ (١) كتاب "حلية الأولياء" بإسناده عن بعض مشيخة أهل الشام قال: كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك -رحمه الله.

وروى الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب "فضائل القرآن" بإسناده عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك، ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك وهو عزب، فكنت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه. ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (٢). الآية. فيبكي، ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عليه، فلما (٣) سمعني سكت فلم أسمع له حسا -رحمه الله تعالى.

...

---

(١) طمس بالأصل والسياق يقتضيها.

(٢) الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧.

(٣) في "الأصل": فلم.." [2]

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ١٧١/١

(٢) مجموع رسائل ابن رجب، ابن رجب الحنبلي ٤٧٩/٢

"وحكي أن أبا زيد في حداثته، وحال فقره وخلته كان التمس من أبي علي المنيري حنطة، فأمره بحمل جراب إليه ففعل، فلم يعطه حنطة، وحبس الجراب، ومضى على هذا أعوام كثيرة، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصعانيان، وكتب إلى أبي زيد كتبا لم يجبه أبو زيد عنها، فكتب إليه شهيد بهذين البيتين، يعيره بحديث الجراب:

أمني النفس منك جواب كتبي ... وأقطعها لتسكن وهي تابي

إذا ما قلت سوف يجيب قالت ... إذا رد المنيري الجرابا

قال: وقرأت بخط أبي الحسن الحديثي، على ظهر كتاب كمال الدين لأبي زيد، قال أبو بكر الفقيه: ما صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات، صنفه أبو زيد البلخي، وهذا الكتاب يعني كتاب كمال الدين.

وكان لأبي زيد حافد يقال له علي بن محمد بن أبي زيد، قال: ولأبي زيد نحو من سبعين تأليفا، قال: ولقي أحمد بن سهل الأمير أبا زيد في طريق، وقد أجهده السير، فقال له: عييت أيها الشيخ، فقال أبو زيد: نعم أعييت أيها الأمير، فنبهه أنه لحن في قوله " عييت " إذ العي في الكلام، والإعياء في المشي، وأنشد أبو زيد:

لكل امرئ ضيف يسر بقربه ... ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف

تناءت بنا دار الحبيب اقترابها ... فلم يبق إلا رؤية الطيف للطيف

وقال أبو زيد: كان ببلخ مجنون من عقلاء المجانين وكان يعرف بأبي إبراهيم إسحاق بن إسحاق البغدادي، " من عقلاء المجانين " دخل إلي وكنت ألاعب الأهوازي بالشطرنج، فقال أبو زيد والأهوازي لك فتحيرت في هذا الكلام، فقال لي احسب فحسبت بحروف الجمل، فكان ستون، قال فصل بين كنيتك وكنيته الأهوازي، قال فوصلت، فإذا أبو زيد ثلاثون، والأهوازي ثلاثون، فقضيت عجبا من اختراعه في تلك الوهلة هذا الحساب.

وأما خبر وفاته، فقال صاحب الكتاب المذكور: ذكر أبو زيد الدمشقي قال: دخلت على أبي زيد – رحمه الله – يوم الجمعة ضحوة لعشر بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فوجدته ثقيلا من علته، فسلمت سلاما ضعيفا، ثم قال: يا أبا بكر قد انقطع السبب، وما هو إلا فراق الإخوان، ودمعت عينه، وبكيت أنا، وقلت: أرجو أن يشفع الله الشيخ فينا وفي عترتنا بعافيته، فقال: أيهات: وقرأ هذه الآية: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم قال: لا تغب عني وكن

بالقرب.

فلما كان عند العتمة قال: انصرفوا حتى أدعوكم، وقال لابنه الحسين إذا طلع القمر ونزل في الدار فأعلمني، فلما طلع القمر أعلمه، فصاح بهم فجاءوا، وقال أطلع القمر؟ فقالوا: نعم، قال: اجمعوا كل من في المنزل، فاجتمعوا عليه، فسأل كل واحد منهم عن حاله، وعن كسوته، وعن آلة الشتاء، ثم قال: بقي شيء لم أصلحه لكم. قالوا: لا: فاستحلفهم ثم قال: عليكم السلام، هذا آخر اجتماعي معكم، ثم جعل يتشهد ويستغفر، ثم قال: قوموا فقد جاء نوبة غيركم، فخرجوا من باب الطارمة، وهم يسمعون تشهده، ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبه، رحمه الله، هذا العقل والتمييز صار كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

قال المؤلف: هذا آخر ما كتبته عن كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد، وما أرى أن أحدا جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به، أثابه الله على اهتمامه الجنة، وسأكتب أخبار أبي القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه، ولم أخل من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع.

وقال المرزباني: أحمد بن سهل البلخي محدث معتمدي وهو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي، وقد توفي ببلخ:

إن المنية رامتنا بأسهمها ... فأوقعت سهمها المسموم بالحسن

أبو محمد الأعلى فغادره ... تحت الصفيح مع الأموات في قرن

يا قبر إن الذي ضمنت جثته ... من عصبة سادة ليسوا ذوي أفن

محمد وعلي ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن

صلى الإله عليهم والملائكة ال ... مقربون طوال الدهر والزمن." (١)

""""" صفحة رقم ٢٦٢ """"

وإني أوصيه أن يصرف هذا المهم همته وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويراقب سريرته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله وإصداره وإيراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد أو هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحا منغصا مشوبا بالكدورات مشحونا بالهموم والغموم ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله

---

(١) معجم الأدباء، ١٠٩/١

فليفتح عن بصيرته لتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه وليتدبر ما هو بصدده

فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرة أهلكها الله تعالى وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمارتها

وإن كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر فليفكر كم من بئر معطلة وقصر مشيد بعد عمارتها

وإن كان مهتما بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها

وإن كان معتنيا بعمارة الحدائق البساتين فليعتبر) كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة (الآية وليقرأ قوله) أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (."(١)

"١ ـ عبادته وبكاؤه: عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك، ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك وهو عزب، فكنت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي، حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ((أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون..)) (الشعراء ، الآيتان : ٢٠٥ ـ ٢٠٦). فبكى، ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عليه، فلما سمعني سكت فلم أسمع له حسا(١) رحمه الله.

٢ ـ علمه وفقهه وفهمه: جمع عمر بن عبد العزيز الناس واستشارهم في رد مظالم الحجاج، فكان كلما استشار رجلا قال له: يا أمير المؤمنين، ذاك أمر كان في غير سلطانك ولا ولايتك، فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه، حتى خلص بابنه عبد الملك، فقال له ابنه عبد الملك: يا أبه ما من رجل استطاع أن يرد مظالم الحجاج إن لم يردها أن يشركه فيها. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت أنك أفقه الناس، وهذا الذي قاله عبد الملك، ومدحه عليه أبوه، وهو الصواب، فإن الإمام إذا قدر على رد مظالم من قبله من الولاة وجب عليه وهو ذلك بحسب الاستطاعة(٢).

(١) طبقات الشافعية الكبرى . ، ٦/٢٦٢

وقد كان عمر بن عبد العزيز وأبنه عبد الملك من العلماء الذين جمعوا بين العلم بالله الذي يقتضى خشيته ومحبته والتبتل إليه، وبين العلم بالله الذي يقتضي معرفة الحلال والحرام والفتاوى والأحكام(٣).

---

(١) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/٤٧٩) .

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٨١) .

(٣) المصدر نفسه (٢/٤٨١) .." [1]

"واهتم صلى الله عليه وسلم بغرس حقيقة المصير وسبيل النجاة لأصحابه مؤقنا أن من عرف منهم عاقبته وسبيل النجاة والفوز في هذه العاقبة، سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك هذا السبيل، حتى يظفر غدا بهذه النجاة وذلك الفوز، فقد ركز صلى الله عليه وسلم في هذا البيان على الجوانب التالية:

. إن هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى زوال، ،أن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" (يونس ، آية : ٢٤" "قل متاع الدنيا قليل" (النساء ، آية : ٧٧".

. وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسئولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون، "أيحسب الإنسان أن يترك سدى" (القيامة ، آية : ٦٣).

. وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارته في الدنيا وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا: "أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" (الشعراء ، آيات : ٢٠٥ ـ ٢٠٧) ، "كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية" (الحاقة ، آية : ٢٤).

. وأن الناس مع زوال الدنيا واستقرارهم في الجنة، أو في النار سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال والشدائد "يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم * يوم يرونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد"(الحج ، آيات : ١ ـ ٢)، وقال تعالى: "وكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا" (المزمل ، آيات : ١٧ ـ ١٨).." [2]

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٣/٦٦٤

(٢) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص/٣٢

"ابن حازم: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة، لا يدع أن يقول: أيها الناس إنما أهل الدنيا على رحيل لم تمض بهم نية ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي وعد الله وهم على ذلك، لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها، ولا يتقى من شر أهلها، ثم قرأ: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (١). وكان رحمه الله ينهى الناس عن الغناء. وعن ابن سيرين قال: يرحم الله سليمان بن عبد الملك، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لوقتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز. توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين.

موقفه من الجهمية:

جاء في السنة لعبد الله عن محمد بن قيس قال: إن فضل القرآن على الكلام كفضل الخالق على سائر خلقه. قال محمد بن قيس سمعت سليمان بن عبد الملك يخطب بها على المنبر. (٢)

طلق بن حبيب (٣) (قبل ١٠٠ هـ)

طلق بن حبيب، الموفق النجيب، والمتعبد اللبيب، العنزي، بصري زاهد كبير، من العلماء العاملين. روى عن أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله،

---

(١) الشعراء الآيتان (٢٠٥و٢٠٧).

(٢) السنة لعبد الله (٢٨).

(٣) طبقات ابن سعد (٧/ ٢٢٧) والحلية (٣/ ٦٣ - ٧٥) والتاريخ الكبير (٤/ ٣٥٩) والجرح والتعديل (٤/ ٤٤٠ - ٤٩١) والسير (٤/ ٦٠١ - ٦٠٣) وتهذيب الكمال (١٣/ ٤٥١ - ٤٥٤).." (١)

"الآيات «١» أفرأيت إن متعناهم سنين* ثم جاءهم ما كانوا يوعدون* ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون «٢» . ثم بكى، ثم رجع إليها، ثم بكى، ثم لم يزل يفعل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء. فلما رأيت ذلك، قلت: سبحان الله والحمد لله، كالمستيقظ من النوم؛ لأقطع ذلك عنه. فلما سمعنى ألبد «٣» ، فلم أسمع له حسا.

قتل بقلنسوة «٤» سنة ثلاث وثلاثين (أى: ومائة) فى آخرين من بنى أمية، حملوا من مصر. روى عنه عبيد

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٥٠٤/١

الله بن أبى جعفر «٥» .
٦٨١- عاصم بن على بن عاصم القسام: يكنى أبا محمد. كان يسمع معنا، ومنا.
توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة «٦» .
٦٨٢- عاصم بن العلاء بن مغيث بن الحارث بن عامر الخولانى، ثم الجدادى «٧» المصرى: يكنى أبا الليث. روى شيئا يسيرا. روى عنه ابن وهب، وإدريس بن يحيى الخولانى «٨» . مات فى شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين ومائة «٩» .." (١)

"ولو أعطيت ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه ما قبلته، فكيف آسى على ما بقي منها! وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا للدنيا ولابن آدم عند الموت، كمثل رجل له ثلاثة أخلاء، فلما حضره الموت قال لأحدهم: قد كنت لي خلا مكرما مؤثرا وقد حضرني من أمر الله تعالى ما ترى، فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها أنا بين يديك فخذ مني زادا ينفعك. ثم قال للثاني: قد كنت عندي آثر الثلاثة، وقد نزل بي أمر الله تعالى ما ترى، فماذا عندك؟ فيقول: هذا أمر الله تعالى غلبني عليك ولا أستطيع أن أنفس كربك، ولكن ها سأقوم عليك في مرضك، فإذا مت أنقيت غسلك وجودت كسوتك وسترت جسدك وعورتك. ويقول للثالث: قد نزل بي أمر الله تعالى ما ترى، وأنت أهون الثلاثة علي فماذا عندك؟ فيقول: إني قرينك وحليفك في الدنيا والآخرة، أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج منه حين تخرج ولا أفارقك أبدا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: الأول ماله والثاني أهله والثالث عمله.

ولما لقي ميمون بن مهران الحسن البصري قال له: قد كنت أحب لقاءك فعظني. فقرأ الحسن: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين*ثم جاءهم ما كانوا يوعدون*ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (الشعراء٢٠٧: ٢٠٥) . فقال: عليك السلام أبا سعيد لقد وعظت أحسن موعظة، واعجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى الأولى! واعجبا كل العجب للمكذب بالنشور وهو يموت كل ليلة ويحيا! واعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور! واعجبا كل العجب للمختال الفخور وإنما هو خلق من نطفة ثم يعود جيفة، وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به! وروي أن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام قال: جماع الخير كله في أربع: واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الناس. فأما التي لي فأن تعبدني ولا تشرك بي شيئا. وأما التي لك فاعمل ما شئت فإني أجزيك به. وأما التي بيني وبينك

(١) تاريخ ابن يونس المصرى ابن يونس ٢٥١/١

فعليك الدعاء وعلي الإجابة. وأما التي بينك وبين الناس فكن لهم كما تحب أن يكونوا لك. وقال سليمان بن داود عليهما السلام: أوتينا ما أوتي الناس وما لم يؤتوا، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا، ولم نجد شيئا أفضل من خشية الله تعالى في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر.

وكتب معاوية إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبي إلي بكتاب توصيني فيه ولا تكثري علي، فكتبت عائشة: سلام عليك. أما بعد. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام. ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه أدخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق، ودعا الحسن والحسين فقال: أوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا. ولا تأسفا على شيء فاتكما منها، اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا، ثم دعا محمدا وقال له: أما سمعت ما أوصيت به أخويك؟ قال: بلى. قال: فإني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما. ثم أقبل عليهما وقال: أوصيكما به خيرا فإنه سيفكما وابن أبيكما، وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه فأحباه.

ثم قال له: يا بني أوصيك بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى، والغضب والقصد في الغنى والفقر، والعدل على الصديق والعدو، والعمل في النشاط والكسل، والرضى عن الله في الشدة والرخاء. يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده." (١)

"عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (١) وهو أعزب وكنت معه في بيته فلما صلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه أوى عبد الملك (٢) إلى فراشه فلما ظن أن قد نمنا قام إلى المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه ثم جعل يصلي حتى ذهب بي النوم قال فاستيقظت فإذا هو يقرأ في هذه الآية " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** " (٣) ثم بكى ثم رجع إليها ثم بكى ثم لم يزل يفعل ذلك حتى قلت سيقتله البكاء فلما رأيت ذلك قلت سبحان الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عنه فلما سمعني ألبد فلم أسمع له حسا قال وقال أنا أبو سعيد بن يونس عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قتل بقلنسوة (٤) سنة ثلاث وثلاثين في آخرين من بني أمية حملوا من مصر روى عنه عبيد الله بن أبي جعفر

٣٠٠٨ – عاصم بن بهدلة أبي النجود أبو بكر الأسدي الكوفي المقرئ (٥) صاحب القراءة المعروفة قرأ

---

(١) سراج الملوك أبو بكر الطرطوشي ص/٢٧

القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش قرأ عليه أبو بكر بن عياش وحماد بن أبي زياد وأبو عمر حفص بن سليمان الأسدي وأبو الوليد سلام بن سليمان الخراساني

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من م

(٢) فوق عبد الملك في م: لعله عمر بن عبد العزيز

(٣) سورة الشعراء الآيات: ٢٠٥ - ٢٠٧

(٤) حصن قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان) وفيه أنه قتل في هذا الموضع عاصم وجماعة (ذكرهم) من بني أمية حملوا من مصر

(٥) ترجمته في تهذيب الكمال ٩ / ٢٨٩ وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٩ ميزان الاعتدال ٢ / ٣٥٧ والوافي بالوفيات ١٦ / ٥٤٢ سير الأعلام ٥ / ٢٥٦ تاريخ الإسلام (حوادث سنة ١٢١ - ١٤٠) ص ١٣٨ شذرات الذهب ١ / ١٧٥ وفيات الأعيان ٣ / ٩ غاية النهاية ١ / ٣٦١ طبقات ابن سعد ٦ / ٢٢٤ ومصادر أخرى كثيرة وردت بحواشي سير الأعلام وتاريخ الإسلام والوافي." (١)

"عليها فقلت يا بني ألم تكن قد مت قال بلى استشهدت فأنا في الأحياء المرزوقين قال قلت مجئ ما جئت قال توفي عمر الليلة فنادى منادي (١) من السماء أن يتلقى جنازته جميع الأنبياء والشهداء فأنا فيهم قال فاسترجعت فلما أردت أن أنهض أومأ إلي الشيخ قال قد حفظت الرؤيا التي كنت عنها سألت ثم تلا " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جائهم ما كانوا يوعدون ما **أغنى ما كانوا يمتعون** " (٢) ثم قام إلى الصلاة وما كلمني بكلمة عداها فمضيت فلم أدرك عمر أخبرنا أبو سعد بن البغدادي أنا أبو منصور بن شكروية وأبو بكر السمسار قالا أنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن خرشيد (٣) قوله نا أبو عبد الله المحاملي نا عبد الله بن شبيب حدثني أبو بكر بن شيبة نا عبد الملك بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن محمد وعلي بن عبد الله بن بعجة (٤) عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال بينما رجل في أندر له بالشام قال أبو سعيد الأندر البيدر يعالجه في بعض قرياته ومعه زوجته وقد كان ابن له استشهد قبل ذلك بما شاء الله إذ رأى الرجل فارسا قد أقبل فقال لامرأته ابني وابنك يا فلانة قالت له اخس عنك الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وأنت مفتون قال فأقبل على عمله واستغفر الله قال ثم نظر وأتى الفارس فقال ابنك والله يا فلانة ونظرت فقالت هو والله هو فوقف عليهما فتنزهزها إلى القيام إليه فقال له أبوه أليس قد استشهدت يا بني

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٢٠/٢٥

قال بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفي في هذه الساعة من هذا اليوم واستأذن الشهداء ربهم تعالى ذكره في شهوده فكنت منهم فاستأذنته في السلام عليكما قال ثم دعا لهم وانصرف قال فمات يعني عمر بن عبد العزيز تلك الساعة وما كان لأهل القرية إلا بحديث الشيخ قال ووجد قد توفي في تلك الساعة في ذلك اليوم أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني نا أبو محمد الكتاني أنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري أنا أبو سليمان بن زبر قال نا أبو إسحاق إبراهيم بن مروان نا مؤمل بن

---

(١) كذا بالأصل وم وز منادي باثبات ياء المنقوص

(٢) سورة الشعراء الآية: ٢٠٥ – ٢٠٧

(٣) في " ز ": خورشيد

(٤) الحرف الأول في الأصل وم بدون إعجام أعجمت اللفظة عن " ز "." (١)

"لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز قلت لها نعم قالت شقي ما بقاؤك (١) إلى هذا الزمان السوء قال فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا فقال ميمون يا أبا سعيد إني قد أنست من قلبي غلظة (٢) لي منه فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** " (٣) قال فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة فأقام طويلا ثم أفاق فجاءت الجارية فقالت قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا فأخذت بيداي فخرجت به ثم قلت له يا أبتاه هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا قال فوكز في صدري ثم كره ثم قال يا بني لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها لألفى لها فيها كلوما أخبرنا أبو الحسن الغساني أخبرنا أبو الحسن السلمي أنا جدي أنا الخرائطي نا أبو منصور الصاغاني نصر بن داود حدثنا يحيى بن يوسف الزمي (٤) حدثنا أبو المليح قال قال ميمون بن مهران إن الظالم والمعين على الظالم والمحب له سواء أخبرنا محمد بن طاووس أخبرنا علي بن محمد بن محمد أنا علي بن محمد بن بشران أنا أبو علي (٦) بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى العبدي عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص ومن شريك صحيح (٧) قال وحدثنا ابن أبي الدنيا حدثني سريج (٨) بن يونس حدثنا سليمان بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه (٩)

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥٨/٤٥

(١) في " ز ": ما أبقاك

(٢) رسمها بالاصل: " فاستأنست " وفي " ز ": " فاساءنا منه " وفي د: " فاستا لي " وفي م: " فاستنام منه "

(٣) سورة الشعراء الاية: ٢٠٥ - ٢٠٧

(٤) تهذيب الكمال ١٨ / ٥٥٠

(٥) ما بين معكوفتين سقط من الاصل ومكانه بياض في " ز " وم وكتب على هامش " ز ": مقطوع والمستدرك عن د وتهذيب الكمال

(٦) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدرك عن د ومكانه بياض في م ومكان " أنا أبو علي " بياض في " ز "

(٧) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وم واستدرك للايضاح عن د و " ز "

(٨) الاصل ود و " ز " وم: شريح

(٩) تهذيب الكمال ١٨ / ٥٥٠." (١)

"أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو القاسم الخلال أنا أبو أحمد طالب بن عثمان الأزدي ح وأخبرنا أبو سعد بن البغدادي أنا محمد بن أحمد بن شكرويه ومحمد بن أحمد السمسار قالا نا إبراهيم بن عبد الله قالا (١) نا الحسين بن إسماعيل المحاملي نا أبو الأشعث نا حماد بن يزيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال رأيت حسان بن ثابت وله ناصية قد سدلها بين عينيه وقال إبراهيم بين يديه أنبأنا أبو محمد (٢) بن السمرقندي وعلي بن بركات الخشوعي قالا (٣) ثنا أبو بكر الخطيب أنبأ ابن بشران أنبأ ابن صفوان نا ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن العباس حدثنا عبيد الله بن عمر نا حماد بن زيد نا يزيد بن حازم قال كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة ويقول في خطبته ألا إن أهل الدنيا فيها على وجل لم تمض بهم نية ولم تطمئن بهم دار حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وكذلك لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها يتقى شرار أهلها ثم يقرأ " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٤) " أخبرنا أبو البركات بن المبارك أنا أحمد بن الحسن أنبأ أبو محمد بن رباح أنا أبو بكر المهندس نا أبو بشر الدولابي ثنا معاوية بن صالح قال سمعت يحيى يقول في تسمية أهل

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٥٣/٦١

البصرة يزيد بن حازم أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع أنا أبو عمرو بن منده أنا أبو محمد بن يوة أنا أبو الحسن اللنباني (٥) نا أبو بكر بن أبي الدنيا قال نا محمد بن سعد قال (٦) في الطبقة الرابعة يزيد بن حازم الأزدي قرأت على أبي غالب بن البنا عن أبي محمد الجوهري (٧) أنا أبو عمر بن حيوية أنا

---

(١) قوله: " بن عبد الله قالا " مكانه بياض في " ز "

(٢) كذا بالاصل وم وفي " ز ": القاسم

(٣) كتبت فوق الكلام في " ز "

(٤) سورة الشعراء الايات ٢٠٥ - ٢٠٧

تحرفت بالاصل و " ز " إلى: اللبناني بتقديم الباء وبدون إعجام في م

(٦) الخبر برواية ابن أبي الدنيا ليس في الطبقات الكبرى لابن سعد

(٧) زيد بعدها في " ز ": وحدثنا عمي رحمه الله أنا أبو غالب أنا الجوهري قراءة." [١]

"(وبعيد ما ليس يأتي وما يدنيه ... منك العصران غير بعيد)

سجع على قوله تعالى

﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ أين الذين كانوا في اللذات يتقلبون ، ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون ، مزجت لهم كؤوس المنايا فباتوا يتجرعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

مدوا أيديهم إلى الحرام ، وأكثروا من الزلل والآثام ، وكم وعظوا بمنثور ومنظوم

من الكلام ، لو أنهم يسمعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

حمل كل منهم في كفن ، إلى بيت البلى والعفن ، وما صحبهم غيره من الوطن ، من كل ما كانوا يجمعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

ضمهم والله التراب ، وسد عليهم في ثراهم الباب، وتقطعت بهم الأسباب ، والأحباب يرجعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

أين أموالهم والذخائر ، أين أصحابهم والعشائر ، دارت على القوم الدوائر ، ففيم أنتم تطمعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٤٥/٦٥

شغلوا عن الأهل والأولاد , وافتقروا إلى يسير من الزاد ، وباتوا من الندم على أخس مهاد ، وإنما هذا من حصاد ما كانوا يزرعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

أين الجنود والخدم ، أين الحرم والحرم ، أين النعم والنعم ، بعد ما كانوا يربعون فيما يرتعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

لو رأيتهم في حلل الندامة ، إذا برزوا يوم القيامة ، وعليهم للعقاب علامة ،." (١)

"يساقون بالذل لا بالكرامة ، إلى النار فهم يوزعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .

يا معشر العاصين قد بقي القليل ، والأيام تنادي: قد دنا الرحيل ، وقد صاح بكم إلى الهدى الدليل إن كنتم تسمعون ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ .." (٢)

"أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون

(الشعراء: ٢٠٥) ثم قال: لا تغب عني وكن بالقرب، فلما كان عند العتمة قال: انصرفوا حتى أدعوكم، وقال لابنه الحسين: إذا طلع القمر ونزل في الدار فأعلمني، فلما طلع القمر أعلمه، فصاح بهم فجاءوا، وقال: أطلع القمر؟ فقالوا:

نعم، قال: اجتمعوا كل من في المنزل فاجتمعوا عليه، فسأل كل واحد منهم عن حاله وعن كسوته وعن آلة الشتاء، ثم قال: بقي شيء لم أصلحه لكم؟ قالوا: لا، فاستحلهم، ثم قال: عليكم السلام، هذا آخر اجتماعي معكم، ثم جعل يتشهد ويستغفر، ثم قال: قوموا فقد جاء نوبة غيركم، فخرجوا من باب الطارمة وهم يسمعون تشهده، ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبه، رحم الله هذا العقل والتمييز، فصار كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

قال المؤلف: هذا آخر ما كتبته من كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد، وما أرى ان أحدا جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به، أثابه الله على اهتمامه الجنة. وسأكتب أخبار أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه [١] ، ولم أخل من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع.

وقال المرزباني: أحمد بن سهل البلخي محدث معتمدي، هو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي وقد توفي ببلخ:

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٣٤٦/١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٣٤٧/١

إن المنية رامتنا بأسهمها ... فأوقعت سهمها المسموم بالحسن

أبو محمد الأعلى فغادره ... تحت الصفيح مع الأموات في قرن

يا قبر إن الذي ضمنت جثته ... من عصبة سادة ليسوا ذوي أفن

محمد وعلي ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن

صلى الاله عليهم والملائكة المقربون طوال الدهر والزمن

---

[١] سقطت ترجمة الكعبي، وضاع ما وعد به المؤلف.." (١)

"الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: يا شقي ما بقاك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ، فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه، فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد إني (١) قد آنست من قلبي غلظة، فاستلن لي منه، فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم (أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) (٢) قال: فسقط الشيخ، فرأيته يفحص برجله ما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلا، ثم أفاق فجاءت الجارية، فقالت: قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به، ثم قلت له: يا أبتاه هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكثر من هذا. قال: فوكز (٣) في صدري، ثم قال: يا بني لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها بقلبك لألفي لصافيه كلوم.

أخبرنا بذلك أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري: قال: أنبأنا القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المندائي الواسطي في كتابه إلينا من واسط، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن علي ابن المزرفي، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد ابن علي ابن المهتدي بالله، قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن أحمد بن القاسم بن جامع الدهان، قال: حدثنا أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحافظ، قال:

---

(١) قوله: اني" ليست في المطبوع من الحلية.

(٢) الشعراء (٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧) .

(٣) في المطبوع من الحلية: فوكزني".." (٢)

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٨١/١

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٢٢٥/٢٩

"وإني أوصيه أن يصرف هذا المهم همته وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويراقب سريرته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله وإصداره وإيراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد أو هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحا منغصا مشوبا بالكدورات مشحونا بالهموم والغموم ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله

فليفتح عن بصيرته لتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه

وليتدبر ما هو بصدده

فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرة أهلكها الله تعالى وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمارتها

وإن كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر فليفكر كم من بئر معطلة وقصر مشيد بعد عمارتها

وإن كان مهتما بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها

وإن كان معتنيا بعمارة الحدائق البساتين فليعتبر ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة﴾ الآية وليقرأ قوله ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾." (١)

"ألم تعلم أن الحساب أمامكم ... وأن وراءكم طالبا ليس يسأم

فخافوا لكيما تأمنوا بعد موتكم ... ستلقون ربا عادلا ليس يظلم

فليس لمغرور بدنياه راحة ... سيندم إن زلت له النعل فاعلموا

الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة وبركعة ومهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل غلقت منهم الرهون ورؤي بعضهم في المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وأنتم تعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها.

قال بعض السلف: كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة وقال بعضهم بقية عمر المؤمن لا قيمة له يعني أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح فأما من فرط في بقية عمره فإنه خاسر فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين الأعمال

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٦/٢٦٢

بالخواتيم من أصلح فيما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضى.
يا بائع عمره مطيعا أمله ... في معصية الله كفعل الجهلة
إن ساومك الجهل باقيه فقل ... باقي عمر المؤمن لا قيمة له
ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته فقد ذهب لذاته وبقيت تبعاته وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته قال الله عز وجل: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين*ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٧] تلا بعض السلف هذه الآية وبكى وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم وفي هذا المعنى ما أنشده أبو العتاهية للرشيد حين بنى قصره واستدعى إليه ندماءه.
عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور
وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعذر الله إلى من بلغه ستين من." (١)

"بان القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت: بلى فقلت لها قد قال الله تعالى: (من كان يريد الحياة للدنيا وزنتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيهالا يبخسون. أولئك الذين لبس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وبطل ما كانوا يعملون.).
فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها، أفكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت فما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد اخبر الناطق عن الصامت.
قال الله تعالى: (قل إن الموت الذي تفرون منه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).
وقلت لها هبي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه وأن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس بآت.

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب ابن رجب الحنبلي ص/٣٠٢

وقد قال الله تعالى: (أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون). فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولا لا يحصل وراءه ولم تجتهد قط في تزود الآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ولم تجتهد في رضى الله تعالى كاجتهادها في طلب رضاها وطلب." (١)

"وفي الزجر والتوبيخ مثل قوله تعالى في سورة العنكبوت آية ٤٠: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾ [العنكبوت: ٤٠]

وفي الوعظ مثل قوله تعالى في سورة الشعراء آية ٢٠٤-٢٠٧: ﴿أفبعذابنا يستعجلون - أفرأيت إن متعناهم سنين - ثم جاءهم ما كانوا يوعدون - ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٤ - ٢٠٧]

وفي وصف الله تعالى مثل قوله تعالى في سورة الرعد آية ٨-٩: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار - عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرعد: ٨ - ٩]

الوجه السابع: أن الانتقال من مضمون إلى آخر ومن قصة إلى أخرى، واشتمال الكلام على بيان أشياء مختلفة يضيع حسن الربط بين أجزاء الكلام، ويسقطه عن الدرجة العالية للبلاغة، والقرآن الكريم فيه الانتقال من قصة إلى أخرى، ومن مضمون إلى غيره، مع اشتماله على الأمر والنهي والوعد والوعيد وتوحيد الله وبيان صفاته تعالى وإثبات النبوات والترغيب والترهيب وضرب الأمثال وغيرها، ومع ذلك يوجد فيه كمال الربط مع الدرجة العالية للبلاغة الخارجة عن مألوف العرب حتى حارت فيه عقول بلغائهم.

الوجه الثامن: أن القرآن الكريم يأتي باللفظ اليسير المتضمن للمعنى الكثير، فسورة (ص) مثلا جمع في أولها أخبار الكفار وتقريعهم بإهلاك القرون." (٢)

"وبين ما ها هنا، فهي كما قال سبحانه: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ ١ فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

فإذا تأمل في هذين الأمرين وأحسن النظر فيهما هداه ذلك لإيثار الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، وأكبر عون له في تحقيق ذلك النظر في حال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته هو وأصحابه من نبذهم لها وراء ظهورهم، وصرفهم عنها قلوبهم، واطراحهم لها، فهم لم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها وعدوها سجنا

---

(١) الاستعداد للموت وسؤال القبر زين الدين المعبري ص/١٢

(٢) مختصر إظهار الحق رحمت الله الهندي ص/١٥١

لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوها منها كل محبوب، ولو صلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردها، وفاضت على أصحابه، فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم حتى آذن بالرحيل٢.

كما قال تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ ٣.

وقال: ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين﴾ ٤.

وقال: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾ ٥.

---

١ سورة الأعلى، الآية: ١٧.

٢ انظر الفوائد لابن القيم (ص ١٧٦-١٧٨) .

٣ سورة الشعراء، الآيات ٢٠٥- ٢٠٧.

٤ سورة يونس، الآية: ٤٥.

٥ سورة الروم، الآية: ٥٥.." (١)

"وحكي أن أبا زيد في حداثته، وحال فقره وخلته كان التمس من أبي علي المنيري حنطة، فأمره بحمل جراب إليه ففعل، فلم يعطه حنطة، وحبس الجراب، ومضى على هذا أعوام كثيرة، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصعانيان، وكتب إلى أبي زيد كتبا لم يجبه أبو زيد عنها، فكتب إليه شهيد بهذين البيتين، يعيره بحديث الجراب:

أمني النفس منك جواب كتبي ... وأقطعها لتسكن وهي تابي

إذا ما قلت سوف يجيب قالت ... إذا رد المنيري الجرابا

قال: وقرأت بخط أبي الحسن الحديثي، على ظهر كتاب كمال الدين لأبي زيد، قال أبو بكر الفقيه: ما صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات، صنفه أبو زيد البلخي، وهذا الكتاب يعني كتاب كمال الدين.

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٥٩

وكان لأبي زيد حافد يقال له علي بن محمد بن أبي زيد، قال: ولأبي زيد نحو من سبعين تأليفا، قال: ولقي أحمد بن سهل الأمير أبا زيد في طريق، وقد أجهده السير، فقال له: عييت أيها الشيخ، فقال أبو زيد: نعم أعييت أيها الأمير، فنبهه أنه لحن في قوله " عييت " إذ العي في الكلام، والإعياء في المشي، وأنشد أبو زيد:

لكل امرئ ضيف يسر بقربه ... ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف

تناءت بنا دار الحبيب اقترابها ... فلم يبق إلا رؤية الطيف للطيف

وقال أبو زيد: كان ببلخ مجنون من عقلاء المجانين وكان يعرف بأبي إبراهيم إسحاق بن إسحاق البغدادي، " من عقلاء المجانين " دخل إلي وكنت ألاعب الأهوازي بالشطرنج، فقال أبو زيد والأهوازي لك فتحيرت في هذا الكلام، فقال لي احسب فحسبت بحروف الجمل، فكان ستون، قال فصل بين كنيتك وكنيته الأهوازي، قال فوصلت، فإذا أبو زيد ثلاثون، والأهوازي ثلاثون، فقضيت عجبا من اختراعه في تلك الوهلة هذا الحساب.

وأما خبر وفاته، فقال صاحب الكتاب المذكور: ذكر أبو زيد الدمشقي قال: دخلت على أبي زيد – رحمه الله – يوم الجمعة ضحوة لعشر بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فوجدته ثقيلا من علته، فسلمت سلاما ضعيفا، ثم قال: يا أبا بكر قد انقطع السبب، وما هو إلا فراق الإخوان، ودمعت عينه، وبكيت أنا، وقلت: أرجو أن يشفع الله الشيخ فينا وفي عترتنا بعافيته، فقال: أيهات: وقرأ هذه الآية: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم قال: لا تغب عني وكن بالقرب.

فلما كان عند العتمة قال: انصرفوا حتى أدعوكم، وقال لابنه الحسين إذا طلع القمر ونزل في الدار فأعلمني، فلما طلع القمر أعلمه، فصاح بهم فجاءوا، وقال أطلع القمر؟ فقالوا: نعم، قال: اجمعوا كل من في المنزل، فاجتمعوا عليه، فسأل كل واحد منهم عن حاله، وعن كسوته، وعن آلة الشتاء، ثم قال: بقي شيء لم أصلحه لكم. قالوا: لا: فاستحلفهم ثم قال: عليكم السلام، هذا آخر اجتماعي معكم، ثم جعل يتشهد ويستغفر، ثم قال: قوموا فقد جاء نوبة غيركم، فخرجوا من باب الطارمة، وهم يسمعون تشهده، ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبه، رحمه الله، هذا العقل والتمييز صار كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

قال المؤلف: هذا آخر ما كتبته عن كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد، وما أرى أن

أحدا جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به، أثابه الله على اهتمامه الجنة، وسأكتب أخبار أبي القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه، ولم أخل من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع.

وقال المرزباني: أحمد بن سهل البلخي محدث معتمدي وهو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي، وقد توفي ببلخ:

إن المنية رامتنا بأسهمها ... فأوقعت سهمها المسموم بالحسن

أبو محمد الأعلى فغادره ... تحت الصفيح مع الأموات في قرن

يا قبر إن الذي ضمنت جثته ... من عصبة سادة ليسوا ذوي أفن

محمد وعلي ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن

صلى الإله عليهم والملائكة ال ... مقربون طوال الدهر والزمن." (١)

"١ ـ عبادته وبكاؤه: عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك، ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك وهو عزب، فكنت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي، حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ((أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون..)) (الشعراء ، الآيتان : ٢٠٥ ـ ٢٠٦). فبكى، ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عليه، فلما سمعني سكت فلم أسمع له حسا(١) رحمه الله.

٢ ـ علمه وفقهه وفهمه: جمع عمر بن عبد العزيز الناس واستشارهم في رد مظالم الحجاج، فكان كلما استشار رجلا قال له: يا أمير المؤمنين، ذاك أمر كان في غير سلطانك ولا ولايتك، فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه، حتى خلص بابنه عبد الملك، فقال له ابنه عبد الملك: يا أبه ما من رجل استطاع أن يرد مظالم الحجاج إن لم يردها أن يشركه فيها. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت أنك أفقه الناس، وهذا الذي قاله عبد الملك، ومدحه عليه أبوه، وهو الصواب، فإن الإمام إذا قدر على رد مظالم من قبله من الولاة وجب عليه وهو ذلك بحسب الاستطاعة(٢).

---

(١) معجم الأدباء، ١/١٠٩

وقد كان عمر بن عبد العزيز وأبنه عبد الملك من العلماء الذين جمعوا بين العلم بالله الذي يقتضى خشيته ومحبته والتبتل إليه، وبين العلم بالله الذي يقتضي معرفة الحلال والحرام والفتاوى والأحكام(٣).

---

(١) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/٤٧٩) .

(٢) المصدر نفسه (٢/٤٨١) .

(٣) المصدر نفسه (٢/٤٨١) .." (١)

""""" صفحة رقم ٢٦٢ """"

وإني أوصيه أن يصرف هذا المهم همته وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويراقب سريرته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله وإصداره وإيراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد أو هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحا منغصا مشوبا بالكدورات مشحونا بالهموم والغموم ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله

فليفتح عن بصيرته لتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه

وليتدبر ما هو بصدده

فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرة أهلكها الله تعالى وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمارتها

وإن كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر فليفكر كم من بئر معطلة وقصر مشيد بعد عمارتها

وإن كان مهتما بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها

وإن كان معتنيا بعمارة الحدائق البساتين فليعتبر) كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة (الآية وليقرأ قوله) أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون).(٢)"

"مراعاة ما قد يسببه اللين وعدم التزام الجد في القول، وإكثار الضحك، والهزل واللعب أحيانا، من التباطؤ في أداء متطلبات التعليم، من إقدام وعلو همه، وفهم وإدراك بالكفاءة المطلوبة، والثالث: ما ينجم

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد، ٣/٦٦٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى . ، ٦/٢٦٢

عن تيار المجون والملاهي والغناء، وحضور المعازف، من ضياع وقت أولى أن يكون للعلم، وتبلد الإحساس العلمي، ورابعها: مراعاة النواحي النفسية للناشئين، وما قد يصيبهم من الملل، وتأثير ذلك على المستوى المطلوب من الفهم، وضرورة الترويح عن النفس ساعة بعد ساعة، وجعل وقتا للراحة بين الحين والآخر، وأخير الإهتمام بالمردود الإيجابي للرياضة وممارسة الرماية والسير بين الأغراض على الجسم وصحته والعقل وسلامته والذهن وصفائه (١)

* ـ من نتائج منهج عمر بن عبد العزيز في تربية أولاده: ابنه عبد الملك:

من نتائج منهج عمر في تربية أولاده ذلك النموذج الرباني المتمثل في ابنه عبد الملك، ويعتبر عبد الملك نموذج للشباب الذي عاش في رغد العيش، وسعة الرزق، ورفاهية الحياة، فحياته مثال لكثير من أبناء المسلمين الذين كانوا على شاكلته وإليك شيء من مواقفه:

١ ـ عبادته وبكاؤه: عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك، ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك وهو عزب، فكنت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي، حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ((أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ..)) (الشعراء، الآيتان: ٢٠٥ ـ ٢٠٦). فبكى، ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عليه، فلما سمعني سكت فلم أسمع له حسا (٢) رحمه الله.

٢ ـ علمه وفقهه وفهمه: جمع عمر بن عبد العزيز الناس واستشارهم في رد مظالم الحجاج، فكان كلما استشار رجلا قال له: يا أمير المؤمنين، ذاك أمر كان في غير سلطانك ولا ولايتك، فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه، حتى خلص بابنه عبد الملك، فقال له ابنه عبد الملك: يا أبه ما من رجل استطاع أن يرد مظالم الحجاج إن لم يردها أن يشركه فيها. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت أنك أفقه الناس، وهذا الذي قاله عبد الملك، ومدحه عليه أبوه، وهو الصواب، فإن الإمام إذا قدر على رد مظالم من قبله من الولاة وجب عليه وهو ذلك بحسب الاستطاعة (٣).

---

(١) المصدر نفسه صـ١١٩.

(٢) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٤٧٩).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٤٨١).." [(١)]

"كيف لم تفهم (ما نبت على السحت فالنار أولى به)..

رأى أحدهم قريبا له ميتا في المنام ، فقال له : كيف أنت ، قال : ندمنا على أمر عظيم ..

ندمنا على أمر عظيم ..

نعلم ولا نعمل ..

وأنتم تعلمون ولا تعملون..

وأنتم تعلمون ولا تعملون..

والله ..

لتسبيحة أوتسبيحتان ..

أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إلينا من الدنيا وما فيها ..

أين أثر المواعظ ..

أين أثر المواعظ والآيات في قلوبنا ؟!!! ..

أين أثر كلام الرحمن في حياتنا ؟!!! ..

اسمع رعاك الله ..

وتدبر الكلام ..

قال الله : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ ..

تلا بعض السلف هذه الآيات وبكى ، وقال :

إذا جاء الموت ..

لم يغني عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم ..

يا ابن العشرين ..

كم مات من أقرانك وتخلفت ؟!..

يا ابن العشرين ..

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ٢/٢٢٣

كم مات من أقرانك وتخلفت ؟!..

يا ابن الثلاثين ..

أدركت الشباب فما تأسفت ؟!..

يا ابن الأربعين ..

ذهب الصبا وأنت على اللهو قد عكفت ؟!..

يا ابن الخمسين ..

أنت زرع قد دنا حصاده ..

أنت زرع قد دنا حصاده ..

لقد تنصفت المئة وما أنصفت ؟!..

يا ابن الستين ..

هيا إلى الحساب فأنت على معترك المنايا قد أشرفت ؟!..

يا ابن السبعين ..

ماذا قدمت وماذا أخرت ؟! ..

يا ابن الثمانين ..

لا عذر لك فقد أعذرت ؟!..

والله ..

وأقسم بالله ..

من حمل نعشا اليوم ..

سيأتي يوم ويحمل هو على الأكتاف ..

ومن دخل المقبرة اليوم زائرا ..

سيدخل يوما ولن يخرج منها ..

ومن عاد إلى بيته اليوم ..

سيأتي يوم ولن يعود ..

ومن عاد إلى بيته اليوم ..

سيأتي يوم ولن يعود ..

كان عمر رضي الله عنه يردد دائما ويقول :

كل يوم يقولون مات فلان ، ومات فلان ، وسيأتي يوم وسيقولون مات عمر ..

ومات عمر ، ولكن كيف مات !!..

مات عمر ولكن كيف مات !!..." (١)

"عرف أنه منه قاب قوسين أو أدنى، فأكثر من الاستغفار، وحبل لسانه عن الزور، ورعى رعيته كما ينبغي، وعرف قدر يومه وليلته بشراك بشراك، ضاعف العمل فإن الخيل إذا وصلت إلى نهاية السباق قدمت كل ما لديها من قوة لتفوز بالجائزة.

ويا شيخا نسي الله في شيخوخته بعد شبابه:

فارتكب الجرائم وقارف الكبائر ووقف على عتبة الموت، أين الهوى والشهوات؟ ذهبت وبقيت التبعات، تتمنى بعد يبس العود العود وهيهات.

يا من شاب رأسه فما استحي من الله:

يا من شاب رأسه فانتهك حدود الله وأعرض عن منهج الله تب إلى الله قبل أن تكون ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

إلى من ضيع الصلاة وأتبع الشهوات.

إلى المنافقين والزناة.

إلى الظلمة والبغاة.

إلى من طغى وآثر الحياة الدنيا.

إلى المغتابين والنمامين والحاسدين وأكلة الربا.

إلى من ألهاهم التكاثر فنسوا بعثرة المقابر وتحصيل من في السرائر.

إلى من أضنى عينيه بمشاهدة المسلسلات واستقبال القاذورات.

إلى من طربت أذنه باستماع الأغنيات.

إلى من شغلته أمواله المحرمة والشركات.

إلى من أعمى الهوى بصره وأصم سمعه فكان حيا وهو في عداد الأموات.

إلى الراشين والمرتشين وأهل السكر والمخدرات.

---

(١) أبلغ العظات، ص/٨

إلى المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.
إلى الكاسيات العاريات.
إلى العصاة جميعا.
من الموت والقبر والحساب أين المفر، أين المفر؟
(كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر).
(أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون).
عباد الله: آن الأوان أن نعلنها توبة إلى الله باللسان والجنان.
اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.." (١)

"واهتم صلى الله عليه وسلم بغرس حقيقة المصير وسبيل النجاة لأصحابه مؤقنا أن من عرف منهم عاقبته وسبيل النجاة والفوز في هذه العاقبة، سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك هذا السبيل، حتى يظفر غدا بهذه النجاة وذلك الفوز، فقد ركز صلى الله عليه وسلم في هذا البيان على الجوانب التالية:

. إن هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى زوال، ،أن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" (يونس ، آية : ٢٤" "قل متاع الدنيا قليل" (النساء ، آية : ٧٧".

. وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسئولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون، "أيحسب ال إنسان أن يترك سدى" (القيامة ، آية : ٦٣).

. وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارته في الدنيا وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا: "أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" (الشعراء ، آيات : ٢٠٥ . ٢٠٧) ، "كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية" (الحاقة ، آية : ٢٤).

. وأن الناس مع زوال الدنيا واستقرارهم في الجنة، أو في النار سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال والشدائد "يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم * يوم يرونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد"(الحج ، آيات : ١ . ٢)،

---

(١) ١٧ خطبة للمشايخ، ١٢/٢

وقال تعالى: "وكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا" (المزمل ، آيات : ١٧ ـ ١٨).." [١]

"٩- وأنه سبحانه – حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن العظيم.

ولقد نهج علماء الدولة العثمانية منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – في تربية الأفراد والجنود على حقيقة المصير وسبيل النجاة وركزوا في البيان على الجوانب التالية:

١- إن هذه الحياة مهما طالت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت، وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (سورة يونس: ٢٤). ﴿قل متاع الدنيا قليل ﴾ (النساء: ٧٧).

٢- وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسؤولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (القيامة:٣٦).

٣- وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارة في الدنيا، وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ (سورة الشعراء:
٢٠٥-٢٠٧).

٤- وأن الناس مع زوال الدنيا، واستقرارهم في الجنة، أو في النار، سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال والشدائد: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد..﴾ (سورة الحج: ١-٢). وقال تعالى : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا، السماء منفطر به كان وعده مفعولا ﴾ (سورة المزمل: ١٧-١٨).." [٢]

"١ ـ عبادته وبكاؤه: عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان وهو ابن أخي عمر بن عبد العزيز قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك، ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك وهو عزب،

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والإنكسار، ١/٣٩٠

(٢) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ١/١٦٦

فكنت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي، حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ((أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون..)) (الشعراء ، الآيتان : ٢٠٥ ـ ٢٠٦). فبكى، ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عليه، فلما سمعني سكت فلم أسمع له حسا٥٩٨١ رحمه الله.

٢ ـ علمه وفقهه وفهمه: جمع عمر بن عبد العزيز الناس واستشارهم في رد مظالم الحجاج، فكان كلما استشار رجلا قال له: يا أمير المؤمنين، ذاك أمر كان في غير سلطانك ولا ولايتك، فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه، حتى خلص بابنه عبد الملك، فقال له ابنه عبد الملك: يا أبه ما من رجل استطاع أن يرد مظالم الحجاج إن لم يردها أن يشركه فيها. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت أنك أفقه الناس، وهذا الذي قاله عبد الملك، ومدحه عليه أبوه، وهو الصواب، فإن الإمام إذا قدر على رد مظالم من قبله من الولاة وجب عليه وهو ذلك بحسب الاستطاعة٥٩٨٢.

...وقد كان عمر بن عبد العزيز وأبنه عبد الملك من العلماء الذين جمعوا بين العلم بالله الذي يقتضى خشيته ومحبته والتبتل إليه، وبين العلم بالله الذي يقتضي معرفة الحلال والحرام والفتاوى والأحكام٥٩٨٣.." (١)

"٣٨- حدثنا أبو جعفر محمد بن عبدوس الدقاق الحراني، ثنا يزيد بن قبيس، ثنا علي بن الحسن الحلبي، حدثني عمرو بن ميمون بن مهران، قال: إني خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول فلم يستطع الشيخ يتخطاه، فاضطجعت له، فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده، فدفعنا إلى منزل الحسن، فطرقت الباب، فخرجت جارية سداسية، فقالت: من هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: يا شقي، ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ، فسمع الحسن بكاءه، فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد، إني قد أنست من قلبي غلظة فاسللن لي منه. فقرأ الحسن: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾. قال: فسقط الشيخ، فرأيته

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار، ٢٩٥/٣

يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة؛ فأقام طويلا، ثم أفاق؛ فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرقوا.." (١)

"واهتم صلى الله عليه وسلم بغرس حقيقة المصير وسبيل النجاة لأصحابه مؤقنا أن من عرف منهم عاقبته وسبيل النجاة والفوز في هذه العاقبة، سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك هذا السبيل، حتى يظفر غدا بهذه النجاة وذلك الفوز، فقد ركز صلى الله عليه وسلم في هذا البيان على الجوانب التالية:

. إن هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى زوال، ،أن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" (يونس ، آية : ٢٤" "قل متاع الدنيا قليل" (النساء ، آية : ٧٧".

. وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسئولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون، "أيحسب الإنسان أن يترك سدى" (القيامة ، آية : ٦٣).

. وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارته في الدنيا وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا: "أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" (الشعراء ، آيات : ٢٠٥ . ٢٠٧) ، "كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية" (الحاقة ، آية : ٢٤).

. وأن الناس مع زوال الدنيا واستقرارهم في الجنة، أو في النار سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال والشدائد "يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم * يوم يرونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد"(الحج ، آيات : ١ . ٢)، وقال تعالى: "وكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا" (المزمل ، آيات : ١٧ . ١٨).." (٢)

"على رحيل، لم تمض بهم نية، ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي أمر وعد الله وهم على ذلك كذلك لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، ولا يتقى من شر أهلها ثم يتلو: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء: ٢٠٥ ٢٠٧].

وروى الأصمعي أن نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصا.

---

(١) تاريخ الرقة، ص/٤٧

(٢) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، ص/٣٢

وقال أبو مسهر، عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري قال: قال محمد بن سيرين: يرحم الله سليمان بن عبد الملك، افتتح خلافته بخير، وختمها بخير؛ افتتحها بإحيائه الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز

قد أجمع علماء السير والتواريخ أنه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة.

قال الهيثم بن عدي قال الشعبي: حج سليمان بن عبد الملك، فلما." (١)

"وجوارها بعد أن أعلنها بصراحة على بني عمومته وعشيرته (١). ومعنى ذلك أن الأمر اختلف بعد دعوة العشيرة عما قبلها فإنما تسربت الدعوة بعد ذلك أما ما قبلها فالسر والكتمان. ولكننا لا نجد فيما اوحي قبل ذلك ما يختلف عما بعده بل نجد الأمر نفسه قبله. فنجد بداية سورة الشعراء تقول: * (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن) * (٢). وتقول في أواخرها: * (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون وما** أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) * (٣).

---

(١) سيرة المصطفى: ١٣٣. (٢) الشعراء: ٣ - ٦. (٣) الشعراء: ١٩٣ - ٢١٥. (*)

---

[٤٠٥]." (٢)

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٢/٦٤٣

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي، ١/٣٩١

" في جماعة من أهل بيته وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير حين قدم عليه من بلاد المغرب والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم

قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عون الأسدي قال أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة أن قال الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ومن شاء أعطى ومن شاء منع إن الدنيا دار غرور ومنزل باطل وزينة تقلب تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا تفقر مثريها وتثري فقيرها ميالة لاعة بأهلها يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما واجعلوه لكم قائدا فإنه ناسخ لما قبله ولم ينسخه كتاب بعده اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس أدبار الليل إذا عسعس وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم قال كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته وإنما أهل الدنيا على رحيل لم تمض لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك كذلك لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها ولا تبقى من شر أهلها ثم يتلو أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان [كان] آمنت بالله مخلصا وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري قال كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ويقول افتتح خلافته بخير وختمها بخير افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز

قد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة قال الهيثم ابن عدي قال الشعبي حج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله ولا يسع رزقهم غيره فقال يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم غدا خصماؤك عند الله فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله أستعين وقال ابن أبي الدنيا ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب قال كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة حتى فزعوا لذلك وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك فقال له سليمان ما يضحكك يا عمر أما ترى ما نحن فيه فقال له يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما ترى فكيف بآثار سخطه وغضبه ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله الصمت منام العقل والنطق

يقظنه ولا يتم هذا إلا بهذا ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقة ثم فتشه فلم يحمد عقله فقال فضل منطق الرجل على عقله خدعه ." (١)

" في الطاعون يعني في هذه السنة وعمره ست او سبع وخمسون سنة

[قال قتادة من وثق بالله كان الله معه ومن يكن الله معه تكن معه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل والعالم الذي لا ينسى وقال في الجنة كوة الى النار فيقولون ما بال الاشقياء دخلوا النار وانما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم فقالوا انا كنا نأمركم ولا نأتمر وننهاكم ولا ننتهي وقال باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح دينه وصلاح الناس افضل من عبادة جول كامل وقال قتادة لو كان يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام بما عنمده ولكنه طلب الزيادة]

وفيها توفي ابو الحباب سعيد بن يسار والاعرج وابن ابي مليكة وعبد الله بن ابي زكريا الخراعي وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

فصل فأما سعيد بن يسار فكان من العباد الزهاد روى عن جماعة من الصحابة وكذلك الاعرج وابن ابي ملكية واما ميمون بن مهران فهو من اجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادتهم وائئمتهم وكان ميمون امام اهل الجزيرة روى الطبراني عنه انه قيل له مالك لا يفارقك اخ لك عن فلى قال لاني لا اماريه ولا اشاريه قال عمر بن ميمون ما كان ابي يكثر الصلاة ولا الصيام ولكن كان بكره ان يعصي الله عز و جل وروى ابن ابي عدي عن يونس عنه قال لا تمارين عالما ولا جاهلا فانك ان ماريت عالما خزن عنك علمه وان ماريت جاهلا خشن بصدرك وقال عمر بن ميمون حرجت باني اقوده في بعض سكك البصرة فمررنا بجدول فلم يستطيع الشيخ ان يتخطاه فاضجعت له فمر على ظهري ثم قمت فأخذت بيده ثم دفعنا الى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت الينا جارية سداسية فقالت من هذا فقلت هذا ميمون بن مهران اراد لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز قلت لها نعم قالت يا شقي ما بقاؤك الى هذا الزمان السوء قال فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج اليه فاعتنقا ثم دخلا فقال ميمون يا ابا سعيد اني قد انست من قلبي غلظة فاستكن لي منه فقرأ الحسن

أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى **عنهم ما كانوا يمتعون فسقط** الشيخ مغشيا عليه فرأيته يفحص برجليه كما تفحص الشاة اذا ذبحت فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت قد

---

(١) البداية والنهاية، ١٧٩/٩

اتعبتم الشيخ قوموا تفرقوان فأخذت بيد ابي فخرجت فقلت يا ابت اهذا هوالحسن قال نعم قلت قد كنت احسب في ." (١)

"هذه المرأة لو قلت لكم أنها تبرجت طول السنين وتذاحم الرجال وتكلمت وطلعت وتعرفت وكانت تعرف عشرين شاب وسويت كل شي تبغاه ....

في هذه اللحظة بالذات في هذه اللحظة الآن ....

إيش ينفعها الأشياء التي سوتها.....

لأن الله جل وعلا يقول: واسمعي لهذه الآيات ....

انظري إلى تلك الأيدي المتفحمة وتلك الأقدام ....

أين شعرها الآن أين حواجبها التي كانت تنمصها وتعرض نفسها إلى لعنة الله جل وعلا ....

وطرد من رحمته أين تلك الزينة التي كانت تخرجها.......

قال تعالى: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين الله ثم جاءهم ما كانوا يوعدون الله ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ (١)........

أيش تسوى عند هذه الحظة كلها

لوجيت لهذه المتفحمة وجيت صبيت في رأسها الآن قدامكم صديد وهي ميتة .....

ما تعرف تتحمل والله قد لا ننام هذه الليلة .....

فكيف والله في أقوام ما بينها وبين أن تتفحم إلا أن تموت ......

ما بينها وبين أن تعرف كل حياتها أصلا ....

يعني بس تصلي وتصوم مسلمة ما عندها إيمان تناظر حرام فهذا موعد للعين .....

كلها مسجلة تواعد والله صاحبها وتكلمه وتضحك معه وهذا موعده كل ساعات مسجلة ما أرسل الله جل و علا .....

---

(١) سورة النور آية : (٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧)." (٢)

---

(١) البداية والنهاية، ٩/٣١٤

(٢) هذا خلق الله، ص/٥٠

"من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون﴿١٥﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴿١٦﴾هود.

وقال الله تعالى:

﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾الجمعة٨

و قال الله تعالى:

أفرأيت إن متعناهم سنين﴿٢٠٥﴾ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴿٢٠٦﴾ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴿٢٠٧﴾ الشعراء

وقال الله عز وجل :

﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإي○○اكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا ﴾النساء١٣١

وقال الله تعالى:

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴿١٦﴾ الحديد

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

أخوف ما أخاف عليكم اثنان:طول الأمل و إتباع الهوى .

ألا إن :

طول الأمل ينسي الآخرة .

وإتباع الهوى يصدك عن الحق .

فإذن يصير فكرك في حديث الدنيا وأسباب العيش في صحبة الخلق نحوها فيقسو القلب فبسبب طول الأمل:

تقل الطاعة .

وتتأخر التوبة .

وتكثر المعصية.

ويشتد الحرص .

ويقسو القلب .

وتعظم الغفلة .

وإنما رقة القلب وصفوته تكون:

١- بذكر الموت ومفاجأته .

٢- والقبر .." (١)

"لا. هذا جهل، وهذا ضلال عظيم، ولا تنظر إلى كرمه، ولا تنظر إلى استدراجه سبحانه وتعالى، ولا تنظر إلى إمهاله للمجرمين سبحانه وتعالى، فإنه إذا أخذ فإنه يأخذ أخذ عزيز مقتدر، منتقم جبار، سبحانه وتعالى، لا تنظر إلى ذلك وانظر إلى أن هذا الباب، يجب أن يستغل، إن زاد الخير فهو استدراج فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء [الأنعام:٤٤] يفتح الله أبواب كل شيء، إذا نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء.

لا تقل كما قال الله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٤-٢٠٧] كم عمرك يا مسكين؟ تقول: أنا من حين خلقت وأنا أعصي الله وما أصابني شيء، هذا العمر كم سنة يكون؟

لقد أهلك الله سبحانه وتعالى من كان قبلنا من القرون الذين أخبرنا الله تبارك وتعالى عنهم (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير)[سبأ:٤٥].

كم المعشار؟ قال المفسرون في المعشار: هو عشر العشر وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها [الروم:٩].

الله أكبر! عمروا الأرض، وزرعوا، وبنوا أكثر منا، وكانوا أكثر منا أموالا، وأولادا، ومع ذلك أهلكهم الله سبحانه وتعالى وأخذهم بذنوبهم؛ وإن كان قد أمهلهم ما أمهلهم أفبعذابنا يستعجلون [الشعراء:٢٠٤].." (٢)

---

(١) هادم اللذات، ص/٤

(٢) واجب المسلمين تجاه النعم، ص/١٠

"لا والله، لا نستعجل عذاب الله أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧] تذهب تلك النعمة في لحظة انتقام واحدة ويفرون ويركضون، لو جاء زلزال –عافانا الله وإياكم– ادعوا الله دائما أن يعافينا وإياكم من الزلازل والفتن.
الزلازل هذه أمرها عظيم، وشأنها خطير، وقد كانت هذه الجزيرة العربية في منأى وفي مأمن عنها كما كانوا يقولون، يقولون: إن جزيرة العرب وهذه الجبال التي يسمونها الدرع العربي في مأمن من الزلازل إلى أن حدث قبل سنوات زلازل في مناطق قريبة، والآن تسجل هزات على طول الساحل –نسأل الله العفو والعافية– وفي كل منطقة تقريبا تسجل هزات خفيفة وقد تكون قريبة مما يكون بعده الدمار والناس في غفلة.

لكن لو نزلت لركض الناس وهربوا، وأول ما يخرج منه الإنسان ويهرب منه ربما ذلك البيت الذي أفنى عمره كله وهو يزخرفه ويزينه، ويشتري الثريات من مكان، والبلاط من مكان، والزينة من مكان، ويهتم به أعظم الاهتمام، ولهذا يقول تعالى: لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم [الأنبياء:١٣] لا يفكر لا في مسكنه ولا في شيء آخر، يريد أن ينجو فقط بنفسه، تصبح الأرض مثل الماء فلا تضع رجلك إلا وتنزلق فيها وما هي من الظالمين ببعيد[هود:٨٣].
والله ما هي من الظالمين ببعيد، ولا يدفعها إلا أن نتوب إلى الله سبحانه وتعالى، فلا تستطيع قوة، ولا معدات، ولا آلات، ولا وسائل إنقاذ، ولا أي شيء أن يدفعها إذا جاءت هي أو غيرها إلا أن نتوب إلى الله سبحانه وتعالى، وأن نجأر ونتضرع إلى الله، وألا نستعين على معصية الله بنعمه.." (١)

"* ولو نزلنه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك﴾

وقوله: ﴿واتبعك الأرذلونالمجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعنهم سنين * ثم جآءهم ما كانوا يوعدون * مآ أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** * ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظلمين * وما تنزلت به الشيطين * وما ينبغى لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * فلا تدع مع الله إلها ءاخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم * الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى السجدين * إنه هو

---

(١) واجب المسلمين تجاه النعم، ص/١١

السميع العليم * هل أنبئكم على من تنزل الشيطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كذبون * والشعرآء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين ءامنوا وعملوا الصلحت﴾، جملة حالية.." [1]

"عظيم (١٨٩) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٩١) وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان عربي مبين (١٩٥) وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون (٢١٦) وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم (٢٢٠) هل." [2]

"وإني أوصيه أن يصرف الى هذا المهم همته، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويراقب سريرته وعلانيته، وقصده وهمته، وأن يطالع أفعاله وأقواله، وإصداره وإيراده. أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله الى سعادة الأبد؟ أم هي مصروفة الى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحا منغصا مشوبا بالكدورات مشحونا بالهموم والغموم، ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله.

فليفتح عين بصيرته لتنظر نفس ما قدمت لغد، وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه، وليتدبر ما هو بصدده.

---

(١) إعراب القرآن لابن سيده، ٩٣/٧

(٢) إعراب كامل لآيات القرآن مع التعرض لبعض وجوه القراءات، ٢٨٤/٥

فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظر، كم من قرية أهلكها الله تعالى وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمالها.

وإن كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر، فليفكر، كم من بئر معطلة وقصر مشيد بعد عمارتها.

وإن كان مهتما بتأسيس بناء، فليتأمل، كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها.

وإن كان معتنيا بعمارة الحدائق والبساتين فليعتبر:﴿كم تركوا من جنات وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧) كذلك وأورثناها قوما آخرين (٢٨) فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (٢٩)﴾ الدخان. وليقرأ قوله:﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)﴾ الشعراء.

وإن كان مشغوفا ـ والعياذ بالله ـ بخدمة سلطان، فليذكر ما ورد في الخبر:" أنه ينادي مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ فلا يبقى أحد ممن مد لهم دواة أو برى لهم قلما فما فوق ذلك إلا أحضروا، فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم".* ذكره ابن حجر الهيتمي رحمه الله في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر "[٢\ ١٢٤].*." (١)

" المجلس الرابع في ختام العام

خرج الإمام أحمد [من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد و إن من السعادة أن يطول عمر العبد و يرزقه الله الإنابة] فتمني الموت يقع على وجوه : منها : تمنيه لضر دنيوي ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمني الموت و في الصحيحين [عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي و توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي] و وجه كراهيته في هذا الحال أن المتمني للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلا للإستراحة من ضره و هو لا يدري إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار و في الحديث عن النبي صلى الله عليه

---

(١) نصيحة من الإمام أبي حامد الغزالي، ص/٨

و سلم قال : [إنما يستريح من غفر له] فلهذا لا ينبغي له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيرا له عند الله عز و جل فكذلك كل ما يعلم العبد فيه الخيرة له كالغنى و الفقر و غيرهما كما يشرع له استخارة الله تعالى فيما يريد أن يعمله مما لا يعلم وجه الخيرة فيه و إنما يسأل الله عز و جل على وجه الجزم و القطع مما يعلم أنه خير محض كالمغفرة و الرحمة و العفو و العافية و التقى و الهدى و نحو ذلك و منها : تمنيه خوف الفتنة في الدين فيجوز حينئذ و قد تمناه و دعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة و أئمة الإسلام و في حديث المنام : [و إذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون] و منها : تمني الموت عند حضور أسباب الشهادة اغتناما لحضورها فيجوز ذلك أيضا و سؤال الصحابة الشهادة و تعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور و كذلك سؤال معاذ لنفسه و أهل بيته الطاعون لما وقع بالشام و منها : تمني الموت لمن وثق بعمله شوقا إلى لقاء الله عز و جل فهذا يجوز أيضا و قد فعله كثير من السلف قال أبو الدرداء : أحب الموت اشتياقا إلى ربي و قال أبو عنبسة الخولاني : كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد

و قال بعضهم : طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك و قال بعضهم : لا تطيب نفسي بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله عز و جل فإنني حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه في اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده و في هذا يقول بعضهم :

(أشتاق إليك يا قريبا نائي ... شوق ظأم إلى الزلال الماء)

و قد دل على جواز ذلك قول الله عز و جل : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ﴾ و قوله : ﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ﴾ فدل ذلك على أن أولياء الله لا يكرهون الموت بل يتمنوه ثم أخبر أنهم : ﴿ و لن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم ﴾ فدل على : أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها كما قال بعض السلف : ما يكره الموت إلا مريب و في [حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه و سلم أسألك لذة النظر إلى وجهك و شوقا إلى لقائك في غير ضراء مضرة و لا فتنة مضلة] فالشوق إلى لقاء الله تعالى إنما يكون بمحبة الموت و ذلك لا يقع غالبا إلا عند خوف ضراء مضرة في الدنيا أو فتنة مضلة في الدين فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقا إلى لقاء الله عز و جل و هو المسؤول في هذا الحديث و في المسند [عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا يتمنين الموت إلا من وثق بعمله] فالمطيع لله مستأنس بربه فهو يحب لقاء الله و الله يحب لقاءه و العاصي مستوحش بينه و بين مولاه وحشة الذنوب

فهو يكره لقاء ربه و لا بد له منه قال ذو النون : كل مطيع مستأنس و كل عاص مستوحش و في هذا يقول بعضهم :

(أمستوحش أنت مما جنيت ... فاحسن إذا شئت و استأنس)

قال أبو بكر الصديق لعمر رضي الله عنهما في وصيته له عند الموت : أن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت و لا بد لك منه و إن ضيعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت و لن تعجزه قال أبو حازم : كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت العاصي يفر من الموت لكراهية لقاء الله و أين يفر من هو في قبضة من يطلبه

(أين المفر و الإله الطالب ... و المجرم المغلوب ليس الغالب)

سئل أبو حازم : كيف القدوم على الله ؟ قال : أما المطيع فقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه و أما العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان

رؤي بعض الصالحين في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيرا لم ير مثل الكريم إذا حل به مطيع الدنيا كلها شهر صيام المتقين و عيد فطرهم يوم لقاء ربهم كما قيل :

(و قد صمت عن لذات دهري كلها ... و يوم لقائكم ذاك فطر صيامي)

و منها : تمني الموت على غير الوجوه المتقدمة فقد اختلف العلماء في كراهيته و استحبابه و قد رخص فيه جماعة من السلف و كرهه آخرون و حكى بعض أصحابنا عن أحمد في ذلك روايتين و لا يصح فإن أحمد إنما نص على كراهة تمني الموت لضرر الدنيا و على جواز تمنيه خشية الفتنة في الدين و ربما أدخل بعضهم في هذا الإختلاف القسم الذي قبله و في ذلك نظر و استدل من كرهه بعموم النهي عنه كما في حديث جابر الذي ذكرناه و في معناه أحاديث أخر يأتي بعضها إن شاء الله تعالى و قد علل النهي عن تمني الموت في حديث جابر بعلتين : إحداهما : أن هول المطلع شديد و هول المطلع : هو ما يكشف للميت عند حضور الموت من الأهوال التي عهد له بشيء منها في الدنيا من رؤية الملائكة و رؤية أعماله من خير أو شر و ما يبشر به عند ذلك من الجنة و النار هذا مع ما يلقاه من شدة الموت و كربه و غصصه و في الحديث الصحيح : [إذا حملت الجنازة و كانت صالحة قالت : قدموني قدموني و إن كانت غير ذلك قالت : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان و لو سمعها الإنسان لصعق] قال الحسن : لو أعلم ابن آدم أن له في الموت راحة و فرحا لشق عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته و شدته و هوله فكيف و هو لا يعلم ما له في الموت نعيم دائم أو عذب مقيم بكى النخعي

عند احتضاره و قال : انتظر ملك الموت لا أدري يبشرني بالجنة أو النار فالمتمني للموت كأنه يستعجل حلول البلاء و إنما أمرنا بسؤال العافية و سمع ابن عمر رجلا يتمنى الموت فقال : لا تتمنى الموت فإنك ميت و لكن سل الله العافية قال إبراهيم بن أدهم : إن للموت كأسا لا يقوى عليها إلا خائف وجل مطيع لله كان يتوقعها و قال أبو العتاهية :

(ألا للموت كأس أي كأس ... و أنت لكأسه لا بد حاسي)

(إلى كم و الممات إلى قريب ... تذكر بالممات و أنت ناسي)

جزع الحسن بن علي رضي الله عنهما عند موته و قال : إني أريد أن أشرف على ما لم أشرف عليه قط و بكى الحسن البصري عند موته و قال : نفيسة ضعيفة و أمر مهول عظيم و إنا لله و إنا إليه راجعون و كان حبيب العجمي عند موته يبكي و يقول : أريد أن أسافر سفرا ما سافرته قط و أسلك طريقا ما سلكته قط و أزور سيدي و مولاي و ما رأيته قط و أشرف على أهوال ما شاهدتها قط فهذا كله من هول المطلع الذي قطع قلوب الخائفين حتى قال عمر عند موته : لو أن لي ما في الأرض لافتديت به من هول المطلع و من هول المطلع ما يكشف للميت عند نزوله قبره من فينة القبر فإن الموتى يفتنون بالمسألة في قبورهم مثل أو قريبا من فتنة المسيح الدجال و ما يكشف لهم في قبورهم عن منازلهم من الجنة و النار و ما يلقون من ضمة القبر و ضيقته و هوله و عذابه إن لم يعاف الله من ذلك رؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حاله فأنشد :

(و ليس يعلم ما في القبر داخله ... إلا الإله و ساكن الأجداث)

و العلة الثانية : أن المؤمن لا يزيد عمره إلا خيرا فمن سعادته أن يطول عمره و يرزقه الله الإنابة إليه و التوبة من ذنوبه السالفة و الإجتهاد في العمل الصالح فإذا تمنى الموت فقد تمنى إقطاع عمله الصالح فلا ينبغي له ذلك و [روى إبراهيم الحربي من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن ابن المطلب عن أبيه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : السعادة طول العمر في طاعة الله عز و جل] و قد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه و سلم من وجوه متعددة ففي صحيح البخاري [عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا يتمنين أحدكم الموت أما محسنا فلعله أن يزداد خيرا و إما مسيئا فلعله أن يستعتب] و في صحيح مسلم [عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا يتمنين أحدكم الموت و لا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله و إنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا] و في مسند الإمام أحمد [عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لا يتمنين

أحدكم الموت و لا يدع به من قبل أن يأتيه إلا أن يكون قد وثق بعمله فإنه إن مات أحدكم انقطع عنه عمله و إنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا] و فيه [عن أم الفضل رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم سمع العباس و هو يشتكي فتمنى الموت فقال : لا تتمنى الموت فإنك إن كنت محسنا تزداد إحسانا و إن كنت مسيئا فإن تؤخر تستعب من إساءتك خير لك] و فيه أيضا [عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرنا و رققنا فبكى سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء و قال : يا ليتني مت فقال النبي صلى الله عليه و سلم : يا سعد إن كنت خلقت للجنة فما طال من عمرك و حسن من عملك فهو خير لك] و في المعنى أحاديث أخر كثيرة و كلها تدل على النهي عن تمني الموت بكل حال و أن طول عمر المؤمن خير له فإنه يزداد فيه خيرا و هذا قد قيل إنه يدخل فيه تمنيه للشوق إلى لقاء الله و فيه نظر فإن النبي صلى الله عليه و سلم قد تمناه في تلك الحال و اختلف السالكون أيما أفضل من تمنى الموت شوقا إلى لقاء الله أو من تمنى الحياة رغبة في طاعة الله أو من فوض الأمر إلى الله و رضي باختياره له و لم يختر لنفسه شيئا و استدل طائفة من الصحابة على تفضيل الموت على الحياة بقول الله عز و جل : ﴿ و ما عند الله خير للأبرار ﴾ و لكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ما له عند الله من الخير فلا ينبغي له أن يتمنى انقطاع ذلك اللهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه فإنه إذا خشي الفتنة على دينه فقد خشي أن يفوته ما عند الله من خير و يتبدل ذلك بالشر عياذا بالله من ذلك و الموت خير من الحياة على هذه الحال قال ميمون بن مهران : لا خير في الحياة إلا لتائب أو رجل يعمل في الدرجات يعني أن التائب يمحو بالتوبة ما سلف من السيئات و العامل يجتهد في علو الدرجات و من عداهما فهو خاسر كما قال تعالى : ﴿ و العصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصوا بالحق و تواصوا بالصبر ﴾ فأقسم الله تعالى أن كل إنسان خاسر إلا من اتصف بهذه الأوصاف الأربعة : الإيمان و العمل الصالح و التواصي بالحق و التواصي بالصبر على الحق فهذه السورة ميزان للأعمال يزين المؤمن بها نفسه فيبين له بها ربحه من خسرانه و لهذا قال الشافعي رضي الله عنه : لو فكر الناس كلهم فيها لكفتهم رأى بعض المتقدمين النبي صلى الله عليه و سلم في منامه فقال له أوصني ؟ فقال له : من استوى يوماه فهو مغبون و كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون و من لم يتفقد الزيادة في عمله فهو في نقصان و من كان في نقصان فالموت خير له قال بعضهم : كان الصديقون يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس يشير إلى أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير و يستحيون من فقد ذلك و يعدونه خسرانا كما قيل :

(أليس من الخسران أن لياليا ... تمر بلا نفع و تحسب من عمري)

فالمؤمن القائم بشروط الإيمان لا يزداد بطول عمره إلا خيرا و من كان كذلك فالحياة خير له من الموت و في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم : [اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و الموت راحة لي من كل شر] خرجه مسلم و في الترمذي [عنه صلى الله عليه و سلم أنه سئل : أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره و حسن عمله قيل : فأي الناس شر ؟ قال : من طال عمره و ساء عمله] و في المسند و غيره : [أن نفرا ثلاثة قدموا النبي صلى الله عليه و سلم فأسلموا فكانوا عند طلحة فبعث النبي صلى الله عليه و سلم بعثا فخرج فيهم أحدهم فاستشهد ثم بعث بعثا آخر فخرج منهم فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة : فرأيتهم في الجنة فرأيت الميت على فراشه أمامهم و رأيت الذي استشهد آخرا يليه ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم فأتيت النبي صلى الله عليه و سلم فذكرت ذلك له فقال : و ما أنكرت من ذلك ليس أفضل عند الل‍ه عز و جل من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه و تكبيره و تهليله] و في رواية قال [أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟ قالوا : بلى قال : و أدرك رمضان فصامه ؟ قالوا : بلى قال : و صلى كذا و كذا سجدة في السنة ؟ قالوا : بلى قال : فلما بينهما أبعد ما بين السماء و الأرض] قيل لبعض السلف طاب الموت قل : لا تفعل لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر و قيل لشيخ كبير منه : تحب الموت ؟ قال : لا قيل : و لم ؟ قال : ذهب الشباب و شره و جاء الكبر و خيره فإذا قمت قلت : بسم الله و إذا قعدت قلت : الحمد لله فأنا أحب أن يبقى لي هذا و قيل لشيخ آخر منهم : ما بقي مما تحب له الحياة قال : البكاء على الذنوب و لهذا كان السلف الصالح يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم عنهم بالموت و بكى معاذ عند موته و قال : إنما أبكي على ظمأ الهواجر و قيام ليل الشتاء و مزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر و بكى عبد لرحمن بن الأسود عند موته و قال : وا أسفاه على الصوم و الصلاة و لم يزل يتلو القرآن حتى مات و بكى يزيد الرقاشي عند موته و قال : أبكي على ما يفوتني من قيام الليل و صيام النهار ثم بكى و قال : من يصلي لك يا يزيد بعدك و من يصوم و من يتقرب لك بالأعمال الصالحة و من يتوب لك من الذنوب السالفة و جزع بعضهم عند موته و قال : إنما أبكي على أن يصوم الصائمون لله و لست فيهم و يصلي المصلون و لست فيهم و يذكر الذاكرون و لست فيهم فذلك الذي أبكاني

(تحمل أصحابي و لم يجدوا وجدي ... و للناس أشجان و لي شجن وحدي)

(أحبكم ما دمت حيا فإن أمت ... فوا أسفى ممن يحبكم بعدي)

في الترمذي [عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : ما من ميت مات إلا ندم : إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد و إن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب] إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسيء رأى بعض المتقدمين في المنام قائلا يقول له :

(يا خد إنك إن توسد لينا ... وسدت بعد الموت صم الجندل)

(فاعمل لنفسك في حياتك صالحا ... فلتقدمن غدا إذا لم تفعل)

و رأى آخر في المنام قائلا يقول له :

(إن كنت لا ترتاب أنك ميت ... و لست لبعد الموت ما أنت تعمل)

(فعمرك ما يفنى و أنت مفرط ... و اسمك في الموتى معد محصل)

رؤي بعض الموتى في المنام فقال : ما عندنا أكثر من الندامة و لا عندكم أكثر من الغفلة وجد على قبر مكتوب :

(ندمت على ما كان مني ندامة ... و من يتبع ما تشتهي النفس يندم)

(ألم تعلم أن الحساب أمامكم ... و أن وراءكم طالبا ليس يسأم)

(فخافوا لكيما تأمنوا بعد موتكم ... ستلقون ربا عادلا ليس يظلم)

(فليس لمغرور بدنياه راحة ... سيندم إن زلت له النعل فاعلموا)

الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة و بركعة و مهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم و بين العمل غلقت منهم الرهون و رؤي بعضهم في المنام فقال : ندمنا على أمر عظيم نعلم و لا نعمل و أنتم تعملون و لا تعلمون و الله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا و ما فيها قال بعض السلف : كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة و قال بعضهم بقية عمر المؤمن لا قيمة له يعني أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة و أن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح فأما من فرط في بقية عمره فإنه خاسر فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين الأعمال بالخواتيم من أصلح فيما بقي غفر له ما مضى و من أساء فيما بقي أخذ بما بقي و ما مضى

(يا بائع عمره مطيعا أمله ... في معصية الله كفعل الجهلة)

(إن ساومك الجهل باقيه فقل ... باقي عمر المؤمن لا قيمة له)

ما مضى من العمر و إن طالت أوقاته فقد ذهب لذاته و بقيت تبعاته و كأنه لم يكن إذا جاء الموت و ميقاته قال الله عز و جل : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ تلا بعض السلف هذه الآية و بكى و قال : إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة و النعيم و في هذا المعنى ما أنشده أبو العتاهية للرشيد حين بنى قصره و استدعى إليه ندماءه

(عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور)

(يسعى عليك بما اشتهيـ ... ـت لدى الرواح و في البكور)

(فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور)

(فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور)

و في صحيح البخاري [عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : أعذر الله إلى من بلغه ستين من عمره] و في الترمذي [أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين و أقلهم من يجوز ذلك] و في رواية : [حصاد أمتي من بلغ الخمسين فقد تنصف المائة فماذا ينتظر]

(لهفي على خمسين عاما قد مضت ... كانت أمامي ثم خلفتها)

(لو كان عمر بمائة هدني ... تذكري أني تنصفتها)

في بعض الكتب السالفة : إن لله مناديا ينادي كل يوم : أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم و ماذا أخرتم أبناء الثمانين لا عذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا و ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا و تجالسوا بيهم فتذاكروا ما عملوا ألا أتتكم الساعة فخذوا حذركم و قال وهب : إن لله مناديا ينادي في السماء الرابعة كل صباح : أبناء الأربعين زرع دنا حصاده أبناء الخمسين ماذا قدمتم و ما أخرتم أبناء الستين لا عذر لكم و في حديث : [إن الله يقول للحفظة ارفقوا بالعبد ما دامت حداثته فإذا بلغ الأربعين حققا و تحفظا] فكان بعض رواته يبكي عند روايته و يقول : حين كبرت السن و رق العظم وقع التحفظ قال مسروق : إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك و قال النخعي : كان يقال لصاحب الأربعين احتفظ بنفسك و كان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرغ للعبادة و قال عمر بن عبد العزيز : تمت حجة الله على ابن الأربعين فمات لها و رأى في منامه قائلا يقول له :

(إذا ما أتتك الأربعون فعندها ... فاخش الإله و كن للموت حذارا)

يا أبناء العشرين كم مات من أقرانكم و تخلفتم يا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم يا أبناء الأربعين ذهب الصبا و أنتم على اللهو قد عكفتم يا أبناء الخمسين تنصفتم المائة و ما أنصفتم يا أبناء الستين أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم أتلهون و تلعبون لقد أسرفتم

(و إذا تكامل للفتى من عمره ... خمسون و هو إلى التقى لم يجنح)

(عكفت عليه المخزيات فما له ... متأخر عنها و لا متزحزح)

(و إذا رأى الشيطان غرة وجهه ... حيا و قال فديت من لا يفلح)

قال الفضيل لرجل : كم أتى عليك ؟ قال : ستون سنة قال له : أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تصل

(و إن امرءا قد سار ستين حجة ... إلى منهل من ورده لقريب)

يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه إنما تفرح بنقص عمرك قال أبو الدرداء و الحسن رضي الله عنهما : إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك

(إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... و كل يوم مضى يدني من الأجل)

(فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح و الخسران في العمل)

قال بعض الحكماء : كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره و شهره يهدم سنته و سنته تهدم عمره ؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله و حياته إلى موته ؟

(نجد سرورا بالهلال إذا بدا ... و ما هو إلا السيف للحتف ينتضى)

(إذا قيل تم الشهر فهو كناية ... و ترجمة عن شطر عمر قد انقضى)

قال الحسن : الموت معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى من ورائكم و هي مراحل

(نسير إلى الآجال في كل لحظة ... و أعمارنا تطوى و هن مراحل)

(ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام و هن قلائل)

قال بعض الحكماء : من كانت الليالي و الأيام مطاياه سارتا به و إن لم يسر

(و ما هذه الأيام إلا مراحل ... يحث بها حاد إلى الموت قاصد)

(و أعجب شيء لو تأملت أنها ... منازل تطوى و المسافر قاعد)

يا من كلما طال عمره زاد ذنبه يا من كلما ابيض شعره بمرور الأيام اسود بالآثام قلبه

(شيخ كبير له ذنوب ... تعجز عن حملها المطايا)

(قد بيضت شعره الليالي ... و سودت قلبه الخطايا)

يا من تمر عليه سنة بعد سنة و هو مستثقل في نوم الغفلة و السنة يا من يأتي عليه عام بعد عام و قد غرق في بحر الخطايا فعام يا من يشاهد الآيات و العبر كلما توالت عليه الأعوام و الهور و يسمع الآيات و السور و لا ينتفع بما يسمع و لا بما يرى من عظائم الأمور ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ . ﴿ و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾

(خليلي كم من ميت قد حضرته ... و لكنني لم أنتفع بحضوري)

(و كم من ليالي قد أرتني عجائبا ... لهن و أيام خلت و شهور)

(و كم من سنين قد طوتني كثيرة ... و كم من أمور قد جرت و أمور)

(و من لم يزده السن ما عاش عبرة ... فذاك الذي لا يستنير بنور) ." (١)

"ألم تعلم أن الحساب أمامكم ... و أن وراءكم طالبا ليس يسأم

فخافوا لكيما تأمنوا بعد موتكم ... ستلقون ربا عادلا ليس يظلم

فليس لمغرور بدنياه راحة ... سيندم إن زلت له النعل فاعلموا

الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة وبركعة ومهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل غلقت منهم الرهون ورؤي بعضهم في المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وأنتم تعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها.

قال بعض السلف: كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة وقال بعضهم بقية عمر المؤمن لا قيمة له يعني أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح فأما من فرط في بقية عمره فإنه خاسر فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسر ان المبين الأعمال بالخواتيم من أصلح فيما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضى.

يا بائع عمره مطيعا أمله ... في معصية الله كفعل الجهلة

إن ساومك الجهل باقيه فقل ... باقي عمر المؤمن لا قيمة له

ما مضى من العمر وإن طالت أوقاته فقد ذهب لذاته وبقيت تبعاته وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته

---

(١) لطائف المعارف (ط: أخرى)، ص/٣٢١

قال الله عز وجل: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين*ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٧] تلا بعض السلف هذه الآية وبكى وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم وفي هذا المعنى ما أنشده أبو العتاهية للرشيد حين بنى قصره واستدعى إليه ندماءه.

عش ما بدا لك سالما ... في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح وفي البكور

فإذا النفوس تقعقعت ... في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور

وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعذر الله إلى من بلغه ستين من." (١)

"أو تظن أخي قد خلقت عبثا وتركت سدى تتخبط في ظلمات المعاصي وأوحال الشهوات تنتقل من قناة إلى قناة ومن مسلسل إلى فيلم ومن رقصة إلى أغنية دون حسيب أو رقيب ودون أن يكون هناك جزاء وحساب (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) . فلو كان الأمر كذلك لسبقك إليه غيرك فإن كل الناس غريزة وميل إلى الشهوات والملذات ولكن حال بين العقلاء منهم وبين ما يشتهون خوفهم من ربهم وأضرار تلك القنوات في الدنيا قبل الآخرة ، لأن هؤلاء تسيرهم وتوجههم عقولهم وليست شهواتهم فلذلك انتصروا على أنفسهم وتغلبوا على شهواتهم ، فكن أخي من هؤلاء واقتد بهم ، ولا تكن ممن أصبحت توجههم وتسيرهم شهواتهم وفروجهم .

أخي الحبيب :

لكي تعلم أن كثيرا مما يعرض في تلك القنوات إنما هو متعة وقتية وسعادة وهمية انظر كم مضى عليك من الشهور والسنين وأنت تقلب ناظريك بتلك المناظر الجميلة والصور الفاتنة ، ماذا استفدت حتى الآن وماذا بقي لك منها ؟ إنها والله شهوات وملذات ذهبت عنك سريعا ولكن تراكم عليك وزرها وإثمها كثيرا (أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون**) .

وربما تقول إن الاستغناء عن هذه القنوات أمر صعب وشاق على النفس لما يعرض فيها من المشاهد الممتعة والصور الفاتنة المحببة للنفس والتي تغري بمشاهدتها و متابعتها .

فأقول لك في هذه المواقف تتجلى قوة الإرادة ويتبين صدق الإيمان وتتأكد حقيقة الاستسلام لله ورسوله

---

(١) لطائف المعارف، ص/٣٠٢

صلى الله عليه وسلم ، وإلا فما الفرق إذا بين العاقل والسفيه ... وبين المتعلم والجاهل ... وبين قوى الإرادة وضعيفها ... وبين المسلم والصادق والمدعي .." (١)

"كفى بالموت واعظا

٤٣

الموت والحشر

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة

المسجد الحرام

ملخص الخطبة

غفلة الناس عن الاتعاظ بالموتى حولهم – الدنيا وسرعة زوالها والتحول عنها – طول الأمل وأثره – الوصية بالإكثار من ذكر الموت وأثر ذلك – وجوب المبادرة بالتوبة والاستعداد للموت

الخطبة الأولى

أما بعد:

أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله فمن لا يتقي الله تشابهت عليه السبل: إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا [الأنفال:٢٩].

عباد الله: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب.

إن ربكم لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدا، فتزودوا من دنياكم ما تحرزون به أنفسكم غدا. فالأجل مستور، والأمل خادع.

تمر الجنائز بالناس يجهزونها ويصلون عليها ويسيرون خلفها يشيعونها محمولة إلى مثواها الأخير. فتراهم يلقون عليها نظرات عابرة، وربما طاف بهم طائف من الحزن يسير. أو أظلهم ظلال من الكآبة خفيف. ثم سرعان ما يغلب على الناس نشوة الحياة وغفلة المعاش.

أيها الإخوة: أهل الغفلة أعمارهم عليهم حجة، وأيامهم تقودهم إلى شقوة. كيف ترجى الآخرة بغير عمل ؟ أم كيف ترجى التوبة مع الغفلة والتقصير وطول الأمل؟؟.

ويل لأهل الغفلة: إن أعطوا لم يشبعوا، وان منعوا لم يقنعوا، يأمرون بما لا يفعلون، ينهون وهم لا ينتهون،

---

(١) كلمات وخطب في الوعظ والتربية، ص/٦

هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون.

يا أهل الغفلة: هذه الدنيا كم من واثق فيها فجعته؟؟؟ وكم من مطمئن إليها صرعته؟؟ وكم من محتال فيها خدعته؟؟ وكم من مختال أصبح حقيرا؟؟ وذي نخوة أردته ذليلا؟؟ سلطانها دول[١]، وحلوها مر، وعذبها أجاج، وعزيزها مغلوب، العمر فيها قصير، والعظيم فيها يسير، وجودها إلى عدم، وسرورها إلى حزن، وكثرتها إلى قلة، وعافيتها إلى سقم، وغناها إلى فقر. دارها مكارة، وأيامها غرارة، ولأصحابها بالسوء أمارة. الأحوال فيها إما نعم زائلة وإما بلايا نازلة وإما منايا قاضية. عمارتها خراب، واجتماعها فراق، وكل ما فوق التراب تراب.

أهل الغفلة لا يشبعون مهما جمعوا، ولا يدركون كل ما أملوا. ولا يحسنون الزاد لما عليه قد أقدموا، يجمعون ولا ينتفعون، ويبنون ما لا يسكنون. ويأملون ما لا يدركون: ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون [الحجر:٣].

طويل الأمل: يبني ويهدم، وينقض ويبرم، ويقدر فيخطئ التقدير. يقول ويفعل، ويخطط ويدبر، وتأتي الأمور مخالفة للتدبير. يسيء في الاكتساب ويسوف في المتاب ثم هاهو قد تم أجله وانقطع عمله وأسلمه أهله وانقطعت عنه المعاذير: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

يا أهل الغفلة أيها المسلمون أيها المسلمات: ((أكثروا من ذكر هادم اللذات))[٢] بهذا أوصى نبيكم محمد . كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة؛ فمن ذكر الموت حق ذكره حاسب نفسه في عمله وأمانيه ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة – كما يقول القرطبي رحمه الله – تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ.

أكثروا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات، ((فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا سعة إلا ضيقها))[٣].

وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يبلى، والحي منا ومنكم أن يموت وأن تدال الأرض منا كما أدلنا منها، فتأكل لحومنا وتشرب دماءنا، كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمرها وشربنا من مائها ثم تكون كما قال الله: ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون [الزمر:٦٨].

لقد وقف نبيكم محمد على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: ((يا إخواني لمثل هذا فأعدوا))[٤]،

وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال: من أكيس الناس يا رسول الله؟ فقال: ((أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له، أولئك هم ،لأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة))[٥].((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت))[٦].

يقول الحسن رحمه الله: إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لب بها فرحا.

ويقول يونس بن عبيد: ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولا مال.

ويقول مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيما لا موت فيه. لقد أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم عيشهم وأمنوا الأسقام فهنيئا لهم طول مقامهم.

أيها المسلمون: اذكروا الموت والسكرات، وحشرجة الروح والزفرات، اذكروا هول المطلع. من أكثر ذكر الموت أكرمه الله بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت ابتلي بثلاث: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة.

كفى بالموت للقلوب مقطعا، وللعيون مبكيا، وللذات هادما. وللجماعات مفرقا. وللأماني قاطعا.." (١)

"١- الصبر:في الحديث المتفق عليه من حديث أبي سعيد: قال:قال رسول الله ((ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)).

٢- الاستقامة: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.. .

روى أحمد عن ثوبان: ((استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)).

٣- محاسبة النفس: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد .

روى أحمد عن عمر من قوله: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

وقال ميمون بن مهران: لا يكون العبد تقيا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك لشريكه.

٣- تدبر قصص الأنبياء والصالحين:

وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين .

وفي ذلك ثبات إبراهيم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين .

وعن ابن عباس: ((كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبنا الله ونعم الوكيل)).

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، ١/

وفي ذلك ثبات موسى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين
.
وثبات سحرة فرعون فلا قطعن أيديكن وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى .فكان جوابهم لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا .

ومثله قوله: الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادوهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

٤- وصية الرجل الصالح:

الإمام أحمد ابتلي في فتنة خلق القرآن، فكان مما ثبته يومئذ وصايا بعض الصالحين له، ومن ذلك:

قول أعرابي: يا هذا ما عليك أن تقتل ها هنا وتدخل الجنة.

وقال آخر: إن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل.

وقال أعرابي: يا أحمد أن يقتلك الحق مت شهيدا، وإن عشت عشت حميدا.. قال أحمد: فقوي قلبي.

وقال له محمد بن نوح: أنت رجل يقتدى بك قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك، فاتق الله واثبت لأمر الله.

وعندما خاف السوط قال بعض المسجونين: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي.

٥- الالتفاف حول العناصر المثبتة:

روى ابن ماجة عن أنس: قال:قال رسول الله ((إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر)).

وقال علي بن المديني: أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة.

وكان ابن القيم: يلجأ إلى شيخ الإسلام – رحمهما الله - عند الفتن.

٦- الدعاء:

روى الترمذي عن أنس: ((كان رسول الله يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلنا: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء)).

وفي حديث الطبراني والحاكم عن ابن عمر قال:قال رسول الله ((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم

كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)).

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

٧- التفاعل مع الآيات الكونية:

روى الشيخان عن عائشة: ((كان إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه)). وإذا قيل له: قال: ((يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذه عارض مطرنا)).

وفي مسند أحمد عن عائشة: ((أخذ.. بيدي ثم أشار إلى القمر فقال: يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الفاسق إذا وقب)).

وعن عقبة بن عامر قال: قال : ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، فإذا رأيتم منهما شيئا فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم)).

٨- قصر الأمل:

أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** .

كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار .

٩- الإكثار من ذكر الموت:

روى الترمذي عن ابن عمر قال:قال رسول الله ((أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت)).

روى الحاكم في المستدرك عن أنس: قال:قال رسول الله ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها يرق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا)).

١٠- الخوف من سوء الخاتمة:

روى الشيخان من حديث أبي هريرة: قال:قال رسول الله ((ومن قتل نفسه بحديده فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه.. ومن شرب سما يتحساه.. ومن تردى من جبل فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا)).

١١- تذكر منازل الآخرة:

روى الحاكم في المستدرك: قال:قال رسول الله ((صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)).

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أسيد بن حضير أنه قال للأنصار: ((إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)). ... ...

... ...

... ...

... ..." (١)

"بهرجتني فلا و الله لا أشربها أبدا. يعني كنت في الأول إذا شربتها جلدتموني، و الحد كفارة، و الآن تقول أنت لن تعاقبني، إذا يعني كيف التطهير؟ فلا و الله لا أشربها أبدا. عبد الله بن مسعود ربى تلاميذ، و كان من تلاميذه شخص يقال له الربيع بن خثيم –رحمه الله– هذا من كبار المحدثين العلماء الفقهاء العباد الزهاد، أهل الورع و الخشية، لما مروا تلاميذ ابن مسعود مع ابن مسعود على حداد، و الحداد عنده فرن نار لكي يدخل فيه الحديد الخام ليزيل الشوائب، فجعل عبد الله ينظر إلى حديدة في النار، فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط مما تذكر من عذاب الله، ثم أتوا على تنور على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله و النار تلتهب في جوفه (الآن إذا مررنا على خباز و رأينا فرن مثلا، و يوجد نار في الفرن، ما هي الموعظة من الموضوع؟، و ما هي الفكرة التي ستأتي في نفوسنا؟) عبد الله لما مر على فرن الخباز و التنور (الفرن) النار فيه تلتهب قرأ هذه الآية (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) (الفرقان ١٢-١٣)، فصعق الربيع فاحتملناه فجئنا به إلى أهله (يعني مريضا). و هكذا لما مر على الحدادين و نظر إلى كير و صعق، قال الأعمش فمررت بالحدادين لأتشبه به فلم يكن عندي خير (يعني ما أثر علي مثل ما أثر عليه). و الله تعالى يقول عن نار الدنيا (نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) (الواقعة ٧٣)، المسافرين يستفيدوا من النار، و نار الدنيا هذه ماذا أيضا؟ (نحن جعلناها تذكرة.....)، ما معنى تذكرة؟ يعني تذكر بنار الآخرة، يعني المفترض نحن إذا رأينا نار الدنيا أن نقول في أنفسنا: كيف نار الآخرة؟، و هكذا كانوا حتى بعض الأطفال في عهد السلف، طفل من أطفالهم رأى أهله يوقدون نارا للطعام، حطب، فلما نظر إليها جعل يبكي، فقالوا له لماذا تبكي؟ قال: وجدتكم تبدءون بصغار الحطب قبل كباره (هذا مستوى طفل) يعني يقول يمكن أنا يوم القيامة إذا مت يمكن أنا يبدأ بي، الصغار قبل الكبار، مثل حطب الدنيا، أليس (.....نارا وقودها الناس والحجارة.....) (التحريم ٦)؟. الذي عنده يقظة يا إخوان تفكيره غير تماما الذي عنده تبلد إحساس، المتبلد الإحساس هذا بعيد تماما عن الموضوع و لا يفكر في أمور مثل هذه. كان هشام الدستوائي إذا فقد السراج يتململ على فراشه (لا يستطيع النوم)، يعني عند نومه لابد أن يكون هناك شيء من الإنارة في الغرفة، لماذا؟ قال:

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، /٣

إني إذا فقدت السراج ذكرت ظلمة القبر (إذا كان لا يوجد نور أبدا في الغرفة ما أستطيع النوم) قالت زوجته: لماذا؟، قال: إذا تذكرت ظلمة القبر ما أستطيع النوم. أي أن الظلمة هذه تذكره بالقبر إذا. و قال عمر بن ميمون: خرجت بأبي أقوده إلى منزل الحسن يريد لقاءه، لما خرج الحسن اعتنقا، قال ميمون: يا أبا سعيد (كنية الحسن) إني قد أنست من قلبي غلظة (يعني لين قلبي بشيء) فقرأ الحسن (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (يعني من العذاب) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (النعيم هذا الذي مر بهم في الدنيا ماذا أغنى عنهم؟)) (الشعراء ٢٠٥-٢٠٧)، فسقط ميمون بن مهران مغشيا عليه، ثم أخذت بيد أبي فخرجت، فقلت: أبتي، هذا هو الحسن؟ (يذكرون عنه الحسن و الحسن)، قال: نعم، قلت: قد كنت أحسبه في نفسي أنه أكبر من هذا (يعني ماذا سمعنا من الحسن يعني؟)، قال: فوكز في صدري وكزة ثم قال: يا بني لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كلوما (جراح) (لو فهمت الآية مضبوط لصار عندك جراح في القلب). و لذلك فإنهم كانوا في التفكر يأخذون وقتا طويلا. يوسف بن أسباط يقول: قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة أتوضأ، فناولته فأخذها بيمينه و وضع يساره على خده، فبقي مفكرا و نمت ثم قمت وقت الفجر فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، قال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الساعة (يعني في قيام القيامة و الأهوال التي ستكون يوم القيامة، و هكذا). هذا يا إخواني يدل على أن الناس الذين عندهم تفكر تصرفاتهم تختلف، أوضاعهم تختلف، أحوالهم تختلف، قلوبهم تختلف، سلوكهم يختلف، و لذلك الإنسان فعلا يقارن حاله بالجمادات الآن لو آنس في نفسه و قلبه تبلد إحساس، أليس الحجر كان يسلم بمكة على النبي عليه الصلاة و السلام، يقول: ﴿....السلام عليك يا رسول الله﴾؟، أليس ﴿أحد جبل يحبنا ونحبه﴾؟، أليست النملة في جحرها و الحوت و كل الكائنات و الحيوانات و البهائم تدعو لمن يعلم الناس الخير؟، أليس الشجر و الدواب يستريحان من موت الفاجر؟، أليس الشجر و الحجر إذا صارت المعركة بين المسلمين و اليهود في زمن." (١)

"فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم دعاها إلى الله .. فأسلمت ..

فهذا الحرص العظيم .. من أبي بكر ..

كان أول ثمراته أن ثبته الله على الدين ..

فإنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم .. شكك بعض الناس في موته ..

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، /٨

وقام عمر رضي الله عنه بسيفه يتهدد من يقول بموته ..

فيرقى أبو بكر المنبر بخطى ثابتات .. ويفصل النزاع بقوله :

من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات .. ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

ثم ترتد قبائل حول مكة .. فيقف لهم أبو بكر .. ثابتا راسيا .. حتى أعاد قوة الإسلام ..

بل إن من ثمرات هذا الحرص أن أسلم على يديه أكثر من ثلاثين صحابيا .. ستة منهم من العشرة المبشرين بالجنة ..

* * * * * * * *

وينبغي على الفتى والفتاة .. بل على المسلمين والمسلمات ..

إذا عرضت لأحدهم شهوة .. أو شعر في قلبه بقسوة ..

أو أحس بفتور عن الطاعات .. ورغبة في المحرمات ..

أن يشكو همه إلى أخ ناصح أمين ..

وقد كان بعض السلف يقول لبعض : تعال بنا نؤمن ساعة ..

وروى الترمذي والنسائي بسند حسن ..

أن مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه .. كان يخرج من المدينة .. إلى مكة مختفيا .. ويذهب إلى البيوت التي يحبس فيها أسرى المسلمين فيطلقهم من قيودهم .. ويحملهم إلى المدينة ..

فدخل مكة ليلة من الليالي .. وواعد أحد الأسرى في موضع منها ..

فبينما هو يمشي إليه .. إذ مر بامرأة بغي بمكة .. يقال لها عناق ..

وكانت صديقة له في الجاهلية ..

فلما رآها اختبأ في ظل جدار فرأته .. فأقبلت إليه ..

فلما نظرت إلى وجهه عرفته .. فقالت : مرثد ؟ قال : مرثد ..

قالت : مرحبا وأهلا .. هلم فبت عندنا الليلة ..

فقال : يا عناق حرم الله الزنا ..

فقالت : لتفعلن أو لأفضحن .. قال : لا ..

فصاحت : يا أهل الخيام .. هذا الرجل يحمل أسراكم ..

ففزع مرثد .. وهرب .. فتبعه ثمانية منهم .. فدخل حديقة ..

واختبأ في غار فيها ..

فدخلوا وراءه فأعماهم الله عنه ..

فرجعوا إلى رحالهم ..

فلبث في مخبئه يسيرا .. ثم خرج إلى موضع صاحبه ..

فحمله معه حتى خرج به من مكة .. ففك عنه قيوده .. حتى أتيا المدينة ..

نعم .. وصلا المدينة .. لكن قلبه لا زال يتذكر تلك المرأة ..فلم يطق صبرا ..

فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال :

يا رسول الله .. أنكح عناقا .. أتزوجها ..؟

فأعرض عنه .. فأعاد عليه : يا رسول الله .. أنكح عناقا ..

فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم .. حتى أنزل الله : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ ..

فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام .. فقال له : " يا مرثد : الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة .. والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك .. فلا تنكحها ".

فرضي الله عن مرثد .. تأمل كيف تدارك نفسه رضي الله عنه .. بسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. حتى ذهب ما وسوس به الشيطان له ..

* * * * * * * *

وذكر أبو نعيم في الحلية :

عن عمرو ابن ميمون بن مهران قال :

بعدما كبر أبي وذهب بصره .. قال لي : هلم بنا إلى الحسن البصري ..

فخرجت به أقوده إلى بيت الحسن البصري .. فلما دخلنا على الحسن قال له أبي :

يا أبا سعيد .. قد أنست من قلبي غلظة .. فاستلن لي منه ..

فقرأ الحسن ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ ..

فبكى أبي .. حتى سقط .. وأخذ يضرب برجله الأرض ..

كما تضرب الشاة المذبوحة ..

وأخذ الحسن البصري يبكي معه وينتحب ..
فجاءت الجارية .. فقالت : قد أتعبتم الشيخ .. قوموا تفرقوا ..
فأخذت بيد أبي فخرجت به .. فلما صرنا في الطريق .. وكزني أبي في صدري وكزة .. ثم قال : يا بني .. لقد قرأ علينا آيات .. لو فهمتها بقلبك لأبقت فيه كلوما .. أي جروحا ..
نعم ..
لا بد من شكوى إلى ذي مروءة * يناجيك أو يسليك أو يتوجع ..
* * * * * * * *

ومن أعظم وسائل الثبات على الدين ..أن يكون المرء طائعا لله في سره وعلنه ..
صح عند ابن ماجة وغيره .. أنه صلى الله عليه وسلم قال : لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء .. فيجعلها الله هباء منثورا .. قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا .. جلهم لنا .. لا نكون منهم ونحن لا نعلم ..
قال : أما إنهم إخوانكم .. ومن جلدتكم .. ويأخذون من الليل كما تأخذون .. ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها ..
خلت امرأة برجل يوما .. فكان الشيطان ثالثهما .. فدعته إلى الفاحشة .. فقال : إن رجلا يبيع جنة عرضها السموات والأرض .. بلذة فانية .. لمجنون ..
وقد كان الصالحون .. يعجبهم أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح .. بينه وبين ربه لا يعلمها أحد .. من صدقة في السر .. أو نصيحة لمقصر .. أو كفالة يتيم .. أو أرملة ومسكين .. أو قيام في الأسحار .. وصيام في النهار .. ودعاء واستغفار ..." (١)

"وبعض الذين يشكون من ضعف الإيمان تثقل عليهم بعض وسائل العلاج كقيام الليل والنوافل فيكون من المناسب لهم البدء بهذا العلاج والحرص عليه فيحفظون من الأذكار المطلقة ما يرددونه باستمرار مثل : " لا إله إلا الله لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير " و " سبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم " و " لا حول ولا قوة إلا بالله " وغيرها ، ويحفظون كذلك من الأذكار المقيدة التي جاءت في السنة ما يرددونه إذا حان وقته زمانا أو مكانا مثل أذكار الصباح والمساء والنوم والاستيقاظ والرؤى والأحلام والأكل والخلاء والسفر والمطر والأذان والمسجد والاستخارة والمصيبة والمقابر والريح

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، /١١

ورؤية الهلال وركوب الدابة والسلام والعطاس وصياح الديكة والنهيق والنباح وكفارة المجلس ورؤية أهل البلاء وغيرها ، ولا ريب أن من حافظ على هذه سيجد الأثر مباشرا في قلبه . لشيخ الإسلام ابن تيمة رسالة مفيدة في الأذكار اسماها الكلم الطيب اختصرها الألباني باسم صحيح الكلم الطيب .

١٢- ومن الأمور التي تجدد الإيمان مناجاة الله والانكسار بين يديه عز وجل ، وكلما كان العبد أكثر ذلة وخضوعا كان إلى الله أقرب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء) رواه مسلم ٤٨٢ . لأن حال السجود فيها ذلة وخضوع ليست في بقية الهيئات والأوضاع ، فلما ألزق العبد جبهته في الأرض - وهي أعلى شيء فيه - صار أقرب ما يكون من ربه . يقول ابن القيم رحمه الله في كلام جميل بلسان الذلة والانكسار للتائب بين يدي الله : " فلله ما أحلى قول القائل في هذه الحال : أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني ، أسألك بقوتك وضعفي ، وبغناك عني وفقري إليك ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سواي كثير ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، أسألك مسألة المساكين ، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك قلبه " فعندما يأتي العبد بمثل هذه الكلمات مناجيا ربه فإن الإيمان يتضاعف في قلبه أضعافا مضاعفة .

وكذلك إظهار الافتقار إلى الله مما يقوي الإيمان والله سبحانه وتعالى قد أخبرنا بفقرنا إليه وحاجتنا له فقال سبحانه : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) فاطر/١٥ .

١٣- قصر الأمل : وهذا مهم جدا في تجديد الإيمان ، يقول ابن القيم رحمه الله : " ومن أعظم ما فيها هذه الآية (أفرأيت إن متعناهم سنين ، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون**) الشعراء /٢٠٥ (كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) فهذه كل الدنيا فلا يطول الإنسان الأمل ، يقول : سأعيش وسأعيش ، قال بعض السلف لرجل صلي بنا الظهر ، فقال الرجل : إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر ، فقال : وكأنك تؤمل أن تعيش لصلاة العصر ، نعوذ بالله من طول الأمل .

١٤- التفكر في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد قال الله تعالى : (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ، فانظر ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه ، قد علم إلى ما يصير) رواه الطبراني في الكبير ١٩٨/١ وهو في السلسلة الصحيحة رقم ٣٨٢ . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو علما أو متعلما) رواه ابن ماجه رقم ٤١١٢ وهو في

صحيح الترغيب والترهيب رقم ٧١ .

١٥- ومن الأمور المجددة للإيمان في القلب : تعظيم حرمات الله ، يقول الله تعالى : (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) الحج/٣٢ . وحرمات الله هي حقوق الله سبحانه وتعالى ، وقد تكون في الأشخاص وقد تكون في الأمكنة وقد تكون في الأزمنة، فمن تعظيم حرمات الله في الأشخاص القيام بحق الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا ، ومن تعظيم شعائر الله في الأمكنة تعظيم الحرم مثلا ، ومن تعظيم شعائر الله في الأزمنة تعظيم شهر رمضان مثلا : (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) الحج/٣٠ ، ومن التعظيم لحرمات الله عدم احتقار الصغائر وقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه) وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود ، والرجل يجيء بالعود ، حتى جمعوا سوادا فأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها . رواه أحمد ٤٠٢/١ وهو في السلسلة الصحيحة ٣٨٩.

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى." (١)

"آفة الإستعجال

فضيلة الشيخ د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فنحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا للإيمان به، والتمسك بكتابه، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما نحمده حيث يسر المراكز التي احتضنت الشباب فربتهم وغذتهم، ووسعت مداركهم، وفقهتهم في دينهم، وحفظهم من كتاب الله سبحانه وتعالى، ونمت عقولهم وأجسامهم، فشكر الله تعالى للقائمين عليها، وأجزل مثوبتهم عنده، ووفق جميع الآباء والطلاب للالتحاق بها وبأمثالها إنه سميع مجيب.

ثم إن من الموضوعات المهمة: منهج الدعوة، والأسلوب الصحيح في إنكار المنكر، وفي فقه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وفي طلب العلم، وكل ما من شأنه أن يكون منهجا مسددا صائبا وفق منهج رسول الله

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، /١٨

صلى الله عليه وسلم.

من الموضوعات المهمة في فقه الدعوة: ما يتعلق بالاستعجال، فهذا أمر جدير بالبحث والمطارحة والمناقشة من الجميع، وسوف أذكر إن شاء الله ما يسر الله لي ولو بإشارات إلى رءوس الموضوعات.

أول ما نقوله في هذا الشأن: أن الله سبحانه وتعالى قال: خلق الأنسان من عجل [الأنبياء:٣٧]، وقال عز وجل: وكان الأنسان عجولا [الإسراء:١١] فالإنسان بطبيعته عجول، والنفس الإنسانية بطبيعتها عجلة، وهذا أمر جعله الله سبحانه وتعالى فيها لحكمة عظيمة، لا نستطيع الآن أن نستعرضها، ولكن حكمة الله أن يكون في الإنسان هذا الطبع وهذه الصفة وهذه الغريزة.

ولو أن الناس لم يمنحهم الله تبارك وتعالى العقل والأناة، لأكلوا الثمار قبل أن تنضج، ولربما أكلوا الطعام قبل أن ينضج، إذ في الإنسان هذا الطبع، فإذا كان في طبع الإنسان باعتباره إنسانا أيا كان مؤمنا أو كافرا أن يستعجل، وخلق من عجل، فهذا يوضع في الاعتبار بالنسبة للإخوة الدعاة وبالنسبة للناس المدعوين.

أما بالنسبة للدعاة فيجب أن يحمل بعضنا بعضا على المحمل الحسن، وإذا رأينا هذا الاستعجال من أنفسنا أو من إخواننا الدعاة، فلنعلم أن الطبيعة البشرية قد غلبت جانبا آخر، فلنذكر أنفسنا به، وهو "الحكمة والأناة"، حتى لا تغلبنا هذه النزعة وهذه العاطفة.

وبالنسبة للمدعوين نحتاج إلى أناة، إننا نريد أن نقول الكلمة اليوم فنرى أثرها عاجلا الآن أو غدا، نريد أن نقول للناس: هذا حرام، فينتهي الجميع عنه، أو نقول لهم: هذا واجب، فسرعان ما نجدهم قد فعلوه، وامتثلوا أمر الله فيه.

والأمر ليس كذلك أبدا، فلكون الاستعجال من طبيعة البشر، ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن بيانا شافيا كافيا له احتى يغير به الأمور والأحوال.

ومن ذلك ما ذكره الله في آي كثيرة أن الرسل الكرام عندما يدعون أقوامهم إلى الله وتوحيده يخوفونهم من عذاب الله، وينذرونهم عاقبة المعاصي، والظلم، والجور، والفساد، فإن الجواب عند كثير من الأمم هو استعجال العذاب ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون [الحج:٤٧].

انظر حلم الله سبحانه وتعالى وسنن الله! يستعجلون أن تحل بهم العقوبة، ولهذا جاء الرد عليهم في آي كثيرة، قال الله تبارك وتعالى: أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٤-٢٠٧].

سبحان الله! يستعجلون بالعذاب اليوم، لو فكروا كم سيعيشون، أرأيت إن أمهلهم الله وجعلهم يتقلبون في البلاد؟! أهذا يعني أنه لن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر؟! سبحان الله! أفرأيت إن متعناهم سنين [الشعراء:٢٠٥] هب أن الأمر كان كذلك ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٦-٢٠٧] هنا المحك، وهنا المعيار.

سل من تمتع وتقلب في أنواع الملذات العمر كله، لحظة أخذ الله له أخذ عزيز مقتدر، هل أغنى عنه ذلك المتاع شيئا؟! قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون [يونس:٥٠]، فإذا أتاه العذاب تذهب تلك النعمة، وتلك اللذات والشهوات، ولهذا في الحديث الصحيح: ﴿أنه يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض من أهل الدنيا، وهو من أهل النار، فيغمس في النار غمسة واحدة، فيقال له: هل رأيت نعيما قط؟ هل ذقت نعيما قط؟ فيقول: لا والله، ما ذقت نعيما قط والعكس، يؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيغمس في الجنة غمسة واحدة، يقال له: هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله! ما ذقت بؤسا قط ﴾.

إذا العبرة بالنتائج، فلماذا نستعجل؟." (١)

"قال افتأمن أن لا يأتيك ملك الموت على الحالة التي أنت عليها؟

قال اللهم لا آمن.

فقال حال ما أقام عليها عاقل وما يقيم عليها ذو قلب ولب، إن الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت البيض، أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع.

أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر الذي ستنفرد فيه وحدك، ويسد عليك فيه بالطين وحدك، آلا عملت لك فراشا من تقوى الله، فمن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون.

فلا يومك الماضي عليك بعائد .... ولا يومك الآتي به أنت واثق

فاستعد وأعد.

يا شابا عكف على القرآن:

مسجده ومصلاه، والمسجد مظهره ومخبره اسأل الله الثبات، وازدد من الحسنات، واجعل الآخرة همك يجعل الله غناك في قلبك ويجمع لك شمل، وتأتيك الدنيا راغمة، فجد وسارع واغتنم زمن الصبا.

و يا شابا هجر القرآن:

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، ١/٤١

وأعطى نفسه هواها فدساها، لتقفن موقفا ينسى الخليل به الخليل، وليركبن عليك من الثرى ثقل ثقيل، ولتسألن عن النقير، والقطمير والصغير والكبير، فعد فالعود أحمد قبل أن تقول ربي ارجعون فلا رجوع: ذهب العمر وفات، يا أسير الشهوات، ومضى وقتك في لهو وسهو وسبات.

يا شيخا اقترب من القبر:

عرف أنه منه قاب قوسين أو أدنى، فأكثر من الاستغفار، وحبل لسانه عن الزور، ورعى رعيته كما ينبغي، وعرف قدر يومه وليلته بشراك بشراك، ضاعف العمل فإن الخيل إذا وصلت إلى نهاية السباق قدمت كل ما لديها من قوة لتفوز بالجائزة.

ويا شيخا نسي الله في شيخوخته بعد شبابه:

فارتكب الجرائم وقارف الكبائر ووقف على عتبة الموت، أين الهوى والشهوات؟ ذهبت وبقيت التبعات، تتمنى بعد يبس العود العود وهيهات.

يا من شاب رأسه فما استحي من الله:

يا من شاب رأسه فانتهك حدود الله وأعرض عن منهج الله تب إلى الله قبل أن تكون ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

إلى من ضيع الصلاة وأتبع الشهوات.

إلى المنافقين والزناة.

إلى الظلمة والبغاة.

إلى من طغى وآثر الحياة الدنيا.

إلى المغتابين والنمامين والحاسدين وأكلة الربا.

إلى من ألهاهم التكاثر فنسوا بعثرة المقابر وتحصيل من في السرائر.

إلى من أضنى عينيه بمشاهدة المسلسلات واستقبال القاذورات.

إلى من طربت أذنه باستماع الأغنيات.

إلى من شغلته أمواله المحرمة والشركات.

إلى من أعمى الهوى بصره وأصم سمعه فكان حيا وهو في عداد الأموات.

إلى الراشين والمرتشين وأهل السكر والمخدرات.

إلى المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.

إلى الكاسيات العاريات.

إلى العصاة جميعا.

من الموت والقبر والحساب أين المفر، أين المفر؟

(كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر).

(أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون).

عباد الله: آن الأوان أن نعلنها توبة إلى الله باللسان والجنان.

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.

اللهم آتي نفوسنا تقواها.

اللهم زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولها. وأنت أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأنصر عبادك الموحدين.

اللهم ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك ولا مأوى له سواك، ولا مغيث له سواك.

اللهم ارحم سائلك ومؤملك لا منجى له ولا ملجئ إلا إليك.

اللهم كن للمستضعفين والمضطهدين والمظلومين.

اللهم فرج همهم ونفس كربهم وارفع درجتهم واخلفهم في أهلهم.

اللهم أنزل عليهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء.

يا سميع الدعاء

الله ارحم موتى المسلمين، اللهم إنهم عبيدك بنوا عبيدك بنو إمائك احتاجوا إلى رحمتك وأنت غني عن عذابهم، الله زد في حسناتهم، وتجاوز عن سيئاتهم أنت أرحم بهم وأنت أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عن ما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين.

فضيلة الشيخ / علي عبد الخالق القرني." (١)

"وسل المتيم كيف مجلسه مع المحبوب في روح وفي ريحان

وتدور كاسات الرحيق عليهما * بأكف أقمار من الولدان

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، ٥/١٤٣

يتنازعان الكأس هذا مرة * والخود اخرى ثم يتكئان

فيضمها وتضمه أرأيت معشوقين بعد البعد يلتقيان *

غاب الرقيب وغاب كل منكد * وهما بثوب الوصل مشتملان

أتراهما ضجرين من ذا العيش لا * وحياة ربك ما هما ضجران

ولا يمل أحدهما من الآخر :

ويزيد كل منهما حبا لصا * حبه جديدا سائر الأزمان

ووصاله يكسوه حبا بعده * متسلسلا لا ينتهي بزمان

فالوصل محفوف بحب سابق * وبلاحق وكلاهما صنوان

هذا هو والله النعيم الحقيقي..

أما نعيم الدنيا ومتعتها.. فمهما طالت فهي منقطعة..

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الذل والعار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

قال الله : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** *
وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين ﴾..

هذا هو النوع الأول من العاشقين والعاشقات..

الذين تعلق كل جنس منهم بالجنس الآخر..

أما النوع الثاني من العشاق..

فهم من شذوا عن الفطرة.. فعشق الشاب شابا مثله..

والفتاة فتاة مثلها..

وهؤلاء.. أعظم شذوذا.. وأكثر ضلالا..

وقد ذكر الله خبرهم في القرآن.. وأن لوطا صاح بهم وقال ﴿ أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ ..

وإذا وقعت هذه الفاحشة.. كادت الأرض تميد من جوانبها.. والجبال تزول عن أماكنها..

ولم يجمع الله على أمة من العذاب ما جمع على قوم لوط.. فإنه طمس أبصارهم.. وسود وجوههم.. وأمر جبريل بقلع قراهم من أصلها ثم قلبها عليهم.. ثم خسف بهم.. ثم أمطر عليهم حجارة من سجيل..

قال عز من قائل : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ﴾..

فجعلهم آية للعالمين.. وموعظة للمتقين.. ونكالا للمجرمين..

إن في ذلك لآيات للمتوسمين..

أخذهم على غرة وهم نائمون.. فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون..

نعم..

ذهبت اللذات.. وأعقبت الحسرات.. وانقضت الشهوات..

تمتعوا قليلا.. وعذبوا طويلا.. وأعقبهم عذابا أليما..

ندموا والله ولا ينفع الندم.. وبكوا بدل الدموع الدم..

فلو رأيتهم والنار تشوي وجوههم..

وتخرج من أفواههم وأنوفهم..

وهم بين أطباق الجحيم.. يشربون كؤوس الحميم..

ويقال لهم وهم على وجوههم يسحبون.. ذوقوا ما كنتم تكسبون..

﴿ إصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾

وما هي من الظالمين ببعيد..

نعم.. هذا حال هؤلاء الفساق..

وبعض الشباب قد يتساهل بمثل ذلك.. بل قد يظهر منه ما يدل على استدعائه لذلك..

فكم نرى من الشباب المائعين في حركاتهم.. وضحكاتهم.. بل وأسلوب الكلام.. وطريقة المشي..

إضافة إلى لبس الثوب الضيق المخصر.. واستعمال العطورات المنوعة.. والاعتناء الزائد بالمظهر.. وقصة الشعر..

نرى أحيانا هذه المظاهر في بعض المدارس.. وفي الشوارع..

فلماذا يفعل هذا الشاب ذلك..

أيا ناكح الذكران تهنيكم البشرى * فيوم معاد الناس إن لكم أجرا

كلوا واشربوا وازنو ولوطوا واكثروا * فان لكم زفا الى ناره الكبرى

فاخوانكم قد مهدوا الدار قبلكم * وقالوا الينا عجلوا لكم البشرى

وها نحن أسلاف لكم فى انتظاركم * سيجمعنا الجبار في ناره الكبرى

ولا تحسبوا أن الذين نكحتموا * يغيبون عنكم بل ترونهم جمرى

ويلعن كل منهم لخليله * ويشقى به المحزون في الكرة الاخرى

يعذب كل منهم بشريكه *كما اشتركا في لذة توجب الوزرى

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه فيما رواه الترمذي : (إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط)..

وصح فيما رواه ابن حبان : (لعن الله من عمل عمل قوم لوط.. لعن الله من عمل عمل قوم لوط.. لعن الله من عمل عمل قوم لوط)..

وصح في مسند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال : (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)..

أما الصحابة فكانوا يحرقون اللوطية بالنار..

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : اللوطي إذا مات من غير توبة مسخ في قبره خنزيرا..

ومن كان قد أسرف على نفسه.. ووقع في شيء من ذلك.. فليسارع إلى التوبة والاستغفار.. والإنابة إلى العزيز الغفار..

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.. ﴾..

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال : (لله عز وجل أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فأضلها فخرج في طلبها حتى إذا أدركه الموت ولم يجدها قال أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت فيه فأتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده.. فأخذها ثم قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك.. أخطأ من شدة الفرح)..

والتوبة أمرها يسير.. ولا يلزم من وقع في الفاحشة أن يسلم نفسه.. ليقام عليه الحد.. بل يتوب بينه وبين ربه.. ويستتر بستر ربه..." (١)

"الأسرة المسلمة في ظلال التوحيد

إعداد الشيخ / جمال عبدالرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه... وبعد:

فإن الله سبحانه خلق الناس من ذكر وأنثى وجعل من أنفسهم أزواجا، وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة،

---

(١) موسوعة الخطب والدروس، ١١/١٩٤

وأمر بالشكر على هذه النعم، فكل ذلك من إنعام الله تعالى على عباده، قال جل شأنه: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴿النحل﴾.

فالأسرة المسلمة زوج وزوجة، وبنون وحفدة، والجميع ينعم بنعمة الله تعالى ويحيا الحياة الطيبة ويأكل من رزقه: كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ﴿سبأ﴾.

والقائم على أمر هذه الأسرة المسئول عن دنياهم وأخراهم هو الأب الذي جعل الله تعالى القوامة إليه: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴿النساء﴾، "والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته". هذا الراعي مسئول عن تعليم أهله وولده التوحيد الخالص، والطاعة لله القوي القاهر، والخضوع لأمره سبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وحثهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وتجنبيهم ما يضرهم أيضا في دينهم ودنياهم، كذلك عليه أن يعلمهم الحرص على صلاح القلوب فإنها أوعية التقوى، وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد.

أيها المربي:

إن أي إنسان إذا علم بأي مرض عضوي في مضغة قلبه كارتخاء شريان أو انسداده أو خفقان أو ثقب في جدار القلب؛ فإنه يفزع من ذلك فزعا شديدا ويسارع بكل ما أوتي إلى التداوي من هذا المرض المفزع رغم أنه قد يعيش أعواما عديدة على حاله هذا دون خطر على عقله وسلوكه، لكن العجيب أن يصاب القلب بأخبث الأمراض وأشدها فتكا وتأثيرا على السلوك والخلق والعبادة والمعاملة، ثم لا يسعى إلى إصلاح ما فسد منه وعرضه للهلاك والخطر، ولو تأملنا سير الأولين في ترقب تغيرات القلب والتربص لما يطرأ عليه من علل وأمراض لوجدنا عجبا.

يقول عمرو بن ميمون بن مهران: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول، فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده فدفعنا إلى منزل الحسن، فطرقت الباب، فخرجت جارية فقالت: من هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: يا شقي؛ ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟ فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا، ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد؛ إني قد آنست من قلبي غلظة، فاستلن لي (يعني صف لي شيئا يلين قلبي)، فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم: أفرأيت

إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴿الشعراء﴾،
قال عمرو: فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله ما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلا ثم أفاق (يعني أغمي عليه ثم أفاق)، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ (تعني الحسن)؛ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به، ثم قلت له: يا أبتاه؛ هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكثر من هذا، قال: فوكز أبي في صدري وقال: يا بني، لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها بقلبك لألفي لصافيه كلوم (أي جروح)، يعني: لو تدبرت هذه الآية وفهمتها لشقت كبدك وجرحت قلبك. ﴿تهذيب الكمال: ٢٩-٢٢٥﴾.
فسبحان الله، انظروا كيف تأثر ذلك الشيخ بكلام الجارية وبكى وهي تقول له: ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟ فبكى أنه عاش حتى أدرك الشر فقسا قلبه، وانظروا إليه كيف غشي عليه عند سماع هذه الآيات العظيمة من كتاب الله فسقط على الأرض وهو يفحص برجله كالشاة المذبوحة، والعجيب أنه جاء يشكو للحسن أنه آنس من قلبه غلظة، وجاء يطلب ملينا لقلبه، وانظروا إلى سرعة استجابة قلبه للدواء الشافي- القرآن العظيم- إنها قلوب حية سليمة: يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿الشعراء﴾، الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴿الزمر﴾.
أيتها المربية:." (١)

"كفى بالموت واعظا

الرقاق والأخلاق والآداب

الموت والحشر

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة

المسجد الحرام

محامد و أدعيةطباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

----

(١) موسوعة الخطب والدروس، ١/٢٢٦

ملخص الخطبة

غفلة الناس عن الاتعاظ بالموتى حولهم – الدنيا وسرعة زوالها والتحول عنها – طول الأمل وأثره – الوصية بالإكثار من ذكر الموت وأثر ذلك – وجوب المبادرة بالتوبة والاستعداد للموت

الخطبة الأولى

أما بعد:

أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله فمن لا يتقي الله تشابهت عليه السبل: إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا [الأنفال:٢٩].

عباد الله: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب. إن ربكم لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدا، فتزودوا من دنياكم ما تحرزون به أنفسكم غدا. فالأجل مستور، والأمل خادع.

تمر الجنائز بالناس يجهزونها ويصلون عليها ويسيرون خلفها يشيعونها محمولة إلى مثواها الأخير. فتراهم يلقون عليها نظرات عابرة، وربما طاف بهم طائف من الحزن يسير. أو أظلهم ظلال من الكآبة خفيف. ثم سرعان ما يغلب على الناس نشوة الحياة وغفلة المعاش.

أيها الإخوة: أهل الغفلة أعمارهم عليهم حجة، وأيامهم تقودهم إلى شقوة. كيف ترجى الآخرة بغير عمل ؟ أم كيف ترجى التوبة مع الغفلة والتقصير وطول الأمل؟؟.

ويل لأهل الغفلة: إن أعطوا لم يشبعوا، وان منعوا لم يقنعوا، يأمرون بما لا يفعلون، ينهون وهم لا ينتهون، هم للناس لوامون ولأنفسهم مداهنون.

يا أهل الغفلة: هذه الدنيا كم من واثق فيها فجعته؟؟؟ وكم من مطمئن إليها صرعته؟؟ وكم من محتال فيها خدعته؟؟ وكم من مختال أصبح حقيرا؟؟ وذي نخوة أردته ذليلا؟؟ سلطانها دول(١)[١]، وحلوها مر، وعذبها أجاج، وعزيزها مغلوب، العمر فيها قصير، والعظيم فيها يسير، وجودها إلى عدم، وسرورها إلى حزن، وكثرتها إلى قلة، وعافيتها إلى سقم، وغناها إلى فقر. دارها مكارة، وأيامها غرارة، ولأصحابها بالسوء أمارة. الأحوال فيها إما نعم زائلة وإما بلايا نازلة وإما منايا قاضية. عمارتها خراب، واجتماعها فراق، وكل ما فوق التراب تراب.

أهل الغفلة لا يشبعون مهما جمعوا، ولا يدركون كل ما أملوا. ولا يحسنون الزاد لما عليه قد أقدموا، يجمعون

ولا ينتفعون، ويبنون ما لا يسكنون. ويأملون ما لا يدركون: ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون [الحجر:٣].

طويل الأمل: يبني ويهدم، وينقض ويبرم، ويقدر فيخطئ التقدير. يقول ويفعل، ويخطط ويدبر، وتأتي الأمور مخالفة للتدبير. يسيء في الاكتساب ويسوف في المتاب ثم هاهو قد تم أجله وانقطع عمله وأسلمه أهله وانقطعت عنه المعاذير: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

يا أهل الغفلة أيها المسلمون أيها المسلمات: ((أكثروا من ذكر هادم اللذات))(٢)[٢] بهذا أوصى نبيكم محمد . كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة؛ فمن ذكر الموت حق ذكره حاسب نفسه في عمله وأمانيه ولكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة –كما يقول القرطبي رحمه الله – تحتاج إلى تطويل الوعاظ وتزويق الألفاظ.

أكثروا من ذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات، ((فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه، ولا سعة إلا ضيقها))(٣)[٣].

وايم الله ليوشكن الباقي منا ومنكم أن يبلى، والحي منا ومنكم أن يموت وأن تدال الأرض منا كما أدلنا منها، فتأكل لحومنا وتشرب دماءنا، كما مشينا على ظهرها وأكلنا من ثمرها وشربنا من مائها ثم تكون كما قال الله: ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون [الزمر:٦٨].

لقد وقف نبيكم محمد على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: ((يا إخواني لمثل هذا فأعدوا))(٤)[٤]، وسأله عليه الصلاة والسلام رجل فقال: من أكيس الناس يا رسول الله؟ فقال: ((أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة))(٥)[٥].((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت))(٦)[٦].

يقول الحسن رحمه الله: إن الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لب بها فرحا. ويقول يونس بن عبيد: ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولا مال. ويقول مطرف: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيما لا موت فيه. لقد أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم عيشهم وأمنوا الأسقام فهنيئا لهم طول مقامهم.

أيها المسلمون: اذكروا الموت والسكرات، وحشرجة الروح والزفرات، اذكروا هول المطلع. من أكثر ذكر

الموت أكرمه الله بثلاث: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسي الموت ابتلي بثلاث: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة.
كفى بالموت للقلوب مقطعا، وللعيون مبكيا، وللذات هادما. وللجماعات مفرقا. وللأماني قاطعا.
استبدل الأموات بظهر الأرض بطنا، وبالسعة ضيقا، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة، جاءوها حفاة عراة فرادا. اللحود مساكنهم، والتراب أكفانهم، والرفات جيرانهم لا يجيبون داعيا، ولا يسمعون مناديا. كانوا أطول أعمارا وأكثر آثارا، فما أغناهم ذلك من شيء لما جاء أمر ربك، فأصبحت بيوتهم قبورا، وما جمعوا بورا، وصارت أموالهم للوارثين، وأزواجهم لقوم آخرين. حل بهم ريب المنون، وجاءهم ما كانوا يوعدون: أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون [المؤمنون:١١٥].
هل تفكرت يا عبد الله يوم المصرع، يوم ليس لدفعه حيلة، ولا ينفع عند نزوله ندم. أزل عن قلبك غشاوة الغافلين، فإنك واقف بين يدي من يعلم وسواس الصدور، ومن يسأل عن لحظات العيون، ويحاسب على إصغاء الأسماع: يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية [الحاقة:١٨].
تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويمنع الركون إلى الدنيا، ويهون المصائب. تذكروا الموت لعلكم تسلمون من حسرة الفوت.
يقول الحسن رحمه الله: اتق الله يا بن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت وحسرة الفوت.
احذر السكرة والحسرة يفجأك الموت وأنت على غرة فلا يصف واصف قدر ما تلقى ولا قدر ما ترى.
احذر لا يأخذك الله على ذنب فتلقاه ولا حجة لك.
أيها الإخوة: أين الخائف من قلة الزاد؟ وأين المتخفف من أثقال الدنيا ؟ أين الوجل من بعد السفر ووحشة الطريق ؟ اكتفى من الدنيا بطمريه(٧)[٧]، ومن طعامه بقرصيه. استعان على دنياه بالعفة والسداد فكفاه في دنياه القليل من الزاد. لقد استحيا من ربه حق الحياء تذكر الموت والبلى فحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى أراد الآخرة فترك زينة الحياة الدنيا. آثر ما يبقى على ما يفنى ذلكم هو كيس الأكياس.
ألا فاتقوا الله رحمكم الله واحفظوا الله ما إستحفظكم وكونوا أمناء على ما استودعكم، فإنكم عند ربكم موقفون، وعلى أعمالكم مجزيون وعلى تفريطكم نادمون.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور [آل عمران:١٨٥].

الخطبة الثانية

الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مأيوس من مغفرته، أحمده سبحانه وأشكره على سوابغ نعمته، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ومصطفاه من رسله، وخيرته من بريته. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن سار على نهجه واستمسك بسنته وحافظ على شريعته وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

أيها المسلمون: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، ((بادروا بالأعمال قبل أن تشغلوا، فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر))(٨)[١].

لا تكونوا – رحمكم الله – ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل. وقد علمتم أن الموت يأتي بغتة.

أكثروا من زيارة القبور فإنها تذكر الآخرة. اعتبروا بمن صار تحت التراب وانقطع عن أهله والأحباب، جاءه الموت في وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه.

وليتأمل الزائر حال من مضى من أقرانه، أكثروا الآمال وجمعوا الأموال انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم، محا التراب محاسن وجوههم، وتفرقت في القبور أشلاؤهم، وترملت من بعدهم نساؤهم وقسمت أموالهم ومساكنهم: ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم [الأنعام:٩٤].

اتقوا الله رحمكم الله وارجوا الدار الآخرة فتلك دار لا يموت سكانها، ولا يخرب بنيانها، ولا يهرم شبابها، ولا يبلى نعيمها، ولا يتغير حسنها وإحسانها وحسانها، يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين: دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [يونس:١٠].

---

(١) أي متداول لا يبقى على حال، ولا يختص به أحد دون أحد.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٢/٢٩٢)، والترمذي: كتاب الزهد – باب ما جاء في ذكر الموت، حديث (٢٣٠٧)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. والنسائي: كتاب الجنائز – باب كثرة ذكر الموت، حديث (١٨٢٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث (٤٢٥٨)، وصححه ابن حبان (٢٩٩٢)، وذكره الضياء في المختارة (١٧٠١–١٧٠٢). وحسن المنذري إسناده. الترغيب

(١١٧/٤)، وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني وإسنادهما حسن، (٣٠٨/١٠)، وصححه الألباني بشواهده، إرواء الغليل (٦٨٢).

(٣) حسن، وهو زيادة على الحديث السابق، أخرجها ابن حبان (٢٩٩٣)، وحسن الهيثمي إسنادهما، مجمع الزوائد (٣٠٨/١٠). والألباني كذلك، إرواء الغليل (٦٨٢).

(٤) حسن، أخرجه أحمد (٢٩٤/٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد – باب الحزن والبكاء، حديث (٤١٩٥)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب (١٢٠/٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٥١).

(٥) حسن، أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث (٤٢٥٩)، والطبراني في الكبير (١٣٥٣٦)، والبيهقي في الزهد الكبير (٤٥٦). وصححه الحاكم (٥٤٠/٤). وقواه البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٤٩/١-٢٥٠)، وحسن المنذري إسناد الطبراني، وجود إسناد ابن ماجه. الترغيب (١١٩/٤)، وكذا حسن الهيثمي إسناد الطبراني مجمع الزوائد (٣٠٩/١٠). وحسن الألباني الحديث بطرقه. السلسلة الصحيحة (١٣٨٤). أما الجملة الأولى منه صحيحة، أخرجها البخاري: كتاب الأدب – باب لم يكن النبي فاحشا، حديث (٦٠٢٩) وغيره.

(٦) ضعيف، أخرجه أحمد (١٢٤/٤)، والترمذي: كتاب صفة القيامة – باب حدثنا سفيان بن وكيع ... حديث (٢٤٥٩) وقال: حديث حسن. وابن ماجه: كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث (٤٢٦٠) ن والحاكم (٥٧/١) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله، أبو بكر واه، قلت: أبو بكر هو ابن أبي مريم الغساني، ضعفه أيضا ابن حجر . التقريب (٨٠٣١)، ومدار الإسناد عليه، فالحديث ضعيف، وضعفه الألباني، ضعف الجامع (٤٣٠٥)، ضعيف سنن الترمذي (٤٣٦).

(٧) الطمر: بالكسر الثوب الخلق البالي.

(٨) ضعيف، أخرجه الترمذي: كتاب الزهد – باب ما جاء في المبادرة بالعمل، حديث (٢٣٠٦) وقال: حسن غريب، والعقيلي في الضعفاء (٢٣٠/٤) في ترجمة محرز بن هارون، والطبراني في الأوسط (٣٩٤٥) وأبو يعلى (٦٥٤٢) وكلاهما رواه بنحوه. وفيه محرز بن هارون نقل العقيلي – في المصدر السابق – عن البخاري أنه قال: منكر الحديث. وقال المنذري: رواه الترمذي من رواية محرز، ويقال: محرز بالزاي، وهو واه. الترغيب (١٢٥/٤). وأخرجه أيضا الحاكم (٣٢١/٤)، وفيه علة خفية ذكرها الألباني، انظر: السلسلة

الضعيفة (١٦٦٦).

." (١)

"حياة القلوب وأمراضها

الرقاق والأخلاق والآداب

أعمال القلوب، اغتنام الأوقات

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة

المسجد الحرام

محامد و أدعيةطباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

لا بد من وقفة صادقة مع النفس ومحاسبتها – سرعة مرور الأيام وانقضاء الأعمار ، وأهمية محاسبة النفس لإدراك حقيقة الدنيا – أهمية القلب وتفقده ومعرفته ، وتزكية النفس – أنواع القلوب ، وصفات كل نوع – أسباب حياة القلوب ومرضها وموتها

الخطبة الأولى

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله رحمكم الله حيثما كنتم، وقوموا بالأمر الذي من أجله خلقتم؛ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات:٥٦]. أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلىينا لا ترجعون [المؤمنون:١١٥].

أيها المسلمون في مستفتح العام يحسن التذكير. وما يتذكر إلا من ينيب، من غفل عن نفسه تصرمت أوقاته، واشتدت عليه حسراته. لا بد من وقفة صادقة مع النفس في محاسبة جادة، ومساءلة دقيقة، فوالله

---

(١) موسوعة خطب المنبر، ص/٧٨

لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتجزون بما كنتم تعملون. هل الأعمار إلا أعوام؟ وهل الأعوام إلا أيام؟ وهل الأيام إلا أنفاس؟ وإن عمرا ينقضي مع الأنفاس لسريع الانصرام. أفلا معتبر بما طوت الأيام من صحائف الماضين؟ وقلبت الليالي من سجلات السابقين؟ وما أذهبت المنايا من أماني المسرفين؟ كل نفس من أنفاس العمر معدود. وإضاعة هذا ليس بعده خسارة في الوجود. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا [آل عمران:٣٠].

هذه يد المنون تتخطف الأرواح من أجسادها. تتخطفها وهي راقدة في منامها. تعاجلها وهي تمشي في طرقاتها. تقبضها وهي مكبة على أعمالها. تتخطفها وتعاجلها من غير إنذار أو إشعار. فإذا جآء أجلهم لا يستئخرون ساعة ولا يستقدمون [النحل:٦١].

ها هو ابن آدم يصبح سليما معافى في صحته وحلته، ثم يمسي بين أطباق الثرى قد حيل بينه وبين الأحباب والأصحاب.

ويل للأغرار المغترين. يأمنون الدنيا وهي غرارة. ويثقون بها وهي مكارة. ويركنون إليها وهي غدارة. فارقهم ما يحبون، ورأوا ما يكرهون. وحيل بينهم وبين ما يشتهون. ثم جاءهم ما يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون.

إنها الدنيا: تبكي ضاحكا، وتضحك باكيا. وتخيف آمنا، وتؤمن خائفا، وتفقر غنيا، وتغني فقيرا. تتقلب بأهلها، لا تبقي أحدا على حال. العيش فيها مذموم، والسرور فيها لا يدوم، تغير صفاءها الآفات، وتنوبها الفجيعات، وتفجع فيها الرزايا، وتسوق أهلها المنايا. قد تنكرت معالمها، وانهارت عوالمها. أيها الإخوة: لا يعرف حقيقة الدنيا بصفوها وأكدارها، وزيادتها ونقصانها إلا المحاسب نفسه. فمن صفى صفي له، ومن كدر كدر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله. ومن سره أن تدوم عافيته فليتق الله ربه، فالبر لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يموت، وكما تدين تدان. وإذا رأيت في عيشك تكديرا وفي شأنك اضطرابا، فتذكر نعمة ما شكرت، أو زلة قد ارتكبي فجودة الثمار من جود البذار، ومن زرع حصد، وليس للمرء إلا ما اكتسب، وهو في القيامة مع من أحب. يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: من عرف أنه عبد لله وراجع إليه فليعلم أنه موقوف. ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد لكل سؤال جوابا. قيل: يرحمك الله فما الحيلة؟ قال: الأمر يسير. تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى. فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

أيها الإخوة: وهذه وقفة محاسبة مع النفس، بل مع أعز شيء في النفس، مع ما بصلاحه صلاح العبد كله، وما بفساده فساد الحال كله. وقفة مع ما هو أولى بالمحاسبة وأحرى بالوقفات الصادقة يقول نبيكم محمد : ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))(١)[١]. ويقول عليه الصلاة والسلام: ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه))(٢)[٢]. ويقول الحسن رحمه الله: داو قلبك؛ فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم، ولن تحب الله حتى تحب طاعته.

أيها المسلمون: من عرف قلبه عرف ربه، وكم من جاهل بقلبه ونفسه، والله يحول بين المرء وقلبه. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يكن له قلب يعرف المعروف وينكر المنكر.
أيها الإخوة: لا بد في هذا من محاسبة تفض تغاليق الغفلة، وتوقظ مشاعر الإقبال على الله في القلب واللسان والجوارح جميعا.

من لم يظفر بذلك فحياته كلها والله هموم في هموم، وأفكار وغموم، وآلام وحسرات. بل إن الله لم يبعث نبيه محمدا إلا بالمهمتين العظيمتين: علم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس. هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلل مبين [الجمعة:٢].

بل لقد علق الله فلاح عبده على تزكية نفسه وقدم ذلك وقرره بأحد عشر قسما متوالية؛ اقرؤا إن شئتم وتأملوا: والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها [الشمس:١-١٠].

أيها الإخوة: إن في القلوب فاقة وحاجة لا يسدها إلا الإقبال على الله ومحبته والإنابة إليه، ولا يلم شعثها إلا حفظ الجوارح، واجتناب المحرمات، واتقاء الشبهات.

معرفة القلب من أعظم مطلوبات الدين، ومن أظهر المعالم في طريق الصالحين. معرفة تستوجب اليقظة لخلجات القلب وخفقاته، وحركاته ولفتاته، والحذر من كل هاجس، والاحتياط من المزالق والهواجس، والتعلق الدائم بالله؛ فهو مقلب القلوب والأبصار. جاء في الخبر عند مسلم رحمه الله من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ((سمعت رسول الله يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه حيث يشاء. ثم قال رسول الله : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا

على طاعتك))(٣)[٣].

ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم: يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم [الشعراء:٨٨-٨٩]. ومن دعاء رسول الله : ((وأسألك قلبا سليما))(٤)[٤].

والقلوب – أيها الإخوة – أربعة: قلب تقي نقي فيه سراج منير فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف مظلم؛ فذلك قلب الكافر: وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون [البقرة:٨٨]. وقلب مرتكس منكوس؛ فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي: فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا [النساء:٨٨]. وقلب تمده مادتان؛ مادة إيمان، ومادة نفاق فهو لما غلب عليه منهما. وقد قال الله في أقوام: هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان [آل عمران:١٦٧].

وفي القلب قوتان: قوة العلم في إدراك الحق ومعرفته والتمييز بينه وبين الباطل. وقوة الإرادة والمحبة في طلب الحق ومحبته وإيثاره على الباطل. فمن لم يعرف الحق فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره عليه فهو مغضوب عليه. ومن عرفه واتبعه فهو المنعم عليه السالك صراط ربه المستقيم. يقول ابن القيم رحمه الله: وهذا موضع لا يفهمه إلا الألباء من الناس والعقلاء، ولا يعمل بمقتضاه إلا أهل الهمم العالية والنفوس الأبية الزاكية. ورجل الدنيا وواحدها هو الذي يخاف موت قلبه لا موت بدنه، وأكثر الخلق يخافون موت أبدانهم، ولا يبالون بموت قلوبهم.

إذا كان الأمر كذلك أيها الأحبة. فاعلموا أن صاحب القلب الحي يغدو ويروح، ويمسي ويصبح وفي أعماقه حس ومحاسبة لدقات قلبه، وبصر عينه، وسماع أذنه، وحركة يده، وسير قدمه، إحساس بأن الليل يدبر، والصبح يتنفس، والكون في أفلاكه يسبح بقدرة العليم وتدبير الحكيم؛ كل يجرى لاجل مسمى [لقمان:٢٩]. قلب حي تتحقق به العبودية لله على وجهها وكمالها، أحب الله وأحب فيه. يترقى في درجات الإيمان والإحسان فيعبد الله على الحضور والمراقبة، يعبد الله كأنه يراه، فيمتلئ قلبه محبة ومعرفة، وعظمة ومهابة وأنسا وإجلالا. ولا يزال حبه يقوى، وقربه يدنو حتى يمتلئ قلبه إيمانا وخشية، ورجاء وطاعة، وخضوعا وذلة؛ ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه))(٥)[٥]. كلما اقترب من ربه اقترب الله منه: ((من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا))(٦)[٦]. فهو لا يزال رابحا من ربه أفضل مما قدم، يعيش حياة لا تشبه ما الناس فيه من أنواع الحياة: فاذكرونى أذكركم [البقرة:١٥٢]. ((من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه))(٧)[٧]. من بذل شيئا لله عوضه الله خيرا منه، وجازاه أفضل ما قدم.

أصحاب القلوب الحية صائمون قائمون، خاشعون قانتون، شاكرون على النعماء، صابرون في البأساء، لا تنبعث جوارحهم إلا بموافقة ما في قلوبهم، تجردوا من الأثرة والغش والهوى. اجتمع لهم حسن المعرفة مع صدق الأدب، وسخاء النفس مع مظانة العقل. هم البريئة أيديهم، الطاهرة صدورهم، متحابون بجلال الله، يغضبون لحرمات الله، أمناء إذا ائتمنوا، عادلون إذا حكموا، منجزون ما وعدوا، موفون إذا عاهدوا، جادون إذا عزموا، يهشون(٨)[٨] لمصالح الخلق، ويضيقون بآلامهم، في سلامة من الغل، وحسن ظن بالخلق، وحمل الناس على أحسن المحامل. كسروا حظوظ النفس، وقطعوا الأطماع في أهل الدنيا.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله أنه قال: ((يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير))(٩)[٩]، فهي سليمة نقية، خالية من الذنب، سالمة من العيب. يحرصون على النصح والإخلاص، والمتابعة والإحسان. همتهم في تصحيح العمل أكبر منها في كثرة العمل: ليبلوكم أيكم أحسن عملا [الملك:٢]. أوقفهم القرآن فوقفوا، واستبانت لهم السنة فالتزموا، يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون [المؤمنون:٦٠].

رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهمتهم عند الثريا بل أعلى. إن عرفوا تنكروا، تحبهم بقاع لأرض، وتفرح بهم ملائكة السماء.

هذه حياة القلوب وهذه بعض آثارها.

أما القلوب المريضة فلا تتأثر بمواعظ، ولا تستفزها النذر، ولا توقظها العبر. أين الحياة في قلوب عرفت الله ولم تؤد حقه؟؟ قرأت كتاب الله ولم تعمل به. زعمت حب رسول الله وتركت سنته. يريدون الجنة ولم يعملوا لها، ويخافون من النار ولم يتقوها.

رب امرئ من هؤلاء. أطلق بصره في حرام فحرم البصيرة، ورب مطلق لسانه في غيبة فحرم نور القلب، ورب طاعم من الحرام أظلم فؤاده، لماذا يحرم محرومون قيام الليل؟ ولماذا لا يجدون لذة المناجاة؟ إنهم باردو الأنفاس، غليظو القلوب، ظاهرو الجفوة؟؟.

القلب الميت: الهوى إمامه، والشهوة قائده، والغفلة مركبه، لا يستجيب لناصح، يتبع كل شيطان مريد. الدنيا تسخطه وترضيه، والهوى يصمه ويعميه. ماتت قلوبهم ثم قبرت في أجسادهم، فما أبدانهم إلا قبور قلوبهم. قلوب خربة لا تؤلمها جراحات المعاصي، ولا يوجعها جهل الحق. لا تزال تتشرب كل فتنة حتى تسود وتنتكس، ومن ثم لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا.

عباد الله. غفلة القلوب عقوبة، والمعصية بعد المعصية عقوبة، والغافل لا يحس بالعقوبات المتتالية ولكن

ما الحيلة؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: اأيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب [الأنفال:٢٤-٢٥].

الخطبة الثانية
الحمد لله المستحق للحمد والثناء، له الخلق والأمر، يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ بالله من حال أهل الشقاء. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله، أفضل الرسل وخاتم الأنبياء، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:
أيها الناس: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، وما شغل عن الله فهو شؤم.
التوفيق خير قائد، والإيمان هو النور، والعقل خير صاحب، وحسن الخلق خير قرين.
يقول الحسن رحمه الله: المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله. وإنما خف الحساب يوم القيامة على أقوام حاسبوا أنفسهم في الدنيا. وشق الحساب على أقوام يوم القيامة أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة.
فحاسبوا أنفسكم رحمكم الله وفتشوا في قلوبكم.
عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء. وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب هواه، وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض))(١٠)[١].
يقول بعض الصالحين: يا عجبا من الناس يبكون على من مات جسده، ولا يبكون على من مات قلبه.
شتان بين من طغى وآثر الحياة الدنيا، وبين من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.
تمرض القلوب وتموت إذا انحرفت عن الحق وقارفت الحرام؛ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم [الصف:٥].
تمرض القلوب وتموت إذا افتتنت بآلات اللهو وخديع الصور؛ نسوا الله فنسيهم [التوبة:٦٧].

كل الذنوب تميت القلوب، وتورث الذلة، وضيق الصدر ومحاربة الله ورسوله.
يقول الحسن رحمه الله: ابن آدم: هل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله فقد حاربه، وكلما كان الذنب أقبح كان في محاربة الله أشد. ولهذا سمى الله أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله لعظم ظلمهم وسعيهم بالفساد في أرض الله. قال وكذلك معاداة أوليائه فإنه تعالى يتولى نصرة أوليائه ويحبهم ويؤيدهم فمن عاداهم فقد عادى الله وحاربه.
ألا فاتقوا الله رحمكم الله، وتوبوا إلى ربكم وأصلحوا فساد قلوبكم.

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري: كتاب الإيمان – باب فضل من استبرأ لدينه، حديث (٥٢)، ومسلم: كتاب المساقاة – باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) حسن، أخرجه أحمد (١٩٨/٣)، والطبراني في الكبير (١٠٥٥٣)، وال بيهقي في شعب الإيمان (٨). قال الهيثمي: في إسناده علي بن مسعدة، وثقة جماعة، وضعفه آخرون، مجمع الزوائد (٥٣/١)، وحسن الألباني إسناده. صحيح الترغيب (٢٥٥٤، ٢٨٦٥).

(٣) صحيح، صحيح مسلم: كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث (٢٦٥٤).

(٤) ضعيف، أخرجه أحمد (١٢٣/٤)، والترمذي: كتاب الدعوات – باب حدثنا محمود بن غيلان... حديث (٣٤٠٧)، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه. وأخرجه أيضا النسائي: كتاب السهو – باب نوع آخر من الدعاء، حديث (١٣٠٤). قال العراقي: منقطع وضعيف. فيض القدير للمناوي (١٣١/٢). ورمز له السيوطي بالضعف. الجامع الصغير (١٥٠١). وانظر مشكاة المصابيح (٩٥٥) وضعيف سنن الترمذي (٦٧٥).

(٥) صحيح، قطعة من حديث قدسي أخرجه البخاري: كتاب الرقاق – باب التواضع، حديث (٦٥٠٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) صحيح، قطعة من حديث قدسي أخرجه البخاري: كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه ، حديث (٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، حديث (٢٦٧٥).

(٧) صحيح، قطعة من الحديث السابق.

(٨) يهشون: تنشرح صدورهم سرورا بها.

(٩) صحيح، صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب يدخل الجنة أقوام... حديث (٢٨٤٠).
(١٠) صحيح، أخرجه مسلم: كتاب الإيمان – باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا ... حديث (١٤٤).
." (١)

"أهمية الوقت

الرقاق والأخلاق والآداب
اغتنام الأوقات

عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
مكة المكرمة
جامع الفرقان
محامد و أدعيةطباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة
قيمة الوقت وأهميته وإقسام الله به في عدة آيات – صفة المغبونين وتضيبيعهم العمر – صفات أهل الآخرة وأولياء الله واغتنامهم العمر – كيفية استغلال الشباب والأولاد للإجازة فيما ينفع

الخطبة الأولى
أما بعد:
عباد الله: الوقت هو الحياة أقسم به الله في غير ما آية من كتابه فقال جل وعلا: والعصر وقال سبحانه: والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وقال جل شأنه: والضحى والليل إذا سجى وقال: والفجر وليال عشر وأهل العلم يقولون إن القسم بالشيء يدل على تعظيم المقسم به فوقتك هو حياتك ووقتك هو نهارك وليلك وإمساؤك وإصباحك وإظهارك: فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض

(١) موسوعة خطب المنبر، ص/٩١

وعشيا وحين تظهرون ووقتك هو عمرك وكل شمس تغرب عليك فهو يوم ينقص من عمرك فرصيدك من العمر ما بقي من أيام حياتك فما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها العاقل من تدارك عمره فيما يقربه إلى الله زلفى والمغبون من ضيع ساعات عمره فيما لا يعود عليه بالنفع في الآخرة والأولى سهر على المحرمات ونوم عن الصلوات المفروضات وغفلة عن رب الأرض والسماوات وتضييع للحقوق والواجبات وتفريط في تحصيل الأجور والحسنات هم أحدهم قتل الوقت وما درى المسكين أنه يقتل نفسه: فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون، أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ، أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ، من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون وفي الأثر: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني))(١)[١]، لقد شمر أقوام إلى الآخرة فتلمسوا قربات فغشوها ولابسوها وعرفوا المحارم والمنهيات فحذروا ولم يقارفوها واستمتعوا بما أحل الله من الطيبات فلم يجاوزوها قولهم طيب وعملهم طيب وطعامهم طيب وشرابهم طيب: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ، يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ، وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، نقاء في قلوبهم وصفاء في سرائرهم وبساطة في مظاهرهم أبعد ما يكونون عن التكلف: قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين هاديهم القرآن وقدوتهم سيد ولد عدنان وأولياؤهم أهل الصلاح والإيمان وأعداؤهم هم حزب الشيطان أحبوا في الله وأبغضوا في الله ووالوا في الله وعادوا في الله وأعطوا لله ومنعوا لله فنالوا بذلك ولاية الله فكان الله سمعهم فعصمهم عن سماع ما يسخطه وكان بصرهم فعصمهم عن رؤية ما يسخطه وأيديهم فعصمهم عن البطش بها فيما حرم وأرجلهم فعصمهم عن السعي بها إلى ما حرم قال الله سبحانه في الحديث القدسي: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن استعاذني لأعيذنه ولئن سألني لأعطينه))(٢)[٢]، فهنيئا لمن كان هذا شأنه يغدو في رضا الله ويروح في رضا الله يفرح لعز الإسلام ونصرة المسلمين ويأسى لأسى يصيب إخوانه المسلمين إن شبع حمد الله على نعمه وتذكر إخوانه الجوعى من المسلمين وإن أعجبه طعام أو شراب أو مسكن أو لباس ذكر نعيم الجنة وقوله سبحانه في الحديث القدسي عنها: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا

أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)) قال صلى الله عليه وسلم: ((واقرءوا إن شئتم: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون))(٣)[٣] فاجتهد أن يكون منهم وإن أصابه نفح سموم ذكر حر جهنم وقوله صلى الله عليه وسلم في وصفها: ((ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزء من نار جهنم)) قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافيه قال: ((فإنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزء كلهن مثل حرها))(٤)[٤]، فاجتهد ألا يصيبه حرها بالعمل الصالح والفرار من الوقوع في المحرمات فكل موقف وكل حدث يذكره بوعد الله وموعوده وجزائه ووعيده فهو من الدنيا في خير ومن العمر في كسب ومن الوقت في تحصيل للأجور والحسنات فصدق فيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من طال عمره وحسن عمله))(٥)[٥].

اللهم اجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد: فيا عباد الله تلكم هي صفة الفريقين صفة من سعى في قتل الوقت فقتل نفسه حيث قتل وقته لأن وقته هو حياته وصفة من سعى في استغلال أيام عمره وأوقاته فيما يقربه إلى الله زلفى والعاقل الحصيف من اختار خير الطريقين فإن الله جل وعلا خلقنا ولم يتركنا هملا بل أرسل إلينا رسلا يدلوننا على طريق الجنة فالعاقل من سلك سبيل المرسلين وتلمس سننهم وتتبع آثارهم وعمل بأوامرهم وحذر ما عنه نهوا صلى الله عليهم جميعا وسلم لذلك يا عباد الله ينبغي أن نحرص الحرص كله على استغلال هذه الإجازة خير استغلال فيما يقربنا إلى الله زلفى في تلاوة كتاب الله وتدبر معانيه والعمل بما أمر الله به في كتابه سبحانه في تربية أبنائنا التربية الصالحة في تنشئة نسائنا وأولادنا وكل من له حق علينا تنشئة صالحة ترضي عنا ربنا جل وعلا نستغل هذا الوقت ونستغل هذا الفراغ ونستغل هذه الإجازة في كل ما يقربنا إلى الله زلفى إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة فليحرص المرء على تحويل هذا الشباب وتحويل هذا الفراغ الذي وجد عند كثير من الشباب اليوم يحرص على تحويله ليكون مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم يعلمهم ما يرضي ربهم عنهم ويرفههم الترفيه الذي لا يصل بهم إلى سخط الله عز وجل عنهم يعلمهم أن الله عز وجل ما حرم

شيئا إلا وجعل في الحلال ما يغني عنه فكل شيء حرمه الله جل وعلا فالخير كل الخير في الـمنع منه وفي تحريمه وكل شيء أمر الله عز وجل به فالخير كل الخير في العمل به والتمسك به أقول هذا القول وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.
اللهم أعنا على تربية أنفسنا اللهم أعنا على تربية أنفسنا وذوينا وكل من له حق علينا.
اللهم أعنا على تربية كل من وليتنا رعايته يا رب العالمين.
اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.
اللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا.
اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن عين لا تدمع ومن دعوة لا تسمع اللهم إنا نعوذ بك من هؤلاء الأربع.
اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين وانصر عبادك المجاهدين في سبيلك يا رب العالمين.
اللهم أقم علم الجهاد واقمع أهل الشر والشرك والفساد وانشر رحمتك على العباد يا رب العالمين.
اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين كافة ووفقهم لـلعمل بكتابك واتباع سنة نبيك صلى الله عليه وسلم.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل الطاعة ويذل فيه أهل المعصية ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر يا سميع الدعاء.
اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مسند أحمد (١٢٤/٤)، سنن الترمذي (٢٤٥٩)، سنن ابن ماجة (٤٢٦٠).
(٢) صحيح البخاري (٦٥٠٢).
(٣) صحيح البخاري (٣٢٤٤)، صحيح مسلم (٢٨٢٤).
(٤) صحيح البخاري (٣٢٦٥)، صحيح مسلم (٢٨٤٣).
(٥) مسند أحمد (١٨٨/٤)، سنن الترمذي (٢٣٢٩).
." (١)

---

(١) موسوعة خطب المنبر، ص/٩٣٦

"خطبة استسقاء ١٤٢٢/١٠/١٢هـ

الرقاق والأخلاق والآداب

آثار الذنوب والمعاصي، الكبائر والمعاصي

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة

١٤٢٢/١٠/١٢

المسجد الحرام

محامد و أدعيةطباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

١- حقارة الدنيا وتقلباتها. ٢- الذنوب سبب المصائب والبلايا. ٣- آثار المعاصي. ٤- حال المجتمعات المسلمة. ٥- التوبة والاستغفار. ٦- دعاء.

الخطبة الأولى

أما بعد: فأوصيكم ـ عباد الله ـ ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله رحمكم الله، فتقوى الله طريق النجاة والسلامة، وسبيل الفوز والكرامة، بالتقوى تزداد النعم وتتنزل البركات، وبها تصرف النقم، وتستدفع الآفات.

عباد الله:

تأملوا في هذه الحياة، مدبر مقبلها، ومائل معتدلها، كثيرة عللها، إن أضحكت بزخرفها قليلا، فـلقد أبكت أكدارها طويلا، تفكروا في حال من جمعها ثم منعها، انتقلت إلى غيره، وحمل إثمها ومغرمها، فيا لحسرة من فرط في جنب الله، ويا لندامة من اجترأ على محارم الله.

أقوام غافلون جاءتهم المواعظ فاستثقلوها، وتوالت عليهم النصائح، فرفضوها، توالت عليهم نعم الله فما شكروها، ثم جاءهم ريب المنون فأصبحوا بأعمالهم مرتهنين، وعلى ما قدمت أيديهم نادمين أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

عباد الله، يا أمة محمد:
ما حل بتاريخ الأمم من شديد العقوبات، ولا أخذوا من غير بفظيع المثلات إلا بسبب التقصير في التوحيد والتقوى، وإيثار الشهوات، وغلبة الأهواء، ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولاكِن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون [الأعراف: ٩٦].
إن كل نقص يصيب الناس في علومهم وأعمالهم، وقلوبهم وأبدانهم وتدبيرهم وأحوالهم وأشيائهم وممتلكاتهم، سببه والله الذنوب والمعاصي وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير [الشورى: ٣٠].ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون [الروم: ٤١].
إن ما تبتلى به الديار من قلة الغيث وغور الآبار، وما يصيب المواشي والزورع من نقص وأضرار، ليس ذلك ـ لعمرو الله ـ من نقص في جود الباري جل شأنه، وعظم فضله، كلا ثم كلا، ولكن سبب ذلك كله إضاعة أمر الله، والتقصير في جنب الله.
المعاصي تفسد الديار العامرة، وتسلب النعم الباطنة والظاهرة، كيف يطمع العبد في الحصول من ربه على ما يحب، وهو مقصر فيما يجب؟!، ذنوب ومعاصي، إلى الله منها المشتكى، وإليه وحده المفر، وبه سبحانه المعتصم اضطراب عقدي، وتحلل فكري، وتدهور أخلاقي، جلبته قنوات فضائية ووسائل إعلامية وشبكات معلوماتية، ربا وزنا، وضعف في العفة والحشمة، فتن ومحن، بألوانها وأوصافها، ألوان من الجرائم والفسوق، والشذوذ والانحراف، بل وإلحاد وكفريات من خلال كثير من القنوات، ثم تظالم بين العباد، وأكل للحقوق، وغصب لأموال الناس بالباطل، كيف يرجى حصول الغيث وفي الناس مقيمون على الغش، ومصرون على الخيانات، ورسول الله قد برئ من الغش والكذب؟!، المكاسب الخبيثة تستدرج صاحبها حتى تمحقه محقا، وتنزع البركة منه نزعا. نعم، لولا الذنوب وآثارها، والمظالم وشؤمها لصبت السماء أمطارها، ولبادرت غيثها ومدرارها.
عباد الله، إن من البلاء أن لا يحس المذنب بالعقوبة، وأشد منه أن يقع السرور بما هو بلاء وعقوبة، فيفرح بالمال الحرام، ويبتهج بالتمكن من الذنب، ويصر بالاستكثار من المعاصي.
ألا ترون المجاهرة بالمعاصي وإعلانها، كيف ترجى السلامة والعافية مع المجاهرة، وقد قال نبيكم محمد : ((كل أمتي معافى إلا المجاهرون))(١)[١].
وإن من المجاهرة أن يعمل العبد بالليل عملا ثم يصبح قد ستره ربه فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا

وكذا، وقد بات يستره ربه فيصبح يكشف ستر الله عليه.
ومن المجاهرة أن يذكر الماجن مجونه، وينشر الفاسق فسقه، في خمور ومعازف وآلات من اللهو المحرم.
يا أصحاب الإعلام والأقلام اتقوا الله فيما تكتبون وتنشرون، إذا اشتدت ملابسة الذنوب للقلوب فقدت الغيرة على الأهل والمحارم، فلا تستقبح قبيحا، ولا تنكر منكرا.
أيها المسلمون، لقد فشا في كثير من المجتمعات الربا والزنا، وشربت الخمور والمسكرات، وأدمنت المخدرات كثر أكل الحرام، وتنوعت به الحيل، شهادات باطلة، وأيمان فاجرة، وخصومات ظالمة، ارتفعت أصوات المعازف والمزامير، وفشت رذائل الأخلاق والعادات في البنين والبنات، فإلى متى الغفلة، عن سنن الله؟! ونعوذ بالله من الأمن من مكر الله ذالك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم [الأنفال: ٥٣].
أيها الإخوة في الله، إن ربكم يخوفكم بالآيات والنذر، والشدة والنكال، زلازل وبراكين، ورياح وأعاصير، وحروب وفيضانات، يصيب بها من يشاء، ويصرفها عمن يشاء، وهو شديد المحال.
تفكروا ـ رحمكم الله ـ في حكم المولى وحكمته في تصريف الأمور وتدبير الأحوال، ما أصاب العباد فبما كسبت أيديهم، ولكنه بفضله يعفو عن كثير ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة [فاطر: ٤٥].
ومن أجل هذا فارجعوا إلى ربكم وتوبوا إليه، واستغفروه، وأحسنوا الظن به، اجعلوا الرجاء في مولاكم نصب أعينكم، ومحط قلوبكم، فربكم نعم المولى، ونعم المرتجى، يغفر الذنوب، ويكشف الكروب، ولا يملأن قلوبكم اليأس من روح الله وفضله وإفضاله، فتظنون به ما لا يليق بجلاله وكماله، أليس هو الذي رزق الأجنة في بطون أمهاتهم، رباها صغارا، وغمرها بفضله كبارا.
تراكمت الكروب فكشفها، وحلت الجدوب فرفعها، أطعم وأسقى، وكفى وآوى، وأغنى وأقنى، نعمه لا تحصى، وإحسانه لا يستقصى، كم قصدته النفوس بحوائجها فقضاها، وانطرحت بين يديه ففرج كربها وأعطاها، سبحانه وبحمده، لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه، لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، هو ربنا ومولانا، وهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.
فراجعوا أنفسكم ـ رحمكم الله ـ بالاعتراف بتقصيركم وعيوبكم، وتوبوا إلى ربكم من جميع ذنوبكم، وجهوا قلوبكم إلى من بيده خزائن الرحمة والأرزاق، وأملوا الفرج من الرحيم الخلاق، فأفضل العبادة انتظار الفرج، واحذروا اليأس والقنوط، واجتنبوا السخط والعجز، توبوا إلى ربكم من ذنوب تمنع نزول الغيث وأقلعوا من

مظالم تحجب أبواب البركات.
تعطفوا على فقرائكم بالرحمة والإحسان، أدوا الحقوق إلى أصحابها، وردوا المظالم إلى أهلها، قوموا بمسؤولياتكم على وجهها، أحسنوا إلى الخدم والعاملين، واليتامى والمستضعفين، أدوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تأكلوا أجرهم ومرتباتهم، مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وأصلحوا ذات بينكم، وأحسنوا تربية بناتكم وأبنائكم، وبروا والديكم، وصلوا أرحامكم، أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، وتصدقوا من فضول أموالكم واتقوا النار ولو بشق تمرة.
ها أنتم قد حضرتم بين يدي ربكم تبسطون إليه حاجتكم، وتشكون جدب دياركم، وذلكم بلاء من ربكم، فلعلكم إليه ترجعون، ومن ذنوبكم تستغفرون، فأقبلوا عليه وتقربوا بصالح العمل لديه، ابتهلوا وتضرعوا و ادعوا واستغفروا، فقد ربط سبحانه في كتابه بين الاستغفار وحصول الغيث المدرار، اقرؤوا وصية نبي الله نوح عليه السلام لقومه: فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا [نوح: ١٠ ـ ١٢] ووصية هود عليه السلام لقومه: وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين [هود: ٥٢].
ولازموا الثناء على ربكم، لازموا الثناء على ربكم، وأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم الهادي البشير، سيدنا وإمامنا وقدوتنا، فالدعاء موقوف بين السماء والأرض حتى يصلى على النبي كما جاء في الأثر(٢)[٢].
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.
اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه.
ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.
اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين.
اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم اسقنا غيثا مغيثا، هنيئا مرئيا، صببا سحا مجللا، عاما نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل، اللهم اسق البلاد، وتغيث به العباد، وتجعله بلاغا للحاضر والباد، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا بلاء ولا غرق، اللهم اسق عبادك وبلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي

بلدك الميت، اللهم أنبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، وأنزل علينا من بركاتك واجعل ما أنزلته قوة لنا على طاعتك وبلاغا إلى حين.
اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك، اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك، اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك.
سبحان الله، على الله توكلنا، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، اللهم ارفع عنا من الجوع والجهد والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه إلا أنت، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا، فأرسل السماء علينا مدرارا، اللهم اسقنا الغيث، وآمنا من الخوف، ولا تجعلنا آيسين، ولا تهلكنا بالسنين، اللهم ارحم الأطفال الرضع، والشيوخ الركع، والبهائم الرتع، وارحم الخلائق أجمعين، اللهم ياذا الجلال والإكرام، يا بديع السماوات والأرض يا حي يا قيوم، لا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى حولنا ولا إلى قوتنا فإننا فقراء إليك، محتاجون إليك، اللهم فارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، وأغث قلوبنا وديارنا، اللهم أغدق علينا من كرمك العميم، وأسبغ علينا من فضلك العظيم، اللهم إنا نسألك البركة في أعمالنا وأعمارنا وأولادنا وبلادنا وأموالنا وأوقاتنا، وحروثنا وزروعنا وتجاراتنا وصناعتنا.
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين [البقرة: ٢٨٦].
اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد وعبادك الصالحين، اللهم ادفع عنا الغلا والوبا والربا والزنا، والزلازل والمحن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا وعن سائر بلاد المسلمين يا رب العالمين.
اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وأيد بالحق والتوفيق والتأييد والتسديد إمامنا وولي أمرنا وارزقه البطانة الصالحة، واجمع به كلمة المسلمين على الحق يا رب العالمين.
اللهم رد عنا كيد الكائدين، وعداء المعتدين، واقطع دابر الفساد والمفسدين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
عباد الله، اقلبوا أرديتكم تأسيا بنبيكم محمد (٣)[٣] واجتهدوا في الدعاء، وألحوا في المسألة، وأخلصوا وأحسنوا، وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، عسى ربكم أن يرحمكم فيغيث القلوب بالرجوع إليه، والبلد بإنزال الغيث عليه.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الخ‍طبة الثانية

لم ترد.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)،ومسلم في الزهد (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج الترمذي في الصلاة (٤٨٦) عن عمر بن الخطاب قال: (إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى يصلى على نبيك) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٤٠٣)، وانظر السلسلة الصحيحة (٢٠٣٥).

(٣) سنة قلب الرداء أخرجها البخاري في الجمعة (١٠١١)، ومسلم في الاستسقاء (٨٩٤) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله.

." (١)

"نعمة الأمن

الأسرة والمجتمع

قضايا الأسرة

علي بن عبد الرحمن الحذيفي

المدينة المنورة

١٤٢٤/٢/٢٣

المسجد النبوي

محامد و أدعيةطباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

١- فضل تذكر النعم وشكرها. ٢- أعظم النعم الإيمان. ٣- فضل الأمن. ٤- مفاسد الخوف. ٥-لا أمن

---

(١) موسوعة خطب المنبر، ص/٢٠٧٤

إلا بالإسلام. ٦- وجوب شكر النعم. ٧- لا تنفع النعم بلا إيمان.

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله ـ عباد الله ـ بامتثال ما أمر والبعد عما نهى عنه وزجر، فتقوى الله خير زاد ليوم المعاد، وحصن للعباد في الدنيا من كل ما يخافون، ورجاء لهم في كل ما يحبون.

أيها المسلمون، إن مما يصلح القلوب ويزكي الأعمال ويوجب الحياء من رب العزة والجلال ويثمر التوبة والإنابة إلى الله تذكر نعم الله العباد والخلق عامة، ونعم الله على الفرد خاصة. وقد أمر الله بتذكر النعم في كل وقت ليشكرها الخلق ويوفوا بحقوقها لتدوم عليهم ويزدادوا من خزائن جود ربهم، قال الله تعالى: يأأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله إلا هو فأنى تؤفكون [فاطر:٣]، وقال تعالى: يأأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون [المائدة:١١]، وقال تعالى: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور [المائدة:٧]، وقال عز وجل: إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسراءيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هاذا إلا سحر مبين [المائدة:١١٠]. وقد وعد الله تعالى بالزيادة للشاكرين فقال تعالى: وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد [إبراهيم:٧].

وأعظم النعم وأجلها الإيمان بالله عز وجل الذي يكرم الله به الإنسان في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون [السجدة:١٨-٢٠].

الإيمان الذي يثبت في العبد كل خلق كريم، الإيمان الذي يثبت في العبد الرحمة والعطف والعدل والصدق والإيثار والحلم والصبر والشكر والتواضع لله والاعتزاز بالدين والشجاعة الكرم والوفاء بالوعد والعهود والمواثيق والبر والصلاح وحب الخير والأمر به وبغض الشر والنهي عنه، وغير ذلك من كل ما أمر الله به أو أمر به

رسوله .

الإيمان الذي يطهر العبد ويمنعه من الشرك والقتل والظلم والعدوان والبغي والقسوة والغفلة والمكر والخداع والكذب وأكل الحرام والربا والزنا والمسكرات والمخدرات والموبقات والغل والحسد والكبر والفسوق، وغير ذلك مما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله .

قال الله تعالى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون [الجاثية:٢١-٢٣].

ومن أعظم نعم الله بعد الإيمان بالله عز وجل الأمن والطمأنينة، الأمن على الدين فلا يخاف المسلم الفتنة على دينه، يعبد الله لا يشرك به شيئا، لا يصد عن ذلك، والأمن على عرضه فلا يخاف اعتداء عليه ولا على دمه، الأمن على ماله فلا يخاف ضياعه، الأمن في حله وترحاله. ذلك الأمن لله علينا فيه شكره وعبادته سبحانه ومجانبة معاصيه، قال الله تعالى: فليعبدوا رب هاذا البيت الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف [قريش:٣، ٤]، وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن"(١)[١].

الأمن تصلح به الحياة وتزدهر، الأمن ينبسط معه الآمال وتتيسر معه الأرزاق وتزيد معه التجارات، الأمن تفشو معه الماشية وتكثر الأمة، الأمن تتقدم معه التنمية، الأمن ينتشر فيه العلم والتعليم، الأمن يعز فيه الدين والعدل ويظهر فيه الأخيار على الأشرار، الأمن يستتب به الاستقرار، الأمن توظف فيه الأموال في كل مشروع نافع للفرد والمجتمع، الأمن تحقن فيه الدماء وتصان الأموال والأعراض، الأمن تنام فيه العيون وتطمئن المضاجع، الأمن يتنعم به الكبير والصغير والإنسان والحيوان، الأمن من نعم الله العظمى وآلائه الكبرى، لا تصلح الحياة إلا به، ولا يطيب العيش إلا باستتبابه، ولذلك جعله الله من نعيم أهل الجنة الدائم، قال الله تعالى: ادخلوها بسلام ءامنين [الحجر:٤٦].

وضد الأمن الخوف الذي تضيع به الدماء والأموال، ويضعف الدين، وتتقطع في الخوف السبل والتجارات، وتتعطل المصالح، وتتعطل التنمية، ويسطو الأشرار، وتنتشر الفوضى، ويختفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتراجع الأموال، وتقسو الحياة، الخوف الذي يشل الحياة كلها ويدمرها.

عباد الله، إن الأمن لا يكون إلا في ظل الإسلام والإيمان، قال الله تعالى: الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون [الأنعام:٨٢].

والمؤمن بتعاليم دينه يحافظ على الأمن ورعاية المصالح العامة، قال : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن))(٢)[٢].

ولا يقوض أركان الأمن إلا الكفار والفجرة الأشرار، ولا تعم الفوضى ولا ينتشر السلب والنهب والقتل ولا تتكاثر المآسي ولا تنزل الكوارث والطامات بالبلدان إلا في ظل صورة الباطل وغياب العدل والعقل، والتاريخ شاهد بذلك، قال الله تعالى: والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور [النور:٣٩، ٤٠]، وقال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون [النحل:٨٨].

معشر المسلمين، حافظوا على تعاليم دينكم، فهي ملاذكم من كل بلاء، وأمنكم من كل خوف، وعزكم من كل ذل، وقوتكم أمام كل قوة، وعصمتكم من الضلال، وعدتكم لكل شدة، واشكروا نعم ربكم عليكم التي أسبغها ظاهرة وباطنة بالدوام على طاعاته والبعد عن محرماته، قال الله تعالى: فاذكرونى أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة:١٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي المجد والكرم، الذي خلق الإنسان وعلمه القلم، أحمده سبحانه على عظيم نعمائه، وأشكره على عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله الأعز الأكرم، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فاتقوا الله حق التقوى، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيها المسلمون، اشكروا نعم الله عليكم الظاهرة والباطنة التي أسبغها، فقد أنعم عليكم لتعبدوه، وأعطاكم

لتسلموا له الوجوه، ومن عليكم لتطلبوا مرضاته وتبتعدوا عن محرماته، قال الله تعالى: كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون [النحل:٨١].

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا تحتقروا أي نعمة من نعم ربكم، فليس في نعم الله حقير، وليس في آلائه صغير، فالنعم تحتاج إلى شكر، وتحتاج إلى صبر.

واعلموا أن عليكم من الله حافظا، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ونياتكم ومقاصدكم وإراداتكم، يحصي الله ذلك في كتاب، ويوم القيامة يقول الله لكل إنسان: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [الإسراء:١٤]، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: ((يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))(٣)[١].

واعلموا أنه لا ينفع أحدا دخل النار نعم تمتع بها في الدنيا، ولا يضر أحدا بؤس وشدة جرت عليه في الدنيا، قال الله تعالى: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]، وفي الحديث عن النبي : ((يؤتى بأنعم أهل الدنيا في النار، فيغمس في النار ويقال له: يا ابن آدم، هل مر عليك نعيم قط؟ فيقول: لا والله، ما مر علي نعيم قط. ويؤتى بأشد الناس بؤسا من أهل الجنة، فيغمس في الجنة ويقال له: هل مر بك بؤس قط في الدنيا؟ فيقول: والله، ما مر بي بؤس قط))(٤)[٢].

فاحذروا النار وخافوها واتركوا سبلها، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم والضريع، وشرابهم المهل والصديد، ولباسهم القطران والحديد، وعذابهم أبدا في مزيد، واطلبوا جنة عرضها السماوات والأرض، لا يفنى نعيمها ولا يبيد، يجدد الله النعيم المقيم لأهلها، قال الله تعالى: لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد [ق:٣٥].

عباد الله، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [الأحزاب:٥٦]، وقد قال : ((من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا)).

فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا.

اللهم وارض عن الصحابة أجمعين...

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب: التوكل على الله (٢٣٤٦)، وأخرجه أيضا البخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، وابن ماجه في الزهد، باب: القناعة (٤١٤١)، والحميدي في مسنده (٤٣٩)، وله شواهد من حديث أبي الدرداء وابن عمر وعلي رضي الله عنهم، ولذا حسنه الألباني السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).
(٢) أخرجه البخاري في المظالم (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم في البر (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل.
(٤) أخرجه مسلم في صفة القيامة (٢٨٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه.
." (١)

"نعمة الأمن

الأسرة والمجتمع

قضايا المجتمع

علي بن عبد الرحمن الحذيفي

المدينة المنورة

١٤٢٤/٢/٢٣

المسجد النبوي

محامد و أدعيةطباعة الخطبة بدون محامد وأدعية

ملخص الخطبة

١- فضل تذكر النعم وشكرها. ٢- أعظم النعم الإيمان. ٣- فضل الأمن. ٤- مفاسد الخوف. ٥-لا أمن إلا بالإسلام. ٦- وجوب شكر النعم. ٧- لا تنفع النعم بلا إيمان.

---

(١) موسوعة خطب المنبر، ص/٢٧٦٤

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله ـ عباد الله ـ بامتثال ما أمر والبعد عما نهى عنه وزجر، فتقوى الله خير زاد ليوم المعاد، وحصن للعباد في الدنيا من كل ما يخافون، ورجاء لهم في كل ما يحبون.

أيها المسلمون، إن مما يصلح القلوب ويزكي الأعمال ويوجب الحياء من رب العزة والجلال ويثمر التوبة والإنابة إلى الله تذكر نعم الله العباد والخلق عامة، ونعم الله على الفرد خاصة. وقد أمر الله بتذكر النعم في كل وقت ليشكرها الخلق ويوفوا بحقوقها لتدوم عليهم ويزدادوا من خزائن جود ربهم، قال الله تعالى: ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله إلا هو فأنى تؤفكون [فاطر:٣]، وقال تعالى: ياأيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون [المائدة:١١]، وقال تعالى: واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور [المائدة:٧]، وقال عز وجل: إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى وإذ كففت بنى إسراءيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هاذا إلا سحر مبين [المائدة:١١٠]. وقد وعد الله تعالى بالزيادة للشاكرين فقال تعالى: وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد [إبراهيم:٧].

وأعظم النعم وأجلها الإيمان بالله عز وجل الذي يكرم الله به الإنسان في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون [السجدة:١٨-٢٠].

الإيمان الذي يثبت في العبد كل خلق كريم، الإيمان الذي يثبت في العبد الرحمة والعطف والعدل والصدق والإيثار والحلم والصبر والشكر والتواضع لله والاعتزاز بالدين والشجاعة الكرم والوفاء بالوعد والعهود والمواثيق والبر والصلاح وحب الخير والأمر به وبغض الشر والنهي عنه، وغير ذلك من كل ما أمر الله به أو أمر به رسوله .

الإيمان الذي يطهر العبد ويمنعه من الشرك والقتل والظلم والعدوان والبغي والقسوة والغفلة والمكر والخداع والكذب وأكل الحرام والربا والزنا والمسكرات والمخدرات والموبقات والغل والحسد والكبر والفسوق، وغير ذلك مما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله .

قال الله تعالى: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين ءامنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون [الجاثية:٢١-٢٣].

ومن أعظم نعم الله بعد الإيمان بالله عز وجل الأمن والطمأنينة، الأمن على الدين فلا يخاف المسلم الفتنة على دينه، يعبد الله لا يشرك به شيئا، لا يصد عن ذلك، والأمن على عرضه فلا يخاف اعتداء عليه ولا على دمه، الأمن على ماله فلا يخاف ضياعه، الأمن في حله وترحاله. ذلك الأمن لله علينا فيه شكره وعبادته سبحانه ومجانبة معاصيه، قال الله تعالى: فليعبدوا رب هاذا البيت الذى أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف [قريش:٣، ٤]، وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)) رواه الترمذي وقال: "حديث حسن"(١)[١].

الأمن تصلح به الحياة وتزدهر، الأمن ينبسط معه الآمال وتتيسر معه الأرزاق وتزيد معه التجارات، الأمن تفشو معه الماشية وتكثر الأمة، الأمن تتقدم معه التنمية، الأمن ينتشر فيه العلم والتعليم، الأمن يعز فيه الدين والعدل ويظهر فيه الأخيار على الأشرار، الأمن يستتب به الاستقرار، الأمن توظف فيه الأموال في كل مشروع نافع للفرد والمجتمع، الأمن تحقن فيه الدماء وتصان الأموال والأعراض، الأمن تنام فيه العيون وتطمئن المضاجع، الأمن يتنعم به الكبير والصغير والإنسان والحيوان، الأمن من نعم الله العظمى وآلائه الكبرى، لا تصلح الحياة إلا به، ولا يطيب العيش إلا باستتبابه، ولذلك جعله الله من نعيم أهل الجنة الدائم، قال الله تعالى: ادخلوها بسلام ءامنين [الحجر:٤٦].

وضد الأمن الخوف الذي تضيع به الدماء والأموال، ويضعف الدين، وتتقطع في الخوف السبل والتجارات، وتتعطل المصالح، وتتعطل التنمية، ويسطو الأشرار، وتنتشر الفوضى، ويختفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتراجع الأموال، وتقسو الحياة، الخوف الذي يشل الحياة كلها ويدمرها.

عباد الله، إن الأمن لا يكون إلا في ظل الإسلام والإيمان، قال الله تعالى: الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم

بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون [الأنعام:٨٢].
والمؤمن بتعاليم دينه يحافظ على الأمن ورعاية المصالح العامة، قال : ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن))(٢)[٢].
ولا يقوض أركان الأمن إلا الكفار والفجرة الأشرار، ولا تعم الفوضى ولا ينتشر السلب والنهب والقتل ولا تتكاثر المآسي ولا تنزل الكوارث والطامات بالبلدان إلا في ظل صولة الباطل وغياب العدل والعقل، والتاريخ شاهد بذلك، قال الله تعالى: والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور [النور:٣٩، ٤٠]، وقال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون [النحل:٨٨].
معشر المسلمين، حافظوا على تعاليم دينكم، فهي ملاذكم من كل بلاء، وأمنكم من كل خوف، وعزكم من كل ذل، وقوتكم أمام كل قوة، وعصمتكم من الضلال، وعدتكم لكل شدة، واشكروا نعم ربكم عليكم التي أسبغها ظاهرة وباطنة بالدوام على طاعاته والبعد عن محرماته، قال الله تعالى: فاذكرونى أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة:١٥٢].
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

____

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي المجد والكرم، الذي خلق الإنسان وعلمه القلم، أحمده سبحانه على عظيم نعمائه، وأشكره على عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله الأعز الأكرم، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد: فاتقوا الله حق التقوى، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.
أيها المسلمون، اشكروا نعم الله عليكم الظاهرة والباطنة التي أسبغها، فقد أنعم عليكم لتعبدوه، وأعطاكم لتسلموا له الوجوه، ومن عليكم لتطلبوا مرضاته وتبتعدوا عن محرماته، قال الله تعالى: كذلك يتم نعمته عليكم

لعلكم تسلمون [النحل:٨١].
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا تحتقروا أي نعمة من نعم ربكم، فليس في نعم الله حقير، وليس في آلائه صغير، فالنعم تحتاج إلى شكر، وتحتاج إلى صبر.
واعلموا أن عليكم من الله حافظا، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ونياتكم ومقاصدكم وإراداتكم، يحصي الله ذلك في كتاب، ويوم القيامة يقول الله لكل إنسان: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا [الإسراء:١٤]، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: ((يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))(٣)[١].
واعلموا أنه لا ينفع أحدا دخل النار نعم تمتع بها في الدنيا، ولا يضر أحدا بؤس وشدة جرت عليه في الدنيا، قال الله تعالى: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧]، وفي الحديث عن النبي : ((يؤتى بأنعم أهل الدنيا في النار، فيغمس في النار ويقال له: يا ابن آدم، هل مر عليك نعيم قط؟ فيقول: لا والله، ما مر علي نعيم قط. ويؤتى بأشد الناس بؤسا من أهل الجنة، فيغمس في الجنة ويقال له: هل مر بك بؤس قط في الدنيا؟ فيقول: والله، ما مر بي بؤس قط))(٤)[٢].
فاحذروا النار وخافوها واتركوا سبلها، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم والضريع، وشرابهم المهل والصديد، ولباسهم القطران والحديد، وعذابهم أبدا في مزيد، واطلبوا جنة عرضها السماوات والأرض، لا يفنى نعيمها ولا يبيد، يجدد الله النعيم المقيم لأهلها، قال الله تعالى: لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد [ق:٣٥].
عباد الله، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [الأحزاب:٥٦]، وقد قال : ((من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا)).
فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا.
اللهم وارض عن الصحابة أجمعين...

(١) سنن الترمذي: كتاب الزهد، باب: التوكل على الله (٢٣٤٦)، وأخرجه أيضا البخاري في الأدب المفرد (٣٠٠)، وابن ماجه في الزهد، باب: القناعة (٤١٤١)، والحميدي في مسنده (٤٣٩)، وله شواهد من حديث أبي الدرداء وابن عمر وعلي رضي الله عنهم، ولذا حسنه الألباني السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).
(٢) أخرجه البخاري في المظالم (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم في البر (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه في حديث طويل.
(٤) أخرجه مسلم في صفة القيامة (٢٨٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه.
." (١)

"وإجمالا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبير، فإنه إن تأملت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواء كانت مبسوطة أو وجيزة وسواء تكررت أم لا، وكلما تكرر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرد، ولا يمل منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جاء منه ما تقشعر منه الجبال الصم الراسيات، فما ظنك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والاذان، ويشوق إلى دار السلام ومجاورة عرش الرحمن كما قال في الترغيب ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ وقال: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾ وقال في الترهيب: ﴿أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير﴾ وقال في الزجر: ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ وقال في الوعظ: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة، وإن جاءت الايات في الأحكام والأوامر والنواهي، اشتملت على الأمر بكل معروف حسن نافع طيب محبوب، والنهي عن كل قبيح رذيل دنيء، كما قال ابن مسعود وغيره من السلف، إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فأرعها سمعك فإنها خير يأمر به أو شر ينهى عنه، ولهذا قال تعالى: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ الاية، وان جاءت الايات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشرت

(١) موسوعة خطب المنبر، ص/٢٧٦٦

به وحذرت وأنذرت، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهدت في الدنيا ورغبت في الاخرة، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان." (١)

"ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها وأنفت منا وجنبتها أفكان النصراني عندك أصدق من الله جل وعلا؟

فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار؟ فإن كان كذلك فما أجهلك، فصدقت ثم ما انتهت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت.

ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد قال الله جل وعلا: ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [الجمعة: ٨].

وقلت لها هبي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه.

وأن كل ما هو آت قريب وقد قال الله جل جلاله: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ [الشعراء: ٢٠٧].

وقال مخبرا عن نفسه عندما وعظها ولم تجتهد في التزود للآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ولم تجتهد في رضا الله كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضا الخلق.

ولم تستحي من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء، وفي الشتاء لأجل الصيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يخطفها والشتاء لا يدركها.

فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين له آلة الصيف." (٢)

"وعبر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾ [التوبة: ٣٨].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة ويكفي في الزهد في

---

(١) نداءات القرآن لبني الإنسان، ص/١٢

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، ١/٢٦٢

الدنيا قوله تعالى: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ [الشعراء: ٢٠٧].

وقوله: ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ [يونس: ٤٥]. وقوله: ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ [النازعات: ٤٦].

وقوله: ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ [الروم: ٥٥]. وقوله: ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ﴾ [المؤمنون: ١١٤].

وقوله: ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ﴾ [طه: ١٠٤]. والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم.

خلقنا لأحداث الليالي فرائسا ...." (١)

" أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم [قال : رؤي النبي صلى الله عليه و سلم كأنه متحير فسألوه عن ذلك فقال : ولم ؟ ورأيت عدوي يكون من أمتي بعدي فنزلت ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ فطابت نفسه]

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وأخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ إلى آخر السورة وأخرج ابن جرير و الحاكم عن أبي حسن البرد قال : لما نزلت ﴿ والشعراء ﴾ الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت / قالوا : يا رسول الله والله

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، ٢٦٧/١

لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا فأنزل الله ﴿ إلا الذين آمنوا ﴾ الآية فدعاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فتلاها عليهم ." (١)

"الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي الآية قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس بغير حق ودعونا مع الله إلها آخر وأتينا الفواحش فنزلت إلا من تاب الآية

سورة الشعراء

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال رؤي النبي صلى الله عليه وسلم كأنه متحير فسألوه عن ذلك فقال ولم ؟ وأريت عدوي يكون من أمتي بعدي فنزلت أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [٢٠٥] فطابت نفسه وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله والشعراء يتبعهم الغاوون الايات واخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه وأخرج عن عروة قال لما نزلت والشعراء إلى قوله ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة قد علم الله أني منهم فأنزل الله إلا الذين آمنوا إلى آخر السورة وأخرج ابن جرير والحاكم عن ابي حسن البراد قال لما نزلت والشعراء [٢٢٥] الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فقالوا يا رسول الله والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا فأنزل الله إلا الذين آمنوا الآية فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم." (٢)

"

٢٠٧ – ﴿ ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾

جملة "ما أغنى" مفعول ثان لـ "أرأيت" المتقدمة، "ما" اسم استفهام مفعول به مقدم لـ "أغنى"، "ما" الثانية مصدرية، والمصدر فاعل "أغنى".

---

(١) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي، ص/١٦٤

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، ص/١٤٩

٢٠٨ - ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾

جملة "وما أهلكنا" مستأنفة، "قرية" مفعول به، و"من" زائدة، "إلا" للحصر، والجار متعلق بخبر المبتدأ "منذرون"، وجملة "لها منذرون" حالية من "قرية"، ومسوغ مجيء صاحب الحال نكرة تقدم النفي.

٢٠٩ - ﴿ ذكرى وما كنا ظالمين ﴾

"ذكرى" مفعول لأجله، والواو حالية، والجملة حالية من الضمير في "لها".

٢١٠ - ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾

جملة "وما تنزلت به" مستأنفة.

٢١١ - ﴿ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾

جملة "وما ينبغي" معطوفة على جملة "ما تنزلت به الشياطين".

٢١٢ - ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾

الجملة مستأنفة، والجار "عن السمع" متعلق بـ "معزولون"، واللام المزحلقة.

٢١٣ - ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾

جملة "فلا تدع" مستأنفة، "مع" ظرف متعلق بالفعل، والفاء سببية، والمصدر المؤول من "أن" وما بعدها معطوف على مصدر متصيد من الكلام السابق أي: لا يكن منك دعوة فحصول عذاب لك.

٢١٤ - ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾

جملة "وأنذر" معطوفة على جملة "لا تدع".

٢١٥ - ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾

الجار "من المؤمنين" متعلق بحال من فاعل "اتبعك".

٢١٦ - ﴿ فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾
جملة الشرط معطوفة على جملة ﴿ واخفض ﴾ ، والجار "مما" متعلق بـ "بريء".

٢١٨ - ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾
الموصول نعت ثان لـ "العزيز"، "حين": ظرف زمان متعلق بالفعل.

٢١٩ - ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾
قوله "وتقلبك": معطوف على الكاف في ﴿ يراك ﴾ ، والجار متعلق بالمصدر "تقلبك".

٢٢٠ - ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾
الجملة مستأنفة، "هو" توكيد للهاء، "العليم" خبر ثان.

٢٢١ - ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾
اسم الاستفهام "من" مجرور متعلق بـ "تنزل"، ولا يتعلق بـ"أنبئكم"؛ لأن الاستفهام له الصدارة، وجملة "تنزل" سدت مسد مفعولي "أنبئكم" الثاني والثالث، وعلق الفعل بالاستفهام، و"تنزل" مضارع حذفت إحدى تاءيه تخفيفا.

٢٢٢ - ﴿ تنزل على كل أفاك أثيم ﴾
جملة "تنزل" بدل من الأولى.

٢٢٣ - ﴿ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾
جملة "يلقون" حال من الشياطين، وجملة "وأكثرهم كاذبون" معطوفة على جملة "يلقون".

٢٢٤ - ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾
جملة "والشعراء يتبعهم الغاوون" مستأنفة.

٢٢٥ - ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴾

المصدر سد مسد مفعولي رأى، والجملة مستأنفة، وجملة "يهيمون" خبر، والجار "في كل" متعلق بالفعل "يهيمون".

٢٢٦ - ﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾

المصدر معطوف على المصدر السابق، "ما" اسم موصول مفعول به.

٢٢٧ - ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾

"إلا" للاستثناء، والموصول منصوب على الاستثناء، "كثيرا" نائب مفعول مطلق، الجار "من بعد ما" متعلق بـ "انتصروا"، "ما" مصدرية، والمصدر المؤول مضاف إليه، والواو في "وسيعلم" مستأنفة، "أي": اسم استفهام مفعول مطلق عامله " ينقلبون"، ولا يجوز أن يكون معمولا لـ "يعلم"؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام، فلا يعمل فيه ما قبله، وجملة "ينقلبون" سدت مسد مفعولي "يعلم" المعلق بالاستفهام.." (١)

"باب الميم ما امنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ٦ ك الأنبياء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ٩١ ك المؤمنون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٥٧ ك الذاريات ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ٥١ ك الكهف ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ١١ د التغابن ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ٢٢ د الحديد ما أصابك من حسنة فمن الله ٧٩ د النساء ما أغنى عني ماليه ٢٨ ك الحاقة ما أغنى عنه ماله وما كسب ٢ ك المسد ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون ٢٠٧** ك الشعراء ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ٧ د الحشر ما الحاقة ٢ ك الحاقة ما القارعة ٢ ك القارعة ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ٧٥ د المائدة ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ١٥٤ ك الشعراء ما أنت بنعمة ربك بمجنون ٢ ك القلم ما أنتم عليه بفاتنين ١٦٢ ك الصافات ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ٢ ك طه." (٢)

---

(١) مشكل إعراب القرآن، ص/٣٧٦

(٢) معجم آيات القرآن، ص/١٥٢

"الموسوعة القرآنية ، ج ٤ ، ص : ٣١٩

١٩٣ - نزل به الروح الأمين يجوز أن يكون «به» : فى موضع المفعول ل «نزل» ، ويجوز أن يكون «به» : فى موضع الحال كما تقول : خرج زيد بثيابه ، ومنه قوله : (قد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) ٥ : ٦١ أي : دخلوا كافرين وخرجوا كافرين ، لم يرد أنهم دخلوا بشيء يحملونه معهم ، إنما أراد أنهم دخلوا على حال وخرجوا على تلك الحال.

٢٠٧ - ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** «ما أغنى عنهم» : ما ، استفهام ، فى موضع نصب ب «أغنى».

ويجوز أن يكون حرف نفى ، و«ما» الثانية : فى موضع رفع ب «أغنى».

٢٠٩ - ذكرى وما كنا ظالمين موضع «ذكرى» ، عند الكسائي : نصب على الحال.

وقال الزجاج : على المصدر لأن معنى «هل نحن منظرون» الآية : ٢٠٣ أي : مذكرون ذكرى.

ويجوز أن تكون «ذكرى» : فى موضع رفع على إضمار مبتدأ أي : إنذارنا ذكرى ، أو ذلك ذكرى ، أو تلك ذكرى.

ويجوز تنوينها ، إذا جعلتها مصدرا.

٢٢٧ - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

«أي منقلب» ، نصب «أيا». «ينقلبون» ، فهو نعت لمصدر «ينقلبون» تقديره : أي انقلاب ينقلبون. ولا يجوز نصبه ب «سيعلم» ، لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ، لأن صدر الكلام إنما يعمل فيه ما بعده. وقيل : إنما لم يعمل فيه ما قبله ، لأنه خبر ، ولا يعمل الخبر فى الاستفهام ، لأنهما مختلفان.." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٦ ، ص : ١٠٢

يعلمه :

و قرئ :

تعلمه ، بتاء التأنيث ، وهى قراءة الجحدري.

٢٠٢ - فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيأتيهم :

١ - بالياء ، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ :

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/١٦٣٦

٢ – بتاء التأنيث ، أنث على معنى «العذاب» ، لأن معناه ، العقوبة ، وهى قراءة الحسن ، وعيسى.

بغتة :

و قرئ :

بفتح الغين ، وهى قراءة الحسن.

٢٠٧ – ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون يمتعون** :

و قرئ :

بإسكان الميم وتخفيف التاء.

٢١٠ – وما تنزلت به الشياطين الشياطين :

و قرئ :

الشياطون ، وهى قراءة الحسن والأعمش ، وابن السميفع قال أبو حيان : وتوجيه هذه القراءة أنه لما كان آخره كآخر «يبرين» و«فلسطين» ، فكما أجرى إعراب هذا على النون تارة وعلى ما قبله تارة : فقالوا : يبرين ويبرون ، وفلسطين وفلسطون ، أجرى ذلك فى «الشياطين» تشبيها به ، فقالوا : الشياطين والشياطون.

٢١٧ – وتوكل على العزيز الرحيم وتوكل :

قرئ :

١ – فتوكل ، بالفاء وهى قراءة نافع ، وابن عامر ، وابن جعفر ، وشيبة.." [1]

"الموسوعة القرآنية ، ج ٧ ، ص : ٤١٥

باب الميم

مأى مئة مئتين بق ٢٦١ فى كل سنبلة مئة حبة نف ٦٥ يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة – ٦٦ فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين كه ٢٥ ثلاث مئة سنين صا ١٤٧ وأرسلناه إلى مئة ألف بق ٢٥٩ فأماته الله مئة عام – بل لبثت مئة عام ور ٢ كل واحد منهما مئة جلدة متع متعت متعنا متعتهم رف ٢٩ بل متعت هؤلاء جر ٨٨ متعنا به أزواجا منهم (طه ١٣١) ان ٤٤ بل متعنا هؤلاء وءاباءهم فر ١٨ ولكن متعتهم وءاباءهم متعناه متعناهم قص ٦١ فهو لاقيه كن متعناه يو ٩٨ ومتعناهم إلى حين (صا ١٤٨) شع ٢٠٥ إن متعناهم سنين يمتعكم أمتعه هد ٣ ثم توبوا إليه يمتعكم بق ١٢٦ ومن كفر فأمتعه قليلا أمتعكن نمتعهم حب ٢٨ فتعالين أمتعكن هد ٤٨ وأمم سنمتعهم لق ٢٤ نمتعهم قليلا متعوهن يمتعون تمتعون بق ٢٣٦

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٢٣٢٤

ومتعوهن على الموسع حب ٤٩ فمتعوهن وسرحوهن شع **٢٠٧ ما كانوا يمتعون حب** ١٦ وإذا لا تـمتعون إلا قليلا تمتع تمتعوا بق ١٩٦ فمن تمتع بالعمرة زم ٨ تمتع بكفرك قليلا هد ٦٥ فقال تمتعوا فى داركم ابر ٣٠ تمتعوا فإن مصيركم نح ٥٥ فتمتعوا فسوف تعلمون (روم ٣٤) يا ٤٣ تمتعوا حتى حين سلا ٤٦ وتمتعوا قليلا يتمتعون يتمتعوا محمد ١٢ والذين كفروا يتمتعون جر ٣ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا عك ٦٦ وليتمتعوا فسوف استمتع استمتعوا استمتعتم نعم ١٢٨ استمتع بعضنا ببعض بة ٧٠ فاستمتعوا بخلاقهم فاستمعتم بخلاقكم كما استمتع الذين نسا ٢٣ فما استمتعتم به منهن حق ٢٠ الدنيا واستمتعتم بها متاع متاعا بق ٣٦ ومتاع إلى حين (عف ٢٣ ان ١١١) - ٢٤١ وللمطلقات متاع عمر ١٤ ذلك متاع الحياة الدنيا - ١٨٥ إلا متاع الغرور (حد ٢٠) - ١٩٧ متاع قليل ثم مأواهم جهنم نسا ٧٦ متاع الدنيا قليل بة ٣٩ متاع الحياة الدنيا (قص ٦٠ شو ٣٦ رف ٣٥) يو ٧٠ متاع فى الدنيا عد ٢٨ فى الاخرة إلا متاع." (١)

"الموسوعة القرآنية ، ج ٨ ، ص : ٤١١

مروا بهم يتغامزون

، وأصله من غمزت الكبش إذا لمسته هل به طرق؟ نحو عبطته.

(غمض) : الغمض النوم العارض ، تقول ما ذقت غمضا ولا غماضا وباعتباره قيل أرض غامضة وغمضة ودار غامضة ، وغمض عينه وأغمضها وضع إحدى جفنتيه على الأخرى ثم يستعار للتغافل والتساهل ، قال تعالى : ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه.

(غنم) : الغنم معروف قال تعالى : ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما والغنم إصابته والظفر به ثم استعمل فى كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم ، قال تعالى : واعلموا أنما غنمتم من شي ء - فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا والمغنم ما يغنم وجمعه مغانم ، قال : فعند الله مغانم كثيرة.

(غنى) : الغنى يقال على ضروب ، أحدها عدم الحاجات وليس ذلك إلا لله تعالى وهو المذكور فى قوله تعالى : إن الله لهو الغني الحميد - أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد الثاني : قلة الحاجات وهو المشار إليه بقوله تعالى :

و وجدك عائلا فأغنى وذلك هو المذكور فى

قوله عليه السلام : «الغنى غنى النفس»

و الثالث : كثرة القنيات بحسب ضروب الناس كقوله : ومن كان غنيا فليستعفف - الذين يستأذنونك وهم

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٣٠٢٩

أغنياء – لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قالوا ذلك حيث سمعوا : من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقوله تعالى : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف أي لهم غنى النفس ويحسبهم الجاهل أن لهم القنيات لما يرون فيهم من التعفف والتلطف ، وعلى هذا

قوله عليه السلام لمعاذ : «خذ من أغنيائهم ورد فى فقرائهم»

و هذا المعنى هو المعنى بقول الشاعر :

قد يكثر المال والإنسان مفتقر

يقال غنيت بكذا غنيانا وغناء واستغنيت وتغنيت وتغانيت ، قال تعالى :

و استغنى الله – والله غني حميد ويقال أغناني كذا وأغنى عنه كذا إذا كفاه ، قال تعالى : ما أغنى عني ماليه – ما أغنى عنه ماله – لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا – ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون –** لا تغن عني شفاعتهم – ولا يغني من اللهب والغانية المستغنية بزوجها عن الزينة ، وقيل." [1]

"الموسوعة القرآنية ، ج ١٠ ، ص : ٤٥٢

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٩٩ الى ٢٠٧]

فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣)

أ فبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)

١٩٩ – فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين :

فقرأه عليهم على قريش بغير لغة العرب.

ما كانوا به مؤمنين لما آمنوا به أنفة وكبرا.

٢٠٠ – كذلك سلكناه في قلوب المجرمين :

كذلك أي مثل هذا السلك.

سلكناه مكنا القرآن وقررناه.

٢٠١ – لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم :

به بالقرآن.

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٣٥١٥

٢٠٢ – فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون :

فيأتيهم أي العذاب.

٢٠٣ – فيقولوا هل نحن منظرون :

منظرون مرجؤون.

٢٠٤ – أفبعذابنا يستعجلون :

تبكيت لهم بإنكار وتهكم. والمعنى : كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب ، يسأل فيه من جنس ما هو فيه من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها.

٢٠٥ – أفرأيت إن متعناهم سنين :

أ فرأيت أفعلمت ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

إن متعناهم سنين عمرناهم سنين.

٢٠٦ – ثم جاءهم ما كانوا يوعدون :

ما كانوا يوعدون ما أنذرناهم به.

٢٠٧ – ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** :

ما أغنى عنهم لم يدفع عنهم هذا العذاب.." (١)

"قوله: ﴿أفرأيت﴾: قد تقدم تحقيقه. وقد تنازع "أفرأيت" و"جاءهم" في قوله: "ما كانوا يمتعون" فإن أعملت الثاني وهو "جاءهم" رفعت به "ما كانوا" فاعلا به، ومفعول "أرأيت" الأول ضميره، ولكنه حذف، والمفعول ا لثاني هو الجملة الاستفهامية في قوله: "ما أغنى عنهم". ولا بد من رابط بين هذه الجملة وبين المفعول الأول المحذوف، وهو مقدر، تقديره: أفرأيت ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم تمتعهم، حين حل أي: الموعود به. ودل على ذلك قوة الكلام. وإن أعملت الأول نصبت به "ما كانوا يوعدون" وأضمرت في "جاءهم" ضميره فاعلا به. والجملة الاستفهامية مفعول ثان أيضا. والعائد مقدر على ما تقرر في الوجه قبله، والشرط معترض، وجوابه محذوف. وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام، وإنما ذكرته هنا لأنه تقدير عسر يحتاج إلى تأمل وحسنت صناعة، وهذا كله إنما يتأتى على قولنا: إن "ما" استفهامية، ولا يضرنا تفسيرهم لها بالنفي، فإن الاستفهام قد يرد بمبعنى النفي. وأما إذا جعلتها نافية حرفا، كما قال أبو البقاء، فلا يتأتى ذلك؛ لأن مفعول "أرأيت" الثاني لا يكون إلا جملة استفهامية كما تقرر غير مرة.

---

(١) الموسوعة القرآنية، ص/٤٧٣٨

قوله: ﴿مآ أغنى﴾: يجوز أن تكون "ما" استفهامية في محل نصب مفعولا مقدما، و"ما كانوا" هو الفاعل، و"ما" مصدرية بمعنى: أي شيء أغنى عنهم كونهم متمتعين. وأن تكون نافية والمفعول محذوف أي: لم يغن عنهم تمتعهم شيئا.

وقرىء "يمتعون" بإسكان الميم وتخفيف التاء، من امتع الله زيدا بكذا.

* ﴿ ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾

(٢٢٨/١١)

___." (١)

" على ما أولاه من الإنعام والإكرام والتسديد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الإيمان والتوحيد . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من صالحي العبيد . وسلم تسليما كثيرا . أما بعد فيا أيها الناس . اتقوا الله تعالى حق التقوى . وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى . وإياكم والاغترار بزهرة الحياة الدنيا . فقد اغتر بها قوم قبلكم فأوردهم موارد العطب والردى . أسكرتهم برونقها فما أفاقوا إلا وهم في عسكر الموتى . كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وعددا . كانوا أطول منكم آمالا وأحسن أثاثا ومنظرا . سرت إليهم الأقدار فما ونت في سيرها وما أبقت منهم أحدا . فما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون لما** نزل بهم القدر وقرب المدى . وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ولم يجدوا لهم من دونه موئلا وملتحدا . فانتبهوا رحمكم الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين . فنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين . والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) بارك الله لي ولكل في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم

---

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ص/٤٤٨٥

." (١)

"يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى –: "فأما قصر الأمل: فهو العلم بقرب الرحيل، وسرعة انقضاء مدة الحياة. وهو من أنفع الأمور للقلب؛ فإنه يبعثه على معافصة الأيام، وانتهاز الفرص التي تمر مر السحاب، ومبادرة طي صحائف الأعمال. ويثير ساكن عزماته إلى دار البقاء، ويحثه على قضاء جهاز سفره، وتدارك الفارط، ويزهده في الدنيا، ويرغبه في الآخرة؛ فيقوم بقلبه – إذا داوم مطالعة قصر الأمل – شاهد من شواهد اليقين يريه فناء الدنيا، وسرعة انقضائها، وقلة ما بقي منها، وأنها قد ترحلت مدبرة ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وأنها لم يبق منها إلا كما بقي من يوم صارت شمسه على رؤوس الجبال. ويريه لقاء الآخرة ودوامها، وأنها قد ترحلت مقبلة، وقد جاء أشراطها وعلاماتها، وأنه من لقائها كمسافر خرج صاحبه يتلقاه، فكل منهما يسير إلى الآخر، فيوشك أن يلتقيا سريع١.

ويكفي في قصر الأمل قوله تعالى: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) (الشعراء:٢٠٥-٢٠٧).

وقوله تعالى: (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) (يونس: من الآية٤٥).

وقوله تعالى: (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) (النازعات:٤٦).

وقوله تعالى: (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) (المؤمنون:١١٣، ١١٤).

وقوله تعالى: (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) (الأحقاف: من الآية٣٥).." (٢)

" | | (أين عاد وتبع وأبو ساسان ٪ كسرى وأين صحب ثمود) ٪ | | (أين رب الحصن الحصين بسوراء ٪ بناه وشاده بالشيد) ٪ | | (شد أركانه وصاغ له العقيان ٪ بابا وحفه بالجنود) ٪ | | (كان يجبى إليه ما بين صنعاء ٪ ومصر إلى قرى بيرود) ٪ | | (وترى حوله زرافات خيل ٪ حافلات تعدو بمثل الأسود) ٪ | | (فرمى شخصه فأقصده الدهر ٪ بسهم من المنايا شديد) ٪ | | (ثم لم ينجه من الموت حصن ٪ دونه خندق وباب حديد) ٪ | | (وملوك من قبله عمروا الدنيا أعينوا بالنصر والتأييد ٪) ٪ | | (بينما ذاك مرت الطير تجري ٪ لهم بالنحوس لا بالسعود) ٪ | | (وصروف الأيام

(١) الخطب المنبرية، ص/٢٠

(٢) أفلا تتفكرون، ص/٢٨٦

أسهلن بالحين ٪ إليه من المحط الكؤود) ٪ | | (ما وقاهم ما حاولوا لوعة الدهر ٪ وما أكدوا من التأكيد) ٪ | | (وكذاك العصران لا يلبثان المرء ٪ أن يأتياه بالموعود) ٪ | | (وبعيد ما ليس يأتي وما يدنيه ٪ منك العصران غير بعيد) ٪ | سج ع على قوله تعالى | ! ٢ [(١)] ٢ ! | أين الذين كانوا في اللذات يتقلبون ، ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون ، مزجت | لهم كؤوس المنايا فباتوا يتجرعون ! ٢ [(٢)] ٢ ! . | | مدوا أيديهم إلى الحرام ، وأكثروا من الزلل والآثام ، وكم وعظوا بمنثور ومنظوم |

". [(٣)]

" | من الكلام ، لو أنهم يسمعون ! ٢ [(٤)] ٢ ! . | | حمل كل منهم في كفن ، إلى بيت البلى والعفن ، وما صحبهم غيره من الوطن ، من كل | ما كانوا يجمعون ! ٢ [(٥)] ٢ ! . | | ضمهم والله التراب ، وسد عليهم في ثراهم الباب ، وتقطعت بهم الأسباب ، والأحباب | يرجعون ! ٢ [(٦)] ٢ ! . | | أين أموالهم والذخائر ، أين أصحابهم والعشائر ، دارت على القوم الدوائر ، ففيم أنتم | تطمعون ! ٢ [(٧)] ٢ ! . | | شغلوا عن الأهل والأولاد ، وافتقروا إلى يسير من الزاد ، وباتوا من الندم على | أخس مهاد ، وإنما هذا من حصاد ما كانوا يزرعون ! ٢ [(٨)] ٢ ! . | | أين الجنود والخدم ، أين الحرم والحرم ، أين النعم والنعم ، بعد ما كانوا يربعون | فيما يرتعون ! ٢ [(٩)] ٢ ! . | | لو رأيتهم في حلل الندامة ، إذا برزوا يوم القيامة ، وعليهم للعقاب علامة ، يساقون | بالذل لا بالكرامة ، إلى النار فهم يوزعون ! ٢ [(١٠)] ٢ !

---

(١) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٢) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٣) التبصرة، ٣٣٧/١
(٤) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٥) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٧) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٨) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(٩) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
(١٠) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون

. | | يا معشر العاصين قد بقي القليل ، والأيام تنادي : قد دنا الرحيل ، وقد صاح بكم | إلى الهدى الدليل إن كنتم تسمعون ! ٢ [١] ٢ ! . |

---

(٢) ".

"الأنبياء مع الانبياء ، والصديقون مع أشكالهم ، والشهداء مع أضرابهم ، والعلماء مع أقرانهم ، وكل صنف مع صنف ، وكل زمرة تناسب بعضها بعضا . (٢)

وقال القرطبى :

قوله تعالى : (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته ، وقال فى حق الفريقين :

(وسيق) بلفظ واحد فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزى والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا الى حبس أو قتل ، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان ، لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين . (١)

وقيل كل جماعة أو طائفة تعاونت على الخير والطاعة فإنهم ينادون يوم القيامة ويكونون زمرة من الزمر المساقه الى الجنة .

خاتمة نسأل الله حسنها

إذا بلغت الروح المنتهى

وقد سعدنا بصحبة التقوى وأهلها وثمارها بين طيات هذا الكتاب المبارك ، فهل لك يأخى القارئ الكريم فى أن تحقق لنفسك السعادة فى لحظة واحدة ، وهى لحظة صدق يجلس فيها العبد الى نفسه فلا يخدعها ولا تخدعه ، يفكر فيما مضى من عمره ، ويتذكر قول القائل :

ما مضى من أعمارنا وإن طالت أوقاته فقد ذهبت لذاته وبقيت تبعاته ، وكانه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته ، قال الله عز وجل :

[أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون]

---

(١) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون

(٢) التبصرة، ٣٣٨/١

...... (الشعراء : ٢٠٥ - ٢٠٧)

تلا بعض السلف هذه الأية وبكى وقال : إذا جاء الموت لم يغن عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم ، وفى هذا المعنى ما أنشده أبو العتاهية للرشيد حين بنى قصره واستدعى إليه ندماءه .

عش مابدل لك سالما فى ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور." (١)

"فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكل ما لا يصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها، أفكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت فما انتفعت بل أصرت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد اخبر الناطق عن الصامت.

قال الله تعالى:)قل إن الموت الذي تفرون منه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون(.

وقلت لها هبي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه وأن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس بآت.

وقد قال الله تعالى)أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون(.."(٢)

"أي أخي هل وقفت مع نفسك لتذكر هذا القادم الغائب المنتظر وإنما هي سويعات ثم ترحل فجد السير وهي مركب السير قبل أن تخرج الروح فتقول (رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت) فيقال لك (كلا)[المؤمنون : ١٠٠]

ولله در القائل :

تزود من الدنيا فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

---

(١) التقوى، ص/٦١

(٢) الاستعداد للموت وسؤال القبر، ص/٦

فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد نسجت أكفانها وهي لا تدري

﴿ تنبيه ﴾ : ... إننا حين ندعو أنفسنا والناس من حولنا إلى الإكثار من ذكر الموت فليس ذلك بسبب اليأس من الحياة أو التشاؤم، لكنه التذكير بالكأس الذي لابد لكل منا أن يشربه وهو عنه غافل لاه.فإن الموت إذا نزل بساحة العبد نسي ما كان فيه من اللذة والنعيم ، قال تعالى : (أفرأيت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧) قرأ بعض السلف هذه الآيات فبكى وقال: إذا جاء الموت لم يغن عن العبد ما كان فيه من اللذة والنعيم.

ولهذا وجدنا السلف يتواصون بالإكثار من ذكر الموت واستحضاره، مع أنهم فتحوا مشارق الأرض ومغاربها، وسادوا الدنيا بطاعة الله، وجاءهم الموت فكانوا أفرح بقدومه من الأم بقدوم ولدها الغائب.

فوجدنا منهم من يقول وهو على فراش الموت:

"واطرباه!! غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه".

وآخر يقول: "مرحبا بالموت؟ زائر مغب (قليل الزيارة) جاء على فاقة".

وآخر يقول: "اللهم إني إليك لمشتاق".

ولا عجب فإن العبد إذا كان على فراش الموت بشر إما بجنة وإما بنار،فإن العبد يموت على ما عاش عليه ، والخواتيم مواريث الأعمال.

نسأل الله حسن الخاتمة والفوز بالجنة والنجاة من النار.." (١)

"وأزيدك في هذا بيانا مثل ساعة الموت ، و انظر إلى مرارة الحسرات على التفريط ، و لا أقول كيف تغلب حلاوة اللذات ، لأن حلاوة اللذات استحالت حنظلا ، فبقيت مرارة الأسى بلا مقاوم ، أتراك ما علمت أن الأمر بعواقبه ؟ فراقب العواقب تسلم ، و لا تمل مع هوى الحسن فتندم .

(عباد الله النظر النظر إلى العواقب ، فإن اللبيب لها يراقب،أين تعب من صام الهواجر ،وأين لذة العاصي الفاجر ،رحلت اللذة من الأفواه إلى الصحائف، وذهب نصب الصالحين بجزع الخائف، فكأن لم يتعب من صابر اللذات وكأن لم يلتذ من نال الشهوات .

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ١/٢٥٤

(لله در أقوام تلمحوا العواقب ، فعملوا عمل مراقب،وجاوزوا الفرائض إلى طلب المناقب ،علت هممهم عن الدنايا ،وارتفعت وكفت الأكف عن الأذايا .

وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمعن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد ، ودرر الفرائد . (

) حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا بن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا بن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط .

[*] قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم :

(فيصبغ في النار صبغة) : الصبغة بفتح الصاد أي يغمس غمسة .

والبؤس : بالهمز هو الشدة والله أعلم.

(أين الذين كانوا في اللذات يتقلبون، ويتجبرون على الخلق ولا يغلبون ، مزجت لهم كؤوس المنايا فباتوا يتجرعون ، (مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)." (١)

"(حمل كل منهم في كفن، إلى بيت البلى والعفن، وما صحبهم غيره من الوطن ،من كل ما كانوا يجمعون (مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون).

(ضمهم والله التراب وسد عليهم الباب وتقطعت بهم الأسباب ، والأحباب يرجعون (مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

(شغلوا عن الأهل والأولاد ، وافتقروا إلى يسير من الزاد، وباتوا من الندم على أخس مهاد ، وإنما هذا من حصاد ما كانوا يزرعون (مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

(لو رأيتهم في حلل الندامة ،إذا برزوا يوم القيامة ،وعليهم للعقاب علامة يساقون بالذل لا بالكرامة ،إلى النار فهم يوزعون (مآ أغنى عنهم ما كانوا يمتعون)

(٦) الهمة العالية :

فمن لم تكن له همة أبية لم يكد يتخلص من أي بلية ، فإن ذا الهمة يأنف أن يملك رقه شيء وما زال

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ٣٧١/١

الهوى يذل أهل العز ، وتأمل في القصة الآتية : (
[*](أورد الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى أن أن الرشيد عشق جارية وامتنعت عليه فقال .

أرى ماء وبي عطش شديد ... ولكن لا سبيل إلى الورود
أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس كلهم عبيدي
وأنك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي

(ومن الأنفة من حب من طبعه الغدر وهذا أجل طباع النساء :
[*](قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه ذم الهوى :
ومن الأنفة من حب من طبعه الغدر وهذا أجل طباع النساء ، وقد قال الحكماء لا تثق بامرأة وقال الشاعر .

إذا غدرت حسناء أوفت بعهدها ... ومن عهدها أن لا يدوم لها عهد

وقال أبو محمد التميمي :

أفق يا فؤادي من غرامك واستمع ... مقالة محزون عليك شفيق
علقت فتاة قلبها متعلق ... بغيرك فاستوثقت غير وثيق
وأصبحت موثوقا وراحت طليقة ... فكم بين موثوق وبين طليق." (١)
"بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل ، لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .
(خطبة له أيضا)
الحمد لله الغني الحميد ، المبديء المعيد ، ذي العرش المجيد ، الفعال لما يريد . أحاط بكل شيء علما

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، ٣٧٢/١

وهو على كل شيء شهيد . أحمده سبحانه على ما أولاه من الإنعام والإكرام والتسديد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الإيمان والتوحيد . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من صالحي العبيد . وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد فيا أيها الناس . اتقوا الله تعالى حق التقوى . وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى . وإياكم والاغترار بزهرة الحياة الدنيا . فقد اغتر بها قوم قبلكم فأوردهم موارد العطب والردى . أسكرتهم برونقها فما أفاقوا إلا وهم في عسكر الموتى . كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وعددا . كانوا أطول منكم آمالا وأحسن أثاثا ومنظرا . سرت إليهم الأقدار فما ونت في سيرها وما أبقت منهم أحدا . فما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون لما** نزل بهم القدر وقرب المدى . وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ولم يجدوا لهم من دونه موئلا وملتحدا . فانتبهوا رحمكم الله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله .." (١)

"وقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب((قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد(.

وقال تعالى (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع(وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه فقال (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون (٧) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون(وعير سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين فقال: (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل(.

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى (أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون(.."(٢)

"السلف وتذكرهم للموت

---

(١) خطب الشيخ الداعية محمد بن عبدالوهاب، ص/١٤

(٢) سلاح اليقظان لطرد الشيطان، ص/١٥٦

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الإخوة الكرام! (لحظة لا بد منها) موقف لا بد منه، ساعة قادمة لا محالة؛ فما هذه اللحظة التي لا بد منها؟

لا بد أن نمر فيها المؤمن والكافر، الصالح والفاجر، صغير أو كبير، غني أو فقير، هذه اللحظة لا بد منها أي لحظة تلك؟

هي لحظة الاحتضار، ساعة السكرات، الفراق من هذه الدنيا، فكر معي في هذه الجلسة في هذه اللحظات التي هي حقا لا بد منها؛ فكل الناس ميتون: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥] هل أنت منهم؟ إي والله؛ لكن فعلك لا يوحي بذلك، لكن تصرفاتك وقلة عبادتك وضعف اليقين لا يوحي بأنك مؤمن بهذه الآية حق الإيمان، ﴿كل نفس ذائقة الموت))[آل عمران:١٨٥].

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجلس كل ليلة مع العلماء والعباد والزهاد يتذاكرون الموت وهذه اللحظة؛ فيبكون كأن جنازة بين أيديهم: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران:١٨٥].

وكان عثمان رضي الله عنه إذا ذكر له الموت بكى.

وكان سفيان إذا قيل له عن الموت شيء أو ذكر الآخرة أخذ يبكي حتى يبول الدم رحمهم الله جميعا.

أكثروا ذكر هادم اللذات.

أرأيت الغفلة؟! إنما جاءت بعد أن نسي الناس هذه اللحظة التي هي لا بد منها، قال بعضهم:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى يدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا فإنما الربح والخسران في العمل

سليمان عليه السلام نبي من الأنبياء كان جالسا مع أحد أصحابه، فجأة دخل رجل ثالث عليهما، فأخذ الرجل الثالث ينظر إلى الرجل الذي عند سليمان -اسمعوا القصة العجيبة- فخاف الرجل، رجل غريب دخل وأخذ يحد النظر وينظر إليه بعينين محدقتين، فلما خرج الرجل الغريب قال صاحب سليمان: يا نبي الله، من هذا الرجل الذي دخل؟ قال: لم تسأل؟ قال: رأيته ينظر إلي نظرا محدقا ففزعت منه، قال: ألم تعلم من هو؟ قال: لا يا نبي الله، قال: هذا ملك الموت، فخاف الرجل وقال: يا نبي الله احملني، قال: لمه؟ قال: احملني إلى أي أرض بعيدة أهرب من ملك الموت، كل الناس يخافون من الموت، فحمله سليمان إلى بلاد بعيدة قيل: هي الهند ، فلما نزل الرجل، فإذا بملك الموت يستقبله، فقبض روحه.

فجاء ملك الموت إلى سليمان عليه السلام قال: له نبي الله: يا ملك الموت أخبرني عن قصة هذا الرجل، قال: هذا قصته غريبة، قال: ما قصته؟ قال: أمرني ربي أن أقبض روحه في تلك البلاد فوجدته عندك فقلت: سبحان الله! أمرني ربي أن أقبض روحه في تلك البلاد البعيدة وهو عندك جالس، يقول: فإذا به يذهب بنفسه إلى حتفه: ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾ [الجمعة:٨].

مهما فعلت وصنعت وأخذت من الاحتياطات واستعديت يا أخي العزيز لصحتك؛ فإن الموت قادم مهما فررت، أرأيت المستشفيات كيف تمتلئ؟!

أرأيت الناس ماذا يصنعون؟!

أرأيت الناس عن ماذا يبحثون؟!

عن الحياة لكنه الموت: ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ﴾ [آل عمران:١٨٥].

أخي العزيز! فكر في هذه اللحظات والناس على صنفين:

- منهم من يموت وخاتمته حسنة.

- ومنهم من يموت -والعياذ بالله- وقد ساءت خاتمته.

كم من الناس من فضحه الله عز وجل عند الموت، فضح -إي والله- فإذا به يكفر ويفجر، وإذا بملك الموت يقبض روحه وهو على فجوره ومعصيته.

كان يقول: إنها آخر مرة أعصي الله ثم أتوب بعد هذا، وما يدري أنها اللحظة الأخيرة، إنها السكرة، إنه على موعد مع ملك الموت.

كان يقول: سوف أتوب إذا قدم الحج، سوف أتوب في رمضان، سوف أتوب بعد شهر أو شهرين والمسكين لا يدري أن الموت أقرب: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ﴾ [الشعراء:٢٠٥] في لهو وطرب وسكر وعربدة: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٦] الموت! ﴿ ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ [الشعراء:٢٠٧].

سفيان الثوري يقول: [والله لا أخاف ذنوبي -الأمر ليس بالذنوب، الذنوب يتوب منها؛ لكنه يقول: لكن أخاف أن أسلب الإيمان قبل الموت] أخاف أن أفتن فأسلب الإيمان قبل الموت.

أحد السلف يقول: [والله إني أخاف أن أفتن قبل موتي، قالوا: وكيف ذاك؟ -كيف تفتن- قال: أخاف أن يشتد نزعي -يعني: خروج الروح- ثم أقول كلاما لا يرضي ربنا، ثم أفتن قبل الموت].

يقول عليه الصلاة والسلام: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة -من صلاة وصيام وقيام وركوع وسجود- حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ﴾ [إبراهيم:٢٧] الظالم يضله الله قبل الموت .." (١)

"التفكر فيمن مضوا والأمر بالتوبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عباد الله: اتقوا الله، واعلموا أن الآمال تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى.

---

(١) خطب ومحاضرات للشيخ نبيل العوضي، ٢/٥٨

والليل والنهار يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد.

وفي ذلك –والله– ما يلهي عن الشهوات، ويسلي عن اللذات، ويرغب في الباقيات الصالحات.

التفتوا، وانظروا، وتدبروا، وتأملوا، وتملوا بعيون قلوبكم:

أين من كان حولكم من ذوي البأس والخطر

سائلوا عنهم الديار واستبحثوا الخبر

سبقونا إلى الرحيل وإنا على الأثر

كان عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية خلا لـ عبد الملك بن مروان ، فلما مات عبد الملك ودفن، وتفرق الناس عن قبره، وقف عليه عبد الرحمن بن يزيد قائلا: أنت عبد الملك ، أنت من كنت تعدني خيرا فأرجوك، وتتوعدني فأخافك، الآن تصبح وتمسي وليس معك من ملكك غير ثوبك، وليس لك من ملكك سوى تراب أربعة أذرع في ذراعين، إنه لملك هين حقير وضيع، أف ثم أف لدنيا لا يدوم نعيمها، ثم رجع إلى أهله، فاجتهد وجد في العبادة، وعلم أنها الباقية، حتى صار كأنه شن بال من كثرة ما أجهد نفسه في العبادة، فدخل عليه بعض أهله يعاتبه؛ لأنه أضر بنفسه، فقال للذي يعاتبه: أسألك عن شيء فهل تصدقني فيه؟ قال: نعم.

قال: نشدتك الله! عن حالتك التي أنت عليها أترضاها حين يأتيك ملك الموت؟ قال: اللهم لا.

قال: نشدتك الله! أعزمت على انتقال منها إلى غيرها؟ قال: اللهم لم أشاور عقلي بعد.

قال: نشدتك الله أفتأمن أن يأتيك ملك الموت على حالك التي أنت عليها؟ قال: اللهم لا آمن.

قال: حال ما أقام عليها عاقل، وما يقيم عليها ذو قلب ولب، إن الطائر إذا علم أن الأنثى قد حملت البيض أخذ ينقل العيدان لبناء العش قبل الوضع، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر الذي ستنفرد فيه وحدك، ويسد عليك فيه بالطين وحدك؟ ألا عملت لك فراشا من تقوى الله، فمن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون.

فلا يومك الماضي عليك بعائد ولا يومك الآتي به أنت واثق

فاستعد وأعد.

يا شابا عكف على القرآن! مسجده ومصلاه، والسنة مظهره ومخبره سل الله الثبات.

وازدد من الحسنات، واجعل الآخرة همك يجعل الله غناك في قلبك، ويجمع لك شملك، وتأتيك الدنيا راغمة.

فجد وسارع واغتنم زمن الصبا.

ويا شابا هجر القرآن! وأعطى نفسه هواها فدساها؛ لتقفن موقفا ينسى الخليل به الخليل، وليركبن عليك من الثرى ثقل ثقيل، ولتسألن عن النقير والقطمير، والصغير والكبير.

فعد فالعود أحمد قبل أن تقول: رب ارجعون، فلا رجوع.

ذهب العمر وفات يا أسير الشهوات ومضى وقتك في لهو وسهو وسبات

يا شيخا اقترب من القبر! عرف أنه منه على قاب قوسين أو أدنى، فأكثر من الاستغفار، وحبس لسانه عن الزور، ورعى رعيته كما ينبغي، وعرف قدر يومه وليلته، بشراك بشراك، ضاعف العمل؛ فإن الخيل إذا وصلت إلى آخر السباق قدمت كل ما لديها من قوة لتفوز بالجائزة.

ويا شيخا نسى الله في شيخوخته بعد شبابه! فارتكب الجرائم، وقارف الكبائر، ووقف على عتبة الموت.

أين الهوى والشهوات؟ ذهبت، وبقيت التبعات، تتمنى بعد يبس العود العود وهيهات!

يا من شاب رأسه! فما استحيا من الله.

يا من شاب رأسه! فانتهك حدود الله، وأعرض عن منهج الله، تب إلى الله قبل أن تكون ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.

إلى من ضيع الصلاة، واتبع الشهوات، إلى المنافقين والزناة، إلى الظلمة والبغاة، إلى من طغى وآثر الحياة الدنيا، إلى المغتابين والنمامين والحاسدين وأكلة الربا، إلى من ألهاهم التكاثر فنسوا بعثرة المقابر، وتحصيل ما في السرائر، إلى من أضنى عينيه بمشاهدة المسلسلات، واستقبال القاذورات.

إلى من طربت أذنه باستماع الأغنيات، إلى من شغلته أمواله المحرمة والشركات، إلى من أعمى الهوى بصره، وأصم سمعه فكان حيا وهو في عداد الأموات، إلى الراشين والمرتشين وأهل السكر والمخدرات، إلى المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، إلى الكاسيات العاريات، إلى العصاة جميعا:

من الموت والقبر والحساب أين المفر؟!

﴿كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ [القيامة:١١-١٢] ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧] .

عباد الله: آن الأوان أن نعلنها توبة إلى الله باللسان والجنان .." (١)

"تعرف حقيقة الدنيا بما يأتي بعدها

أيها الإخوة! هذه هي الدنيا، شباب ونضرة، ثم شيخوخة وهرم، قصور بعدها قبور، ونور بعده ظلام، وأنس بعده وحشة، وسعة في المنازل بعدها ضيق في القبور، ونعيم وطعام وشراب ولباس ولكن تنتهي أيام هذه الحياة، يقول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧].

هب أنهم تمتعوا بكل متاع، وتلذذوا بكل لذائذ الدنيا، ولكن ماتوا وقابلوا ربهم والله ساخط عليهم، فماذا يبقى معهم من النعيم، إن النعيم واللذائذ تفنى وتذهب وتبقى آثامها وتبعاتها، وإن الطاعات والمعاناة في إتيانها تذهب وتنتهي ويبقى ثوابها وأجورها، فلا تغتر يا أيها الأخ في الله! وأنت تسير في مراحل هذه الحياة، لا تغتر بالمعوقات والمثبطات، بل اسلك سبيل الصالحين، ولا يغرك قلة السالكين، واحذر من طريق الهالكين، ولا تغتر بكثرة السالكين ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ [الأنعام:١١٦].

اسلك السبيل الواضح الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، مستقيما لا عوج فيه، ولا انحناءات ولا التواءات، بل محجة بيضاء ليلها كنهارها، ليس فيها غبش ولا ظلمة، لا يزيغ عنها إلا هالك.." (٢)

"خطر المعاصي والذنوب

---

(١) خطب ومحاضرات للشيخ علي القرني، ٦/٤٠

(٢) خطب ومحاضرات للشيخ سعيد بن مسفر، ٥/٣٤

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، سبحانه وبحمده، أوجد الكون ودبره، وخلق الإنسان من نطفة فقدره، ثم السبيل يسره، ثم أماته فأقبره، ثم إذا شاء أنشره.

والشكر لربنا على جميل لطفه، وجزيل ثوابه، وواسع فضله، عظم حلمه فستر، واستغفره المذنبون فغفر، وبسط يده بالعطاء فأكثر، قصدته الخلائق بحاجاتها فأعطاها، وتوجهت إليه القلوب بلهفاتها فهداها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تكفل برزق جميع الخلائق، وتعرف إلى خلقه بالدلائل والحقائق، له الحكمة فيما قدر وقضى، وإليه وحده ترفع الشكوى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، أرفع عباد الله قدرا، وأكثرهم لمولاه شكرا، وأعظمهم لربه ذكرا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، صفوة الله من خلقه، وخيرته من عباده، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه، نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه، سبحانك ربنا، أنت إلهنا، ونحن عبيدك، أنت الملك، لا إله إلا أنت، ظلمنا أنفسنا، واعترفنا بذنوبنا، فاغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

أما بعد:

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله -رحمكم الله- فتقوى الله طريق النجاة والسلامة، وسبيل الفوز والكرامة، بالتقوى تزداد النعم، وتتنزل البركات، وبها تصرف النقم، وتستدفع الآفات.

عباد الله: تأملوا في هذه الحياة، مدبر مقبلها، ومائل معتدلها، كثيرة عللها، إن أضحكت بزخرفها قليلا، فلقد أبكت بأكدارها طويلا.

تفكروا في حال من جمعها ثم منعها، انتقلت إلى غيره، وحمل إثمها ومغرمها، فيا لحسرة من فرط في جنب الله! ويا لندامة من اجترأ على محارم الله! أقوام غافلون، جاءتهم المواعظ فاستقلوها، وتوالت عليهم النصائح فرفضوها، توالت عليهم نعم الله فما شكروها، ثم جاءهم ريب المنون، فأصبحوا بأعمالهم

مرتهنين، وعلى ما قدمت أيديهم نادمين: ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ [الشعراء:٢٠٥-٢٠٧] .." (١)

"ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد قال الله جل وعلا: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون([الجمعة: ٨].

وقلت لها هبي أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه.

وأن كل ما هو آت قريب وقد قال الله جل جلاله: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون([الشعراء: ٢٠٧].

وقال مخبرا عن نفسه عندما وعظها ولم تجتهد في التزود للآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ولم تجتهد في رضا الله كاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضا الخلق.

ولم تستحي من الله تعالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء، وفي الشتاء لأجل الصيف فإنها لا تطمئن في أوائل الشتاء ما لم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يخطفها والشتاء لا يدركها.

فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين له آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم.

ثم استمرت على سجيتها ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فإن ذلك من العجائب العظيمة.

فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا ذا موصي نفسي وإياك بالحذر منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعي إلى الغرور والإهمال.

وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فإنه لو أخبر صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته أو يموت بعد أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم.

فانكشف لي تحقيقا أن من أصبح وهو يؤمل أنه يمسي أو أمسى وهو يؤمل أن يصبح لم يخل من الفتور والتسويف.." (٢)

---

(١) خطب ورسائل للشيخ صالح بن حميد، ٢/٣٩

(٢) خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان /عبد العزيز السلمان، ١/٢٢٣

"وقال: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد([آل عمران: ١٤، : ١٥].

وقال تعالى: (وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع([الرعد: ٢٦].

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه فقال: (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون([يونس: ٨].

وعبر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين فقال: (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل([التوبة: ٣٨].

وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالى: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون([الشعراء: ٢٠٧].." (١)

"عرف أنه منه قاب قوسين أو أدنى، فأكثر من الاستغفار، وحبل لسانه عن الزور، ورعى رعيته كما ينبغي، وعرف قدر يومه وليلته بشراك بشراك، ضاعف العمل فإن الخيل إذا وصلت إلى نهاية السباق قدمت كل ما لديها من قوة لتفوز بالجائزة.

ويا شيخا نسي الله في شيخوخته بعد شبابه:

فارتكب الجرائم وقارف الكبائر ووقف على عتبة الموت، أين الهوى والشهوات؟ ذهبت وبقيت التبعات، تتمنى بعد يبس العود العود وهيهات.

يا من شاب رأسه فما استحي من الله:

يا من شاب رأسه فانتهك حدود الله وأعرض عن منهج الله تب إلى الله قبل أن تكون ممن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

إلى من ضيع الصلاة وأتبع الشهوات.

---

(١) خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان /عبد العزيز السلمان، ٢٢٧/١

إلى المنافقين والزناة.
إلى الظلمة والبغاة.
إلى من طغى وآثر الحياة الدنيا.
إلى المغتابين والنمامين والحاسدين وأكلة الربا.
إلى من ألهاهم التكاثر فنسوا بعثرة المقابر وتحصيل من في السرائر.
إلى من أضنى عينيه بمشاهدة المسلسلات واستقبال القاذورات.
إلى من طربت أذنه باستماع الأغنيات.
إلى من شغلته أمواله المحرمة والشركات.
إلى من أعمى الهوى بصره وأصم سمعه فكان حيا وهو في عداد الأموات.
إلى الراشين والمرتشين وأهل السكر والمخدرات.
إلى المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب.
إلى الكاسيات العاريات.
إلى العصاة جميعا.
من الموت والقبر والحساب أين المفر، أين المفر؟
(كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر).
(أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون).
عباد الله: آن الأوان أن نعلنها توبة إلى الله باللسان والجنان.
اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.." (١)

"... فهذه حال قوم كانت مناظرهم بهية، وأقوالهم خلابة، ولم يخرجهم ذلك عن كونهم خشبا مسندة، لا نفع فيها، فتلك مناظر لا مخبر لها، وأجرام لا أفهام لها، وهذه حال دنية لا يرضاها مؤمن لنفسه. بل لا يتم إيمان المؤمن ولا يصح إلا بإصلاح باطنه وتزكية قلبه وتطييبه، فجمال الظاهر وحسنه لا يغني عن العبد شيئا إذا كان باطنه وقلبه فاسدا قبيحا، قال الله جل وعلا في الرد على قوم غرهم حسن أحوالهم وجمال مظاهرهم، فجعلوا ذلك دليلا على جمال عاقبتهم: ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ﴾

(١) علي القرني: محاضرات وخطب، ٤/ ١٢

(مريم: ٧٤) فأخبر سبحانه وتعالى بأنه أهلك أقواما من قبل كانوا هم أحسن صورا، وأكثر أموالا، وأجمل أشكالا فما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ (غافر: ٨٢) فجمال الباطن وسلامة القلب هو الأصل والأساس الذي يبنى عليه الفلاح في هذه الدنيا وفي الآخرة يوم المعاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ (لأعراف: ٢٦).." [١]

". وأنه سبحانه يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه، ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر: "إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين" (الأعراف، آية: ١٩٦).

. وأنه سبحانه، حدد مضمون هذه العبودية وهذا التوحيد في القرآن الكريم.

إن تربية أفراد الأمة على المعاني الإيمانية والتصورات الصحيحة خطوة مهمة في نهوض الأمة وتحتاج التذكير والتعليم والتربية لكل أفراد المسلمين، وقد ظل صلى الله عليه وسلم يطرق مع أصحابه هذه الجوانب ويكررها عليهم وعلى من آمن به ويفتح عيونهم عليها من خلال الكتاب المنظور والكون المسطور حتى خشعت قلوبهم وسلمت أرواحهم وطهرت نفوسهم، ونشأ لديهم تصور وإدراك لحقيقة ومضمون الألوهية يخالف تصورهم الأول وإدراكهم القديم (١).

واهتم صلى الله عليه وسلم بغرس حقيقة المصير وسبيل النجاة لأصحابه مؤقنا أن من عرف منهم عاقبته وسبيل النجاة والفوز في هذه العاقبة. سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك هذا السبيل، حتى يظفر غدا بهذه النجاة وذلك الفوز، فقد ركز صلى الله عليه وسلم في هذا البيان على الجوانب التالية:

. إن هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي إلى زوال، ،أن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" (يونس، آية: ٢٤" "قل متاع الدنيا قليل" (النساء، آية: ٧٧".

. وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسئولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون، "أيحسب الإنسان أن يترك سدى" (القيامة، آية: ٦٣).

. وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارته في الدنيا وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه

---

(١) صلاح القلب، ص/٢

الدنيا: "أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" (الشعراء، آيات: ٢٠٥ ـ ٢٠٧)، "كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية" (الحاقة، آية: ٢٤).

---

(١) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية للدكتور سيد نوح صـ١٠ ـ ١٦.." [1]

"واستعجال العذاب، فإن قلوب المجرمين لا تذعن إلا إذا تطهرت، وفى حالة إجرامها فلن تؤمن بالقرآن الكريم وإعجازه ولو أنزله الله على أعجمى، ولن يؤمنوا به حتى ينزل عليهم العذاب. ولو كان تكذيبهم لانغماسهم فى الشهوات فهل المتعة بالشهوات تغنى إذا وقع العذاب؟. قال تعالى: ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤)، قال مقاتل: قال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم: يا محمد إلى متى تعدنا بالعذاب ولا تأتى به؟ فنزلت: أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤)، ثم ينزل هذا التساؤل الذى يجعل متع الدنيا لا قيمة لها مع وقوع العذاب فيقول تعالى: أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧).

وتبين الآيات بعد ذلك سنة الله مع خلقه فى أنه سبحانه ما أهلك قرية من القرى إلا بعد الإنذار إليهم والإعذار بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليذكر هؤلاء قال تعالى:

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩).

وتنبه الآيات الكريمة بعد ذلك إلى أمور جديرة بالعناية حتى يتخلص الناس من الأوهام والظنون التى شغلوا أنفسهم بها نحو وحى الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم، فبعد الاطمئنان السابق على تنزيل القرآن الكريم من رب العالمين على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم عن طريق الروح الأمين عليه السلام يأتى النفى والرد لما زعمه الكفرة فى القرآن الكريم أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة. فهذا الزعم مردود لأن الله حفظ كتابه، قال تعالى: وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لهم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢). ولو أن هؤلاء آمنوا وفتحوا قلوبهم للتوحيد لتطهرت قلوبهم من هذه الأوهام ولذلك يأتى الخطاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالتوحيد مع كونه منزها عنه معصوما منه لحث العباد على التوحيد ونهيهم عن شوائب الشرك وكأنه قال: أنت أكرم الخلق على وأعزهم عندى، ولو اتخذت

---

(١) السلطان سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت، علي محمد الصلابي ٢٩/١

معى إلها لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد «١».

قال تعالى: فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وإذا كان هذا تنبيها إلى إقامة الناس على التوحيد، فإن الأمر الذى يلى هذا أن ينذر الرسول صلى الله عليه وسلم عشيرته الأقربين، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم سينذر عشيرته الأقربين فليس معنى ذلك أن دعوته لهم وحدهم كما تصور بعض الناس، بل إن ذلك من التدرج الصحيح فى الدعوة والتى تبدأ بالداعى ثم الذى يليه فقد ذكر قبلها مباشرة: فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من

---

(١) فتح القدير ٤/ ١١٩.." (١)

"فأطفأه، وأنا أنظر إليه، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت، وإذا هو في هذه الآية ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٦] فبكى، ثم رجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله، والحمد لله، كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عنه، فلما سمعني، سكت فلم أسمع له حسا." (٢)

"عمر بن عبد العزيز

واسند الأمر الى عمر بن عبد العزيز.

قالوا: فلما استخلف قعد للناس على الارض.

فقيل له: لو امرت ببساط يبسط لك، فتجلس، ويجلس الناس عليه كان ذلك اهيب لك في قلوب الناس.

فتمثل:

قضى ما قضى فيما مضى، ثم لا ترى ... له صبوه احدى الليالى الغوابر

ولولا التقى من خشيه الموت والردى ... لعاصيت في حب الصبا كل زاجر

وكان إذا جلس للناس قال بسم الله، وبالله، وصلى الله على رسول الله، أفرأيت إن متعناهم سنين، ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون [**١] ثم تمثل بهذه الأبيات:

نسر بما يبلى، ونشغل بالمنى ... كما سر بالأحلام في النوم حالم

---

(١) تاريخ نزول القرآن، محمد رأفت سعيد ص/٣٥٢

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام أبو عبيد القاسم بن سلام ص/٣٨١

نهارك يا مغرور سهو وغفله ... وليلك نوم، والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم
ثم نصب نفسه لرد المظالم.
وبدا ببني اميه، وأخذ ما كان في ايديهم من الغصوب [٢] ، فردها على أهلها.
ودخل عليه انـاس من خاصته، فقالوا:
يا امير المؤمنين، الا تخاف غوائل قومك؟.
فقال: ابيوم سوى يوم القيامه تخوفونني؟ فكل خوف اتقيه قبل يوم القيامه لا وقيته.
فلما تم لخلافته سنتان وخمسه اشهر مات.

---

[١] الآية رقم ٢٠٥ من سوره الشعراء.
[٢] المال والعقار والضياع مما اخذوه من اصحابه غضبا وقهرا.." (١)

"[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٠ الى ٢٠١]
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١)
وأجاز الفراء «١» الجزم في «يؤمنون» لأن فيه معنى الشرط والمجازاة، زعم وحكي عن العرب: ربطت الفرس لا ينفلت بالرفع والجزم، قال: لأن معناه إن لم أربطه ينفلت. والرفع عنده بمعنى كيلا ينفلت وكيلا يؤمنوا فلما حذف «كي» رفع. وهذا الكلام كله في يؤمنون خطأ على مذهب البصريين لا يجوز الجزم لا جازم ولا يكون شيء يعمل عملا أقوى من عمله وهو موجود، فهذا احتجاج بين وإن شذ قول لبعض البصريين لم يعرج عليه إذ كان الأكثر يخالفه فيه.

[سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢٠٥]
أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥)
قال الضحاك: يعني أهل مكة.

[سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢٠٦]

---

(١) الأخبار الطوال الدينوري، أبو حنيفة ص/٣٣١

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦)

قال: يعني من العذاب والهلاك.

[سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢٠٧]

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧)

م١ الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع، ويجوز أن تكون الأولى نفيا لا موضع لها.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٨ الى ٢٠٩]

وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)

قال الكسائي: ذكرى في موضع نصب على القطع، وهذا لا يحصل، والقول فيه هو قول الفراء «٢» وأبي إسحاق أنها في موضع نصب على المصدر. قال الفراء: أي يذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لأن معنى إلا لها منذرون إلا لها مذكرون. وذكرى لا يتبين فيه الإعراب لأن فيه ألفا مقصورة، ويجوز «ذكرى» بالتنوين، ويجوز أن يكون «ذكرى» في موضع رفع على إضمار مبتدأ. قال أبو إسحاق: أي إنذارنا ذكرى. وقال الفراء: أي ذلك ذكرى وتلك ذكرى.

[سورة الشعراء (٢٦) : آية ٢١٠]

وما تنزلت به الشياطين (٢١٠)

وقرأ الحسن الشياطون «٣» وهو غلط عند جميع النحويين. قال أبو جعفر:

---

(١) انظر معاني الفراء ٢/ ٢٨٣.

(٢) انظر معاني الفراء ٢/ ٢٨٤.

(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٤٣، ومعاني الفراء ٢/ ٢٨٥، ومختصر ابن خالويه ١٠٨.." (١)

"السلام لمعاذ: «خذ من أغنيائهم ورد في فقرائهم» «١» ، وهذا المعنى هو المعني بقول الشاعر:

-٣٤٣

---

(١) إعراب القرآن للنحاس أبو جعفر النحاس ٣/١٣٢

قد يكثر المال والإنسان مفتقر

«٢» يقال: غنيت بكذا غنيانا وغناء، واستغنيت وتغنيت، وتغانيت، قال تعالى: واستغنى الله والله غني حميد [التغابن/ ٦] . ويقال: أغناني كذا، وأغنى عنه كذا: إذا كفاه. قال تعالى:

ما أغنى عني ماليه [الحاقة/ ٢٨] ، ما أغنى عنه ماله [المسد/ ٢] ، لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا [آل عمران/ ١٠] ، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [الشعراء/ ٢٠٧] ، لا تغن عني شفاعتهم [يس/ ٢٣] ، ولا يغني من اللهب [المرسلات/ ٣١] . والغانية: المستغنية بزوجها عن الزينة، وقيل: المستغنية بحسنها عن التزين.

وغني في مكان كذا: إذا طال مقامه فيه مستغنيا به عن غيره بغنى، قال: كأن لم يغنوا فيها

[الأعراف/ ٩٢] . والمغنى يقال للمصدر وللمكان، وغنى أغنية وغناء، وقيل: تغنى بمعنى استغنى وحمل قوله عليه السلام: « ... من لم يتغن بالقرآن» «٣» على ذلك.

غيب

الغيب: مصدر غابت الشمس وغيرها: إذا استترت عن العين، يقال: غاب عني كذا. قال تعالى: أم كان من الغائبين

[النمل/ ٢٠] ، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، قال: وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين

[النمل/ ٧٥] ، ويقال للشيء: غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. وقوله: عالم الغيب والشهادة [الأنعام/ ٧٣] ، أي: ما يغيب عنكم وما تشهدونه، والغيب في قوله: يؤمنون بالغيب [البقرة/ ٣] ، ما لا يقع تحت الحواس ولا

---

(١) الحديث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذا إلى اليمن، فقال: «إنك تأتي قوما أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ... » الحديث.

أخرجه البخاري في الزكاة ٣/ ٣٢٢، ومسلم في الإيمان برقم ١٩.

(٢) هذا عجز بيت وصدره:

[العيش لا عيش إلا ما قنعت به] .

وهو في التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٨٥، ونهاية الأرب ٣/ ٨٤.

(٣) الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أخرجه البخاري في التوحيد ١٣/ ٤١٨، وأحمد في المسند ١/ ١٧٢.." (١)

"عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز (١) وهو أعزب وكنت معه في بيته فلما صلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه أوى عبد الملك (٢) إلى فراشه فلما ظن أن قد نمنا قام إلى المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه ثم جعل يصلي حتى ذهب بي النوم قال فاستيقظت فإذا هو يقرأ في هذه الآية " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** " (٣) ثم بكى ثم رجع إليها ثم بكى ثم لم يزل يفعل ذلك حتى قلت سيقتله البكاء فلما رأيت ذلك قلت سبحان الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عنه فلما سمعني ألبد فلم أسمع له حسا قال وقال أنا أبو سعيد بن يونس عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قتل بقلنسوة (٤) سنة ثلاث وثلاثين في آخرين من بني أمية حملوا من مصر روى عنه عبيد الله بن أبي جعفر

٣٠٠٨ - عاصم بن بهدلة أبي النجود أبو بكر الأسدي الكوفي المقرئ (٥) صاحب القراءة المعروفة قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش قرأ عليه أبو بكر بن عياش وحماد بن أبي زياد وأبو عمر حفص بن سليمان الأسدي وأبو الوليد سلام بن سليمان الخراساني

---

(١) ما بين معكوفتين سقط من م

(٢) فوق عبد الملك في م: لعله عمر بن عبد العزيز

(٣) سورة الشعراء الآيات: ٢٠٥ - ٢٠٧

(٤) حصن قرب الرملة من أرض فلسطين (معجم البلدان) وفيه أنه قتل في هذا الموضع عاصم وجماعة (ذكرهم) من بني أمية حملوا من مصر

(٥) ترجمته في تهذيب الكمال ٩ / ٢٨٩ وتهذيب التهذيب ٣ / ٢٩ ميزان الاعتدال ٢ / ٣٥٧ والوافي بالوفيات ١٦ / ٥٤٢ سير الأعلام ٥ / ٢٥٦ تاريخ الإسلام (حوادث سنة ١٢١ - ١٤٠) ص ١٣٨

---

(١) المفردات في غريب القرآن الراغب الأصفهاني ص/٦١٦

شذرات الذهب ١ / ١٧٥ وفيات الأعيان ٣ / ٩ غاية النهاية ١ / ٣٦١ طبقات ابن سعد ٦ / ٢٢٤ ومصادر أخرى كثيرة وردت بحواشي سير الأعلام وتاريخ الإسلام والوافي." (١)

"عليها فقلت يا بني ألم تكن قد مت قال بلى استشهدت فأنا في الأحياء المرزوقين قال قلت مجئ ما جئت قال توفي عمر الليلة فنادى منادي (١) من السماء أن يتلقى جنازته جميع الأنبياء والشهداء فأنا فيهم قال فاسترجعت فلما أردت أن أنهض أومأ إلي الشيخ قال قد حفظت الرؤيا التي كنت عنها سألت ثم تلا " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جائهم ما كانوا يوعدون ما **أغنى ما كانوا يمتعون** " (٢) ثم قام إلى الصلاة وما كلمني بكلمة عداها فمضيت فلم أدرك عمر أخبرنا أبو سعد بن البغدادي أنا أبو منصور بن شكروية وأبو بكر السمسار قالا أنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن خرشيد (٣) قوله نا أبو عبد الله المحاملي نا عبد الله بن شبيب حدثني أبو بكر بن شيبة نا عبد الملك بن عبد العزيز حدثني عبد العزيز بن محمد وعلي بن عبد الله بن بعجة (٤) عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة قال بينما رجل في أندر له بالشام قال أبو سعيد الأندر البيدر يعالجه في بعض قرياته ومعه زوجته وقد كان ابن له استشهد قبل ذلك بما شاء الله إذ رأى الرجل فارسا قد أقبل فقال لامرأته ابني وابنك يا فلانة قالت له اخس عنك الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وأنت مفتون قال فأقبل على عمله واستغفر الله قال ثم نظر وأتى الفارس فقال ابنك والله يا فلانة ونظرت فقالت هو والله هو فوقف عليهما فتزهزها إلى القيام إليه فقال له أبوه أليس قد استشهدت يا بني قال بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفي في هذه الساعة من هذا اليوم واستأذن الشهداء ربهم تعالى ذكره في شهوده فكنت منهم فاستأذنته في السلام عليكما قال ثم دعا لهم وانصرف قال فمات يعني عمر بن عبد العزيز تلك الساعة وما كان لأهل القرية إلا بحديث الشيخ قال ووجد قد توفي في تلك الساعة في ذلك اليوم أنبأنا أبو محمد بن الأكفاني نا أبو محمد الكتاني أنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري أنا أبو سليمان بن زبر قال نا أبو إسحاق إبراهيم بن مروان نا مؤمل بن

---

(١) كذا بالأصل وم وز منادي باثبات ياء المنقوص

(٢) سورة الشعراء الآية: ٢٠٥ – ٢٠٧

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥/ ٢٢٠

(٣) في " ز ": خورشيد

(٤) الحرف الأول في الأصل وم بدون إعجام أعجمت اللفظة عن " ز ". [١]

"لقاء الحسن فقالت كاتب عمر بن عبد العزيز قلت لها نعم قالت شقي ما بقاؤك (١) إلى هذا الزمان السوء قال فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا فقال ميمون يا أبا سعيد إني قد أنست من قلبي غلظة (٢) لي منه فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** " (٣) قال فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة فأقام طويلا ثم أفاق فجاءت الجارية فقالت قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا فأخذت بيداي فخرجت به ثم قلت له يا أبتاه هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا قال فوكز في صدري ثم كره ثم قال يا بني لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها لألفى لها فيها كلوما أخبرنا أبو الحسن الغساني أخبرنا أبو الحسن السلمي أنا جدي أنا الخرائطي نا أبو منصور الصاغاني نصر بن داود حدثنا يحيى بن يوسف الزمي (٤) حدثنا أبو ا لمليح قال قال ميمون بن مهران إن الظالم والمعين على الظالم والمحب له سواء أخبرنا محمد بن طاووس أخبرنا علي بن محمد بن محمد أنا علي بن محمد بن بشران أنا أبو علي (٦) بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى العبدي عن أبي المليح عن ميمون بن مهران قال التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص ومن شريك صحيح (٧) قال وحدثنا ابن أبي الدنيا حدثني سريج (٨) بن يونس حدثنا سليمان بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه (٩)

---

(١) في " ز ": ما أبقاك

(٢) رسمها بالاصل: " فاستأنست " وفي " ز ": " فاساءنا منه " وفي د: " فاستا لي " وفي م: " فاستنام منه "

(٣) سورة الشعراء الاية: ٢٠٥ - ٢٠٧

(٤) تهذيب الكمال ١٨ / ٥٥٠

(٥) ما بين معكوفتين سقط من الاصل ومكانه بياض في " ز " وم وكتب على هامش " ز ": مقطوع والمستدرك عن د وتهذيب الكمال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٥٨/٤٥

(٦) ما بين معكوفتين سقط من الاصل واستدرك عن د ومكانه بياض في م ومكان " أنا أبو علي " بياض في " ز "

(٧) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وم واستدرك للايضاح عن د و " ز "

(٨) الاصل ود و " ز " وم: شريح

(٩) تهذيب الكمال ١٨ / ٥٥٠." (١)

"أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أبو القاسم الخلال أنا أبو أحمد طالب بن عثمان الأزدي ح وأخبرنا أبو سعد بن البغدادي أنا محمد بن أحمد بن شكرويه ومحمد بن أحمد السمسار قالا نا إبراهيم بن عبد الله قالا (١) نا الحسين بن إسماعيل المحاملي نا أبو الأشعث نا حماد بن يزيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار قال رأيت حسان بن ثابت وله ناصية قد سدلها بين عينيه وقال إبراهيم بين يديه أنبأنا أبو محمد (٢) بن السمرقندي وعلي بن بركات الخشوعي قالا (٣) ثنا أبو بكر الخطيب أنبأ ابن بشران أنبأ ابن صفوان نا ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن العباس حدثنا عبيد الله بن عمر نا حماد بن زيد نا يزيد بن حازم قال كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة ويقول في خطبته ألا إن أهل الدنيا فيها على وجل لم تمض بهم نية ولم تطمئن بهم دار حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وكذلك لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها يتقى شرار أهلها ثم يقرأ " أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٤) " أخبرنا أبو البركات بن المبارك أنا أحمد بن الحسن أنبأ أبو محمد بن رباح أنا أبو بكر المهندس نا أبو بشر الدولابي ثنا معاوية بن صالح قال سمعت يحيى يقول في تسمية أهل البصرة يزيد بن حازم أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع أنا أبو عمرو بن منده أنا أبو محمد بن يوة أنا أبو الحسن اللنباني (٥) نا أبو بكر بن أبي الدنيا قال نا محمد بن سعد قال (٦) في الطبقة الرابعة يزيد بن حازم الأزدي قرأت على أبي غالب بن البنا عن أبي محمد الجوهري (٧) أنا أبو عمر بن حيوية أنا

(١) قوله: " بن عبد الله قالا " مكانه بياض في " ز "

(٢) كذا بالاصل وم وفي " ز ": القاسم

(٣) كتبت فوق الكلام في " ز "

(٤) سورة الشعراء الايات ٢٠٥ - ٢٠٧

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٥٣/٦١

تحرفت بالاصل و " ز " إلى: اللبناني بتقديم الباء وبدون إعجام في م

(٦) الخبر برواية ابن أبي الدنيا ليس في الطبقات الكبرى لابن سعد

(٧) زيد بعدها في " ز ": وحدثنا عمي رحمه الله أنا أبو غالب أنا الجوهري قراءة." (١)

"عبد الملك، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قال: يا بني أقيل، قال: تقيل ولا ترد المظالم، فقال: أي بني [١] إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر رددت المظالم، قال: يا أمير المؤمنين، من لك أن تعيش إلى الظهر، قال: أدن مني أي بني.

فدنا منه فالتزمه وقبل بين عينيه وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني، فخرج ولم يقل.

أخبرنا [٢] ابن ناصر، عن أبي القاسم وأبي عمر ابني عبد الله بن منده، عن أبيهما، قال: حدثنا أبو سعيد بن يونس، قال: حدثنا محمد بن نصر بن القاسم، قال:

حدثنا أحمد بن عمرو بن السراج [٣] ، قال: حدثنا ابن وهب، قال: حدثني [٤] الليث بن سعد، قال: حدثنا عبد الله [٥] بن أبي جعفر، عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان:

أنه وفد على سليمان بن عبد الملك. قال: فنزلت على عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وهو عزب، فكنت معه في بيته، فلما صلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه، فلما ظن أن قد نمنا قام [إلى] [٦] المصباح فأطفأه وأنا أنظر إليه، ثم جعل يصلي حتى ذهب النوم. قال: فاستيقظت وهو يقرأ: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون ٢٦**: ٢٠٥- ٢٠٧ [٧] . ثم بكى ثم رجع إليها ثم بكى ثم لم يزل يفعل حتى قلت سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: سبحان الله والحمد لله، كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عنه، فلما سمعني ألبد فلم أسمع له حسا.

أخبرنا عبد الوهاب ويحيى بن علي، قالا: أخبرنا عبد الله بن أحمد السكري، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الصلت، قال: حدثنا [٨] حمزة بن القاسم الهاشمي،

---

[١] في ت: «يا بني» .

[٢] في ت: «أنبأنا» .

[٣] «ابن السراج» : ساقطة من ت.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٤٥/٦٥

[٤] في ت: «حدثنا» .

[٥] في الأصل: «عن عبد الله» . أوردناه من ت.

[٦] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، أوردناه من ت.

[٧] سورة: الشعراء، الآية: ٢٠٥.

[٨] في ت: «أخبرنا» .." (١)

"أي الأشعريون، وواحده أعجمي، ولا يجوز أن يكون جمع أعجم؛ لأن مؤنثه عجماء؛ ومثل هذا لا يجمع جمع التصحيح.

قال تعالى: (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠)) .

قوله تعالى: (سلكناه) : قد ذكر مثله في الحجر. والله أعلم.

قال تعالى: (فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣)) .

قوله تعالى: (فيأتيهم) ، (فيقولوا) : هما معطوفان على «يروا» .

قال تعالى: (ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)) .

قوله تعالى: (ما أغنى عنهم) : يجوز أن يكون استفهاما، فتكون «ما» في موضع نصب، وأن يكون نفيا؛ أي ما أغنى عنهم شيئا.

قال تعالى: (ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩)) .

قوله تعالى: (ذكرى) : يجوز أن يكون مفعولا له، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي الإنذار ذكرى.

قال تعالى: (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣)) .

قوله تعالى: (يلقون) : هو حال من الفاعل في «تنزل» .

قال تعالى: (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥)) .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٥٩/٧

قوله تعالى: (يهيمون) : يجوز أن يكون خبر «أن» فيعمل في «في كل واد» وأن يكون حالا، فيكون الخبر «في كل واد»

. قال تعالى: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)) .

قوله تعالى: (أي منقلب) : هو صفة لمصدر محذوف، والعامل «ينقلبون» أي ينقلبون انقلابا؛ أي منقلب؛ ولا يعمل فيه «يعلم» لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله. والله أعلم.." (١)

"الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: يا شقي ما بقاك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ، فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه، فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد إني (١) قد آنست من قلبي غلظة، فاستلن لي منه، فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم (أفرأيت إن متعناهم سنين. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) (٢) قال: فسقط الشيخ، فرأيته يفحص برجله ما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلا، ثم أفاق فجاءت الجارية، فقالت: قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به، ثم قلت له: يا أبتاه هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكثر من هذا. قال: فوكز (٣) في صدري، ثم قال: يا بني لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها بقلبك لألفي لصافيه كلوم.

أخبرنا بذلك أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري: قال: أنبأنا القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المندائي الواسطي في كتابه إلينا من واسط، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن علي ابن المزرفي، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد ابن علي ابن المهتدي بالله، قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن أحمد بن القاسم بن جامع الدهان، قال: حدثنا أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري الحافظ، قال:

---

(١) قوله: اني" ليست في المطبوع من الحلية.

(٢) الشعراء (٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧) .

(٣) في المطبوع من الحلية: فوكزني".." (٢)

---

(١) التبيان في إعراب القرآن العكبري، أبو البقاء ١٠٠٢/٢

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ٢٢٥/٢٩

"وعن الشعبي قال: حج سليمان، فرأى الناس بالموسم، فقال لعمر بن عبد العزيز: أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله ولا يسع رزقهم غيره؟ قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدا خصماؤك فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال: بالله أستعين.

وقال حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم قال: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة، لا يدع أن يقول: أيها الناس إنما أهل الدنيا على رحيل لم تمض بهم نية ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي وعد الله وهم على ذلك. لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها، ولا يتقى من شر أهلها، ثم يقرأ: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون ٢٦**: ٢٠٥- ٢٠٧ [١] .

وعن ابن سيرين قال: يرحم الله سليمان بن عبد الملك، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لوقتها، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز.

وكان سليمان ينهى عن الغناء، وقيل كان من الأكلة المذكورين، فذكر محمد بن زكريا الغلابي- وليس بثقة- ثنا محمد بن عبد الرحيم القرشي عن أبيه، عن هشام بن سليمان قال: أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة تشوى له على النار على صفة الكباب، وأكل أربعا وثمانين كلوة بشحومها وثمانين جردقة [٢] .

وقال محمد بن حميد الرازي، عن ابن المبارك: أن سليمان حج فأتى الطائف، فأكل سبعين رمانة وخروفا وست دجاجات، وأتي بمكوك [٣] زبيب طائفي، فأكله أجمع.

وعن عبد الله بن الحارث قال: كان سليمان بن عبد الملك أكولا.

---

[١] سورة الشعراء، الآيات ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧.

[٢] جردقة: جمعها جرادق. وهو: الرغيف. (فارسي)

[٣] مكوك: مكيال يسع صاعا ونصف الصاع.." (١)

"وإني أوصيه أن يصرف هذا المهم همته وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويراقب سريرته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله وإصداره وإيراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد أو هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحا منغصا مشوبا بالكدورات مشحونا بالهموم والغموم ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله

فليفتح عن بصيرته لتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٧٩/٦

وليتدبر ما هو بصدده

فإن كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرة أهلكها الله تعالى وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمارتها

وإن كان مقبلا على استخراج ماء وعمارة نهر فليفكر كم من بئر معطلة وقصر مشيد بعد عمارتها

وإن كان مهتما بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها

وإن كان معتنيا بعمارة الحدائق البساتين فليعتبر ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة﴾ الآية وليقرأ قوله ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾." (١)

"حكما، واجعلوه لكم قائدا (١) ، فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتاب بعده.

اعلموا عباد الله إن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس إدبار الليل إذا عسعس.

وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم.

قال: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته: وإنما أهل الدنيا على رحيل، لم تمض لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك، كذلك لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها ولا تبقى من شر أهلها ثم يتلو (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) [العشراء: ٢٠٥] وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان [كان] : آمنت بالله مخلصا، وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري.

قال: كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك، ويقول: افتتح خلافته بخير وختمها بخير، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن

عبد العزيز.

قد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة، قال الهيثم ابن عدي قال

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٦/٢٦٢

الشعبي: حج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز: ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره، فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم، وهم غدا خصماؤك عند الله، فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال: بالله أستعين.

وقال ابن أبي الدنيا: ثنا إسحاق بن إسماعيل، ثنا جرير، عن عطاء بن السائب.

قال: كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة، حتى فزعوا لذلك، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك، فقال له سليمان: ما يضحكك يا عمر؟ أما ترى ما نحن فيه؟ فقال له: يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما نرى، فكيف بآثار سخطه وغضبه؟ ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله: الصمت منام العقل والنطق يقظته، ولا يتم هذا إلا بهذا.

ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقه ثم فتشه فلم يحمد عقله، فقال: فضل منطق الرجل على عقله خدعة، وفضل عقله على منطقه هجنة، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضا وقال: العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه، وقال أيضا: إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن، وليس كل من سكت فأحسن قادرا على أن يتكلم فيحسن.

ومن شعره يتسلى عن صديق له مات فقال:

---

(١) في مروج الذهب: واجعلوا لكم هاديا ودليلا.

(*)."(١)

"ميمون إمام أهل الجزيرة.

روى الطبراني عنه أنه قيل له: مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى؟ قال: لأني لا أماريه ولا أشايه.

قال عمر بن ميمون: ما كان أبي يكثر الصلاة ولا الصيام، ولكن كان يكره أن يعصى الله عزوجل.

وروى ابن أبي عدي عن يونس عنه قال: لا تمارين عالما ولا جاهلا، فإنك إن ماريت عالما حزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك.

وقال عمر بن ميمون: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررنا بجدول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده.

ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت إلينا جارية سداسية، فقالت: من هذا؟ فقلت: هذا ميمون

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٠٣/٩

بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم! قالت: يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟: قال: فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد! إني قد أنست من قلبي غلظة فاستكن لي منه، فقرأ الحسن: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون.

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) [الشعراء: (٢٠٥ - ٢٠٧)] فسقط الشيخ مغشيا عليه، فرأيته يفحص برجليه كما تفحص الشاة إذا ذبحت، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت فقلت: يا أبت أهذا هو الحسن؟ قال: نعم.

قلت: قد كنت أحسب في نفسي أنه أكبر من هذا، قال: فوكز في صدري وكزة ثم قال: يا بني لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كلوما.

وروي الطبراني عنه أنه قال: ما أحب أني أعطيت درهما في لهو وأن لي مكانه مائة ألف، أخشى أن تصيبني هذه الآية: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية: [لقمان: ٦] وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قمت قال عمر: إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس إلا مجاجة (١) .

وروى الإمام أحمد عن معمر بن سليمان الرقي، عن فرات بن سليمان، عن ميمون بن مهران قال: ثلاث لا تبلون نفسك بهن: لا تدخل على سلطان وإن قلت آمره بطاعة الله، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك

من هواه.

وروى عبد الله بن أحمد عنه في قوله تعالى: (إن جهنم كانت مرصادا) [النبأ: ٢١] و (إن ربك لبالمرصاد) [الفجر: ١٤] فقال: التمسوا هذين المرصادين جوازا.

وفي قوله تعالى: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) [ابراهيم: ٤٢] فيها وعيد شديد للظالم، وتعزية للمظلوم.

وقال: لو أن أهل القرآن صلحوا لصلح الناس.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثنا عيسى بن سالم الشاشي، حدثنا أبو المليح قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: لا خير في

---

(١) في رواية تذكرة الحفاظ عن جعفر ١ / ٩٩: صار الناس رجراجة.
(*)."[١]

"على رحيل، لم تمض بهم نية، ولم تطمئن لهم دار حتى يأتي أمر وعد الله وهم على ذلك كذلك لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، ولا يتقى من شر أهلها ثم يتلو: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥]
[الشعراء: ٢٠٥ ٢٠٧] .

وروى الأصمعي أن نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصا.

وقال أبو مسهر، عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري قال: قال محمد بن سيرين: يرحم الله سليمان بن عبد الملك، افتتح خلافته بخير، وختمها بخير؛ افتتحها بإحيائه الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز

قد أجمع علماء السير والتواريخ أنه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة.

قال الهيثم بن عدي قال الشعبي: حج سليمان بن عبد الملك، فلما." [٢]

"في جماعة من أهل بيته، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير، حين قدم عليه من بلاد المغرب، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عون الأسدي. قال: أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال: الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع، ومن شاء أعطى ومن شاء منع. إن الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، وزينة تقلب، تضحك باكيا وتبكي ضاحكا، وتخيف آمنا وتؤمن خائفا، تفقر مثريها، وتثري فقيرها، ميالة لاعبة بأهلها. يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما، وارضوا به حكما، واجعلوه لكم قائدا، فإنه ناسخ لما قبله، ولن ينسخه كتاب بعده. اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس إدبار الليل إذا عسعس. وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم. قال: كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٤٤/٩

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٤٣/١٢

في خطبته: وإنما أهل الدنيا على رحيل، لم تمض لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وهم على ذلك، كذلك لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها ولا تبقى من شر أهلها ثم يتلو أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون ٢٦**: ٢٠٥- ٢٠٧ وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان [كان] : آمنت بالله مخلصا، وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري. قال: كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك، ويقول:

افتتح خلافته بخير وختمها بخير، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز. وقد أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة، قال الهيثم ابن عدي قال الشعبي: حج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز:

ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددها إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره، فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم، وهم غدا خصماؤك عند الله، فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال: بالله أستعين.

وقال ابن أبي الدنيا: ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب. قال: كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة، حتى فزعوا لذلك، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك، فقال له سليمان: ما يضحكك يا عمر؟ أما ترى ما نحن فيه؟ فقال له: يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمته فيها شدائد ما ترى، فكيف بآثار سخطه وغضبه؟

ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله: الصمت منام العقل والنطق يقظته، ولا يتم هذا إلا بهذا. ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقه ثم فتشه فلم يحمد عقله، فقال: فضل منطق الرجل على عقله خدعة." (١)

"في الطاعون- يعني في هذه السنة- وعمره ست أو سبع وخمسون سنة.

[قال قتادة: من وثق بالله كان الله معه، ومن يكن الله معه تكن معه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل، والعالم الذي لا ينسى. وقال. في الجنة كوة إلى النار فيقولون: ما بال الأشقياء دخلوا النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم، فقالوا: إنا كنا نأمركم ولا نأتمر، وننهاكم ولا ننتهي. وقال: باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح دينه وصلاح الناس، أفضل من عبادة حول كامل. وقال قتادة: لو كان يكتفى من العلم بشيء لاكتفي موسى عليه السلام بما عنده، ولكنه طلب الزيادة] [١] وفيها توفي: أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج، وابن أبي مليكة، وعبد الله بن أبى زكريا الخزاعي، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٧٩/٩

[فصل

فأما سعيد بن يسار فكان من العباد الزهاد، روى عن جماعة من الصحابة، وكذلك الأعرج وابن أبي مليكة.

وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم. كان ميمون إمام أهل الجزيرة.

روى الطبراني عنه أنه قيل له: مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى؟ قال:

لأني لا أماريه ولا أشاريه. قال عمر بن ميمون: ما كان أبي يكثر الصلاة ولا الصيام، ولكن كان يكره أن يعصى الله عز وجل. وروى ابن أبي عدي عن يونس عنه قال: لا تمارين عالما ولا جاهلا، فإنك إن ماريت عالما خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك. وقال عمر بن ميمون:

خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررنا بجدول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده. ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت إلينا جارية سداسية، فقالت: من هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم! قالت: يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟:

قال: فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد! إني قد أنست من قلبي غلظة فاستكن لي منه، فقرأ الحسن: أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون. ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون ٢٦**: ٢٠٥- ٢٠٧ فسقط الشيخ مغشيا عليه، فرأيته يفحص برجليه كما تفحص الشاة إذا ذبحت، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ، قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت فقلت: يا أبت أهذا هو الحسن؟ قال: نعم. قلت: قد كنت أحسب في

---

[١] زيادة من المصرية.." (١)

"وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن عاصم بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان قال: وفدت إلى سليمان بن عبد الملك ومعنا عمر بن عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك بن عمر وهو عزب، فكنت معه في بيت، فصلينا العشاء وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفاه وأنا أنظر إليه، ثم قام يصلي حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٩/٣١٤

الآية: (أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧) ..

فيبكي ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل." (١)

"الفرقان والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي الآية قال مشركو أهل مكة قد قتلنا النفس بغير حق ودعونا مع الله ألها آخر وأتينا الفواحش فنزلت إلا من تاب الآية

سورة الشعراء

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جهضم قال رؤي النبي صلى الله عليه وسلم كأنه متحير فسألوه عن ذلك فقال ولم؟ وأريت عدوي يكون من أمتي بعدي فنزلت أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** [٢٠٥] فطابت نفسه وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله والشعراء يتبعهم الغاوون الايات واخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه وأخرج عن عروة قال لما نزلت والشعراء إلى قوله ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة قد علم الله أني منهم فأنزل الله إلا الذين آمنوا إلى آخر السورة وأخرج ابن جرير والحاكم عن ابي حسن البراد قال لما نزلت والشعراء [٢٢٥] الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فقالوا يا رسول الله والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء هلكنا فأنزل الله إلا الذين آمنوا الآية فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم." (٢)

"أفبعذابنا يستعجلون أي يطلبونه قبل أوانه وذلك قولهم: أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. وقولهم:

فائتنا بما تعدنا ونحوهما أفرأيت أي فاخبر إن متعناهم سنين أي مدة من الزمان بطول الأعمال وطيب المعاش أو عمر الدنيا على ما روي عن عكرمة. وعبر عن ذلك بما ذكر إشارة إلى قلته ثم جاءهم ما كانوا يوعدون أي الذين كانوا يوعدونه من العذاب ما أغنى عنهم أي أي شيء أو أي غناء أغنى **عنهم ما كانوا**

---

(١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور برهان الدين البقاعي ٢/٣٣٠

(٢) لباب النقول السيوطي ص/١٤٩

يمتعون أي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على أن ما مصدرية كما هو الأولى أو الذي كانوا يمتعونه من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها. وأيا ما كان فالاستفهام للنفي والإنكار.
وقيل: ما نافية أي لم يغن عنهم ذلك في دفع العذاب أو تخفيفه، والأول أولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآكده وفي ربط النظم الكريم ثلاثة أوجه كما في الكشاف، الأول أن قوله سبحانه: أفرأيت إلخ متصل بقوله تعالى: هل نحن منظرون وقوله جل وعلا: أفبعذابنا يستعجلون معترض للتبكيت وإنكار أن يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها، والمعنى على هذا كما في الكشف أنه لما ذكر أنهم لا يؤمنون دون مشاهدة العذاب قال سبحانه: إن هذا العذاب الموعود وإن تأخر أياما قلائل فهو لاحق بهم لا محالة وهنالك لا ينفعهم ما كانوا فيه من الاغترار المثمر لعدم الإيمان، وأصل النظم الكريم لا يؤمنون حتى يروا العذاب وكيت وكيت فإن متعناهم سنين ثم جاءهم هذا العذاب الموعود فأي شيء أو فأي غناء يغني عنهم تمتيعهم تلك الأيام القلائل فجيء بفعل الرؤية والاستفهام ليكون في معنى أخبر إفادة لمعنى التعجب والإنكار وأن من حق هذه القصة أن يخبر بها كل أحد حتى يتعجب.
ووسط أفبعذابنا يستعجلون للتبكيت والهمزة فيه للإنكار، وجيء بالفاء دلالة على ترتبه على السابق كأنه لما وصف العذاب قيل: أيستعجل هذا العذاب عاقل. وفي الإرشاد اختيار أن قوله تعالى: أفرأيت متصل بقوله سبحانه: هل نحن منظرون وجعل الفاء لترتيب الاستخبار على ذلك القول وهي متقدمة على الهمزة معنى وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة وإن أفبعذابنا يستعجلون معترض للتوبيخ والتبكيت وجعل الفاء فيه للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون إلخ، وصاحب الكشف بعد أن قرر كما ذكرنا قال: إن العطف على مقدر في هذا الوجه لا وجه له، ولعل المنصف يقول: لكل وجهة.
والثاني أن قوله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون كلام يوبخون به يوم القيامة عند قولهم فيه هل نحن منظرون حكى لنا لطفا ويستعجلون عليه في معنى استعجلتم إذ كذلك يقال لهم ذلك اليوم، وكأن أمر الترتيب أو العطف على مقدر، وارتباط أفرأيت إلخ بقولهم: هل نحن منظرون على نحو ما تقدم في الوجه السابق.
والثالث أن قوله تعالى: أفبعذابنا يستعجلون متصل بما بعده غير مترتب على ما قبله وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة. وأمن فقال

عز وجل:

أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل ثم قال سبحانه: هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم.

وعلى هذا يكون فبعذابنا إلخ عطفا على مقدر بلا خلاف نحو أيستهزئون فبعذابنا يستعجلون.." (١)

"القاعدة الرابعة والأربعون: علاج ميل النفوس إلى ما لا ينبغي

عند ميل النفوس أو خوف ميلها إلى ما لا ينبغي، يذكرها الله ما يفوتها من الخير، وما حصل لها من الضرر بهذا الميل.

وهذا في القرآن كثير، وهو من أنفع الأشياء في حصول الاستقامة، لأن الأمر بالمعروف والنهي المجرد لا يكفي أكثر الخلق في كفهم عما لا ينبغي، حتى يقرن بذلك ما يفوت من المحبوبات التي تزيد أضعافا مضاعفة على الذي يكرهه الله، وتميل إليه النفس، وما يحصل من المكروه المرتب عليه كذلك.

قال تعالى: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ، [الأنفال: ٢٨] ، فهنا لما ذكر فتنة الأموال والأولاد التي مالت بأكثر الخلق عن طريق الاستقامة، قال مذكرا لهم ما يفوتهم إن افتتنوا بها، وما يحصل لهم إن سلموا من فتنتها ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ ، [الأنفال: ٢٨] ،.

وقال تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل اللہ عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا﴾ ، [النساء: ١٠٩] ، وقال تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ ، [الشورى: ٢٠] ، وقوله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ﴿٢٠٥﴾ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ﴿٢٠٦﴾ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ ، [الشعراء: ٢٠٥- ٢٠٧] ،.

والآيات في هذا المعنى الجليل كثيرة جدا. فإذا بان للناظر أصلها وقاعدتها سهل عليه تنزيل كل ما يرد منها على الأصل المقرر، والله أعلم.." (٢)

"عما جبلوا عليه، لأنهم طبعوا على ذلك، قال تعالى: (فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الآية ٢٩ من سورة الروم في ج ٢ فالمؤمنون لا يكفرون مهما كان منهم، والكافرون لا يؤمنون

---

(١) تفسير الألوسي = روح المعاني الألوسي، شهاب الدين ١٢٨/١٠

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن عبد الرحمن السعدي ص/١١٨

مهما كان منهم، لأنه لا بد وأن يوفق كل منهم أن يموت على ما خلق له من إيمان وكفر ولهذا قال تعالى «لا يؤمنون به» أولئك الكفرة «حتى يروا العذاب الأليم» ٢٠١ الذي لا دافع له فيكون إيمانهم إيمان يأس وهو غير مقبول كما تقدم في الآية ١٥٧ المارة، وهذه الآيات على حد قوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) الآية ١٨ من سورة الأنعام في ج ٢ «فيأتيهم بغتة» ذلك العذاب الفظيع المؤلم «وهم لا يشعرون» ١٠٢ به ولا بوقت إتيانه، لأنه على حين غرة وغفلة بوقت لا يتوقعونه، وإذ ذاك «فيقولوا هل نحن منظرون» ٢٠٣ لنؤمن ونصدق وهيهات رجوع مافات، لأن عذاب الله إذا جاء لا يؤخر كما أنه لا يقدم عن الوقت المقدر لنزوله،

ويقال لهم «أفبعذابنا يستعجلون» ٢٠٤ وهو آتيهم لا محالة، قال نفر من قريش حتى يأتينا هذا العذاب الذي يوعدنا به محمد فنزلت الآية الآنفة، قال تعالى يا سيد الرسل «أفرأيت إن متعناهم سنين» ٢٠٥ كثيرة في هذه الدنيا وما فيها من النعم «ثم جاءهم ما كانوا يوعدون» ٢٠٦ به من العذاب الذي تهددهم به (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ٢٠٧ فيها شيئا من ذلك العذاب وما هو براد عنهم شيئا وكأنهم لم يكونوا رأوا شيئا من طول العمر وطيب العيش في الدنيا «وما أهلكنا من قرية» فيما سبق من الأمم الباقية «إلا لها منذرون» ٢٠٨ من قبلنا يخوفونهم عذابنا إن لم يؤمنوا بهم، فلم يفعلوا وكان إرسال الرسل إليهم «ذكرى» لئلا يقولوا (ما جاءنا نذير) الآية ٤١ من المائدة في ج ٣ فتلزمهم الحجة وإلا فالله تعالى يعلم من يؤمن ومن يكفر قبل إرسال الرسل بل قبل إيجادهم وهو قادر على إهلاكهم دون ذلك، ولكن ليظهر لأمثالهم أن عذابهم كان بسبب كفرهم وما كنا ظالمين» ١٠٩ في تعذيب أحد لأنا تقدمنا إليهم بالمعذرة، وقدمنا لهم الحجة، هذا وإن نفرا من المشركين لما رأوا محمدا يخبرهم بما غاب عنه مما يتقولونه." (١)

"٢ - وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسؤولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (القيامة:٣٦).

٣ - وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارة في الدنيا، وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (سورة الشعراء:

٢٠٥ - ٢٠٧).

٤ - وأن الناس مع زوال الدنيا، واستقرارهم في الجنة، أو في النار، سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال

---

(١) بيان المعاني ملا حويش ٢٩٨/٢

والشدائد: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد .. ﴾ (سورة الحج: ١ – ٢). وقال تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا، السماء منفطر به كان وعده مفعولا﴾ (سورة المزمل: ١٧ – ١٨).

٥ – وسبيل النجاة من شر هذه الأهوال، ومن تلك الشدائد، والظفر بالجنة والبعد عن النار (١)، بالإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات ابتغاء مرضاته: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ (سورة البروج: ١١).

ومضى العلماء الربانيون في الدولة العثمانية على منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – في تبصير الأفراد والجنود والقادة والشعب بدورهم ورسالتهم في الأرض، ومنزلتهم ومكانتهم عند الله وظلوا على هذه الحال من التبصير والتذكير حتى انقدح في ذهنهم، مالهم عند الله، ومادورهم ورسالتهم في الأرض، وتأثرا بهذه التربية الحميدة تولدت الحماسة والعزيمة في نفوس الأفراد والجنود والقادة فهذا محمد الفاتح نفسه الذي تربى على هذا المنهج يفتخر بهذه المعاني والقيم في أشعاره فنجده يقول:

وحماسي: بذل الجهد لخدمة ديني، دين الله.

---

(١) انظر: منهج الرسول في غرس الروح الجهادية، ص١٩ الى ٣٤.." (١)

". وأن كل الخلق إلى الله راجعون، وعن أعمالهم مسئولون ومحاسبون وفي الجنة أو في النار مستقرون، "أيحسب الإنسان أن يترك سدى" (القيامة، آية: ٦٣).

. وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارته في الدنيا وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا: "أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" (الشعراء، آيات: ٢٠٥ . ٢٠٧)، "كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية" (الحاقة، آية: ٢٤).

. وأن الناس مع زوال الدنيا واستقرارهم في الجنة، أو في النار سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال والشدائد "يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم * يوم يرونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" (الحج، آيات: ١ . ٢)، وقال تعالى: "وكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا * السماء منفطر به كان وعده مفعولا"

---

(١) فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح علي محمد الصلابي ص/١٢٩

(المزمل، آيات: ١٧ ـ ١٨).

ـ وسبيل النجاة من شر هذه الأهوال ومن تلك الشدائد والظفر بالجنة والبعد عن النار (١)، وبالإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات إبتغاء مرضاته "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير" (البروج، آية: ١١).

ـ ومضى صلى الله عليه وسلم كذلك يبصرهم ويذكرهم بدورهم ورسالتهم في الأرض، ومنزلتهم ومكانتهم عند الله، وظل صلى الله عليه وسلم معهم على هذه الحال من التبصير والتذكير حتى انقدح في ذهنهم ما لهم عند الله وما دورهم ورسالتهم في الأرض، وتأثرا بتربيته الحميدة تولدت الحماسة والعزيمة في نفوس أصحابه فانطلقوا عاملين بالليل والنهار بكل ما في وسعهم وما في طاقتهم دون كسل أو توان، ودون كلل أو ملل، ودون خوف من أحد إلا من الله، ودون طمع من مغنم إلا أداء هذا الدور وهذه الرسالة، لتحقيق السعادة في الدنيا والفوز والنجاة في الآخرة (٢).

---

(١) منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في غرس الروح الجهادية صـ١٩ ـ ٣٤.

(٢) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية صـ٣٧.." (١)

"باب الميم ما امنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون ٦ ك الأنبياء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ٩١ ك المؤمنون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ٥٧ ك الذاريات ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ٥١ ك الكهف ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ١١ د التغابن ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ٢٢ د الحديد ما أصابك من حسنة فمن الله ٧٩ د النساء ما أغنى عني ماليه ٢٨ ك الحاقة ما أغنى عنه ماله وما كسب ٢ ك المسد ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون ٢٠٧** ك الشعراء ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ٧ د الحشر ما الحاقة ٢ ك الحاقة ما القارعة ٢ ك القارعة ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ٧٥ د المائدة ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ١٥٤ ك الشعراء ما أنت بنعمة ربك بمجنون ٢ ك القلم ما أنتم عليه بفاتنين ١٦٢ ك الصافات ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ٢ ك طه." (٢)

---

(١) المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار علي محمد الصلابي ص/

(٢) معجم آيات القرآن حسين نصار ص/١٥٢

"عبد العزيز، فنزلت على ابنه عبد الملك وهو عزب، فكنت معه في بيت فصلينا العشاء، وأوى كل رجل منا إلى فراشه، ثم قام عبد الملك إلى المصباح فأطفأه، ثم قام يصلي، حتى ذهب بي النوم، فاستيقظت فإذا هو في هذه الآية: ((أفرأيت إن متعناهم سنين * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** ..)) (الشعراء، الآيتان: ٢٠٥ ـ ٢٠٦). فبكى، ثم يرجع إليها، فإذا فرغ منها فعل مثل ذلك، حتى قلت: سيقتله البكاء، فلما رأيت ذلك قلت: لا إله إلا الله والحمد لله كالمستيقظ من النوم لأقطع ذلك عليه، فلما سمعني سكت فلم أسمع له حسا (١) رحمه الله.

٢ ـ علمه وفقهه وفهمه: جمع عمر بن عبد العزيز الناس واستشارهم في رد مظالم الحجاج، فكان كلما استشار رجلا قال له: يا أمير المؤمنين، ذاك أمر كان في غير سلطانك ولا ولايتك، فكان كلما قال له رجل ذلك أقامه، حتى خلص بابنه عبد الملك، فقال له ابنه عبد الملك: يا أبه ما من رجل استطاع أن يرد مظالم الحجاج إن لم يردها أن يشركه فيها. فقال عمر: لولا أنك ابني، لقلت أنك أفقه الناس، وهذا الذي قاله عبد الملك، ومدحه عليه أبوه، وهو الصواب، فإن الإمام إذا قدر على رد مظالم من قبله من الولاة وجب عليه وهو ذلك بحسب الاستطاعة (٢).

وقد كان عمر بن عبد العزيز وأبنه عبد الملك من العلماء الذين جمعوا بين العلم بالله الذي يقتضى خشيته ومحبته والتبتل إليه، وبين العلم بالله الذي يقتضي معرفة الحلال والحرام والفتاوى والأحكام (٣).

٣ ـ تذكيره والده بالموت: مات ابن لعمر بن عبد العزيز، فجاء عمر فقعد عند رأسه، وكشف الثوب عن وجهه فجعل ينظر إليه ويستدمع، فجاء عبد الملك ابنه فقال: أشغلك يا أمير ما أقبل من الموت إليك؟ بل هو في شغل عما حل لديك، فكأن قد لحقت به وساويته تحت التراب بوجهك. فبكى عمر ثم قال: رحمك الله يا بني، فوالله، إنك لعظيم البركة ما علمتك على أبيك نافع الموعظة

---

(١) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٤٧٩).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٤٨١).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٤٨١).." (١)

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة علي محمد الصلابي ١٦٥/١

"٢٠٧ - ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾

جملة «ما أغنى» مفعول ثان لـ «أرأيت» المتقدمة، «ما» اسم استفهام مفعول به مقدم لـ «أغنى» ، «ما» الثانية مصدرية، والمصدر فاعل «أغنى» .." (١)

"٣ - وأن نعيم الجنة ينسي كل تعب ومرارة في الدنيا، وكذلك عذاب النار ينسي كل راحة وحلاوة في هذه الدنيا: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ (سورة الشعراء:

٢٠٥ - ٢٠٧).

٤ - وأن الناس مع زوال الدنيا، واستقرارهم في الجنة، أو في النار، سيمرون بسلسلة طويلة من الأهوال والشدائد: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد .. ﴾ (سورة الحج: ١ - ٢). وقال تعالى: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا، السماء منفطر به كان وعده مفعولا﴾ (سورة المزمل: ١٧ - ١٨).

٥ - وسبيل النجاة من شر هذه الأهوال، ومن تلك الشدائد، والظفر بالجنة والبعد عن النار (١)، بالإيمان بالله تعالى وعمل الصالحات ابتغاء مرضاته: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير﴾ (سورة البروج: ١١).

ومضى العلماء الربانيون في الدولة العثمانية على منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تبصير الأفراد والجنود والقادة والشعب بدورهم ورسالتهم في الأرض، ومنزلتهم ومكانتهم عند الله وظلوا على هذه الحال من التبصير والتذكير حتى انقدح في ذهنهم، مالهم عند الله، ومادورهم ورسالتهم في الأرض، وتأثرا بهذه التربية الحميدة تولدت الحماسة والعزيمة في نفوس الأفراد والجنود والقادة فهذا محمد الفاتح نفسه الذي تربى على هذا المنهج يفتخر بهذه المعاني والقيم في أشعاره فنجده يقول:

وحماسي: بذل الجهد لخدمة ديني، دين الله

عزمي: أن أقهر أهل الكفر جميعا بجنودي: جند الله

وتفكيري: منصب على الفتح، على النصر على الفوز، بلطف الله

جهادي: بالنفس وبالمال، فماذا في الدنيا بعد الامتثال لأمر الله

---

(١) المجتبى من مشكل إعراب القرآن أحمد الخراط ٨٥٧/٣

وأشواقي: الغزو الغزو مئات الآلاف من المرات لوجه الله

---

(١) انظر: منهج الرسول في غرس الروح الجهادية، ص١٩ الى ٣٤.." (١)

"«العالمين» مضاف إليه «نزل به الروح» ماض وفاعله ومتعلقان بنزل «الأمين» صفة «على قلبك» متعلقان بنزل «لتكون» اللام للتعليل ومضارع ناقص وإن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور باللام وهما متعلقان بنزل واسم تكون محذوف وجوبا «من المنذرين» متعلقان بخبر تكون «بلسان» متعلقان بنزل «عربي» صفة «مبين» صفة ثانية «وإنه» الواو واو الحال وإن واسمها «لفي زبر» اللام المزحلقة ومتعلقان بخبر إن «الأولين» مضاف إليه والجملة في محل نصب على الحال.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٩٧ الى ٢٠١]

أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧) ولو نزلناه على بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩) كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم (٢٠١)

«أولم» الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو استئنافية ولم حرف نفي وجزم وقلب «يكن لهم آية» مضارع ناقص مجزوم وخبره ومتعلقان بمحذوف حال من آية «أن» حرف ناصب «يعلمه علماء» مضارع منصوب ومفعوله المقدم وفاعله المؤخر وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل رفع اسم يكن «بني» مضاف إليه مجرور بالياء «إسرائيل» مضاف إليه مجرور بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف «ولو» الواو استئنافية ولو شرطية غير جازمة «نزلناه» ماض وفاعل ومفعول به «على بعض» متعلقان بنزلناه «الأعجمين» مضاف إليه والجملة ابتدائية «فقرأه» ماض فاعله مستتر ومفعول به والجملة معطوفة «عليهم» متعلقان بقرأه «ما» نافية «كانوا» كان واسمها «به» متعلقان بمؤمنين «مؤمنين» خبر والجملة جواب لولا محل لها من الإعراب «كذلك» الكاف صفة لمحذوف مفعول مطلق «سلكناه» ماض وفاعل ومفعول به والجملة مستأنفة «في قلوب» متعلقان بسلكناه «المجرمين» مضاف إليه «لا يؤمنون» لا نافية ومضارع وفاعل والجملة مستأنفة «به» متعلقان بيؤمنون «حتى» حرف غاية وجر «يروا» مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والواو فاعله «العذاب» مفعول به «الأليم» صفة وأن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بحتى

---

(١) الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط علي محمد الصلابي ١٢٧/١

وهما متعلقان بما قبلهما.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٠٢ الى ٢٠٧]

فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢) فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤) أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦)

ما أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** (٢٠٧)

«فيأتيهم» الفاء عاطفة ومضارع منصوب فاعله مستتر والهاء مفعول به والجملة معطوفة «بغتة» حال «وهم» الواو حالية وهم مبتدأ والجملة حالية «لا يشعرون» لا نافية ومضارع وفاعل والجملة خبر هم «فيقولوا» الفاء عاطفة والمضارع معطوف على يأتيهم منصوب مثله وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل «هل» حرف استفهام «نحن منظرون» مبتدأ وخبر والجملة مقول القول «أفبعذابنا» الهمزة." (١)

"* ولو نزلنه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين *كذلك﴾

وقوله: ﴿واتبعك الأرذلونالمجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم * فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون * أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعنهم سنين * ثم جآءهم ما كانوا يوعدون * مآ أغنى **عنهم ما كانوا يمتعون** * ومآ أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظلمين * وما تنزلت به الشيطين * وما ينبغى لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون * فلا تدع مع الله إلهاءاخر فتكون من المعذبين * وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون * وتوكل على العزيز الرحيم * الذى يراك حين تقوم * وتقلبك فى السجدين * إنه هو السميع العليم * هل أنبئكم على من تنزل الشيطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كذبون * والشعرآء يتبعهم الغ ا وون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذينءامنوا وعملوا الصلحت﴾ ، جملة حالية.." (٢)

---

(١) إعراب القرآن للدعاس مجموعة من المؤلفين ٢/٦٣٩

(٢) الإعراب المحيط من تفسير البحر المحيط د. ياسين جاسم المحيميد ٧/٩٣